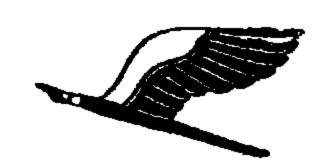


الألف المال (۲۳۰)

الألف المال

للدكتور بحيثيى المخبثات

الطبعة الثانية

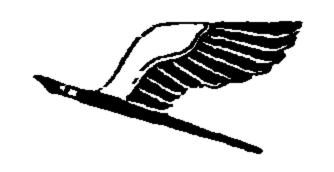


الناشر: دارالمتهم --

الفهسرس

مفحة	مفحة
السلطان محمود والألقاب ١١٤	مزدك ١
الملك والمائل ١٢٠	العجوز والرجلان ۳۱
يوم القيامة والعمل الصالح ١٢١	الحاكم الساهر ٣٢
المريضوالبيطار ٢٣	الحجاج والدرويش ٤١
الأمير القصير ١٢٤	المرأة ٤٢
سلمانالقارسي ۲۲	یوسف و کرسف ۲۸
الأصل الوضيع ١٢٧	اص فی بیت درویش ۱۰۰
بزرجهر والحسكاء ١٣٠	جعفر البرمكي ٢٥
في عدل الملوك وسيرتهم ١٣١	النصح الأثيم ٨٥
التوروز ١٣٦	المعتصم والحياط والمملوك ٥٩
النوروز ١٣٦ أعاد الفرس المهرجان ١٤١	أذان في غير أوان ٢٤
الروزتير ١٤٤	العجوز والوالى وأنوشروان ٦٨
أخوان ۱٤٥	الملك والقروى ٧٧
الملكالظالم والدهقان ١٤٦	أسد الدولة وقاضي نيسابور ٧٨
الصوت المنكر ١٥٢	السلطان محودوقطاع الطريق ٨٤
القط والفأر ۳۵۲	لقمان وحكمته ۸۹
أتو شروان العادل ١٥٩	السلطان محمود والقاضي والرفاء ٩٠
القرد الحكيم ١٦٠	الحدية ٢٦
سر ۱۷۰	رقيق أصبح ملسكا ٢٧
الدرويش والقاضي ۱۷۱	شيخ الطريقة ١١٣

صفحة	مفحة
حيلة ١١٢	الحوفوالحب ٥٧٥
الزاهدوالدنيا ۲۱۳	الـال ٢٧١
الصياد والسمكة ١١٥	المتنبي ۱۷۹
ز زال ۲۱۶	في ساحة الله ۱۸۰
زال ۲۲۳ أبطال إيران رستم ۲۲۵ سهرأب ۲۳۶	ضيف ابراهيم ۱۸۳
	دولة الظلم ١٨٥
الملك والشجرة ٢٤٦	الرازى والأمير المريض ١٨٦
الدرويش المتلاف ٢٤٨	آخرة ۱۸۹
سعدى فى بيت النار • ٢٥٠	دواء الملك المريض ١٩٠
وزیر ۲۵۲	حاتم الطائى والحطاب ١٩٢
الملك الصالح ٢٥٧	المناصب ١٩٣
رقيق في السوق ٢٦٠	الدرويش والملك ١٩٤
	الملك والزاهد ١٩٦
الملاكم البائس ٢٦١	قصةالعلم الإيراني ١٩٧
خصومة ۲٦٤	الأسير ٢٠٦
الثعلب المتواكل ٢٦٦	الملك والغلام الرعديد ٢٠٧
نصيحة ۲٦٨	الأميرالبقرة والطبيب ٢٠٨
الوقيعة ٢٦٩	الرزق الحلال ٢١٠



بالدالمال

عثل الأدب الفارسي في القصة فنه نا أربعة. أولها قصص الحكام الذي يدور حول ما يجب اللحاكم من رعيت وما يجب عليه نحوها، والثانى قصص هدفه العبرة والعظة، والنالث قصص برى إلى الإيماء والرمن في تصوير أحداث التباريخ التي تحول الظروف دون تصويرها في صراحة وجلاء، والرابع قصص تاريخي يقصد به إذكاء الروح الوطني في سامعيه فتختلط فيه حقائق التاريخ بالخرافات وفقاً لما يريد المؤلف من تأثير في سامعيه.

ولقد اخترنا في هذه المجموعة الني نخرجها لقراء العربية جملة من القصص في كل من هذه

الفنون، أردنا أن نخرج منها بصورة عامة عن فن القصة في الأدب الفارسي. ولما كان لمكل من هذه الفنون كتب في الفارسية تمثله فقد رجعنا إلى أشهرها في كل باب، واخترنا منه مارأ بناه بلائم الذوق العرب أكثر من غيره، وآثرنا أن نذيد كل قصة بذكر الكتاب الذي أخذت عنه ليعود إلى الأصل من شاء، أما القصص المشهورة الني يعرفها كل ذي إلمام بالأدب الفارسي فقد رجعنا فيها إلى أكثر من مصدر لتعدد ذكر ها وكثرته لنأخذ من كل هذا مصورة عامة للقصة نخر جها عليها.

وليست هذه القصص ترجمة فى الوافع، فنحن لم نتقيد بالنص الفارسى ذلك التقيد الدقيق الذى تقرضه أمانة الترجمة اللفظية، لأننا آثرنا أن نخرج هذه القصص إلى الآمة العربية أقرب ما تكون إلى نفوس أهلها.

وإنا لنعترف أن ما قده نا ليس إلا محاولة لم نرد بها أكثر من إحياء ذلك العهد الذى طواه الزمن .. عهد اتصال الفرس بالعرب اتصالا قريباً وثيقاً ، أيام كان العرب يعنون بنقل آثار الفرس إلى لغتهم ويحرصون على ذلك حرصاً شديداً تمليه عليهم نهضتهم العظيمة ليفيدوا من هذا الأدب القديم الغنى كل ما يمكن أن يفيدوه ، وأيام كان الفرس ينقلون عن العرب كل ما يمكن أن يحيى أمتهم وأن يرد إلها بجدها القديم .

يحى الخشاب

امندك

قال ملكشاه لوزيره نظام الملك: أسمعت القصة التي يرويها عمر الخيام عن الجماعة التي تقيم في يامير و تدعى الإسلام و لا تعمل به و تقول إن أبا مسلم سيبعث حياً وسيكون وزيره مزدك ؟

قال الوزير: نعم سمعت يامو لاى ، قال السلطان: واتخذت للأمر عدته ؟ قال الوزير: نعم ، قال ملكشاه: تعال إذاً للعشاء وحدثنا عن من دك هذا من يكون . قال نظام الملك :

كان ذلك الرجل أول من نادى بالشيوعية فى أخبث معانيها ، وقد كان من كبار رجال الدين الأذكياء ، أيام الملك قباد الساسانى ، وقد أبصر الرجل فوجد الشعب الإيرانى ما زال يئن من قبط ألم به أيام الملك فيروز ، وطبقة الأثرياء ، من الأشراف ورجال الدين ، تنع بخيرات إيران وتستأثر بها دون سائر الناس ، ثم أبصر قباد فإذا به حانق على الأشراف لأن نفوذهم امتد على الملوك وأصبح لهم على العرش سلطان ، وحانق على رجال الدين أيضاً لأنهم يناصرون على العرش سلطان ، وحانق على رجال الدين أيضاً لأنهم يناصرون

الأشراف ويشاركونهم فى الجشع الذى لايعرف حداً ، فهم يؤثرون الدنيا على الدين ويدعون هداية الناس ويحاولون بشتى الطرق أن يزيدوا أملاكهم ويوسعوا امتيازاتهم ؛ وأدرك أن الملك ضعيف القياد ، لين العريكة ، ليس من العسير التغلب عليه .

وكان لمزدك علم بالنجرم وأحكامها، وقد عرف من كتبها أن نبياً سيرسل، فرأى أن يكون هو هـــنا النبى، وأخذ يفكر فى طريقة لإثبات نبوته ؛ فأمر خدمه بحفر قناة تبدأ من مكان أخفاه وتمتد إلى حيث النار فى المعبد ، بحيث لايستطيع أحد أن يراها، ويستطيع تابع له أن يتكلم من الطرف الحنى فيسمع صوته ينبعث من وسط النار كأنها تتكلم . ثم أعلن نبوته وادعى أن يزدان والإله ، قد أرسله ليجــدد دين زردشت وليحدد معانيه ويبين أحكامه . ويهدى الناس إلى الأوستا والزند ، كتابهم المقدس وقسيره ، ولم يكن بعثه بين الانبياء بدءاً ، فمن قبل بعث الله نبياً ليهدى بني إسرائيل إلى أحكام التوراة .

وبلغت الدعرة الملك قباد فجمع رجال الدين جميعاً ليسمعهم قصة بعث واحد منهم نبياً وليستوضحهم الأمر ، وجاء مزدك وقد انتفخت أوداجه ، فبادره الملك بالسؤال عن نبوته فأكدها ودعاه إلى طاعته ، قال: لقد بعثني الله لأقضى على ما يينكم من خلاف في امر الدين ، فقد رأية كم تختلفون في تفسير أحكام الأوستا اختلافاً

أفسد حكمتها، وأضاع من نفوس الناس هيبتها، ثم رأيتكم تسيرون في أمور الدنيا سيراً يتجافى مع أوامر ويزدان، ويتنافى مع حقوق الناس في متاع الدنيا.

قال الملك: وما معجزتك؟

قال مزدك: إنى قادر على أن أحمل النار التي هي في محرابكم وقبلتكم على الكلام، وأناكليم الله أسأله أن يأمر النار لتحدثكم عن رسالتي واتشهد بصدق نبوتي.

والتفت الملك إلى الموابذة وقال: أفتونى فى أمر رجلكم هذا .. إنه يدعى النبوة ويبشر بدين جديد. قالوا: إنا قرأنا فى كتابنا أن نبياً يبعث فيظهر دينه على سائر الأديان ، وإنا سمعنا من مزدك أنه بعث ليجدد دين زردشت ، فهر لايحارب ديننا ، ولا يدعر لإله غير إلهنا . ثم إنه يقول إنه قد أتى بتفسير للأوستا يضع للجدال فيها حداً وهذا أمر كانا راغب فيه ، ثم هو يقول: إنه قادر على أن يحمل النار على الكلام ، وليس هذا فى طاقة البشر ، إلا أن يكون رسولا نبياً ، وإنا قد دعانا الملك لنسمع مزدك ودعوته ، نفوض الأمر لملكنا و ندعو له بالتوفيق والسداد .

قال الملك لمزدك: إن أنت أنطقت النار أمامنا صدقنا نبوتك وآمنا برسالتك . وتواعد الجمع على اللقاء فى الغد فى بيت النار ليروا معجزة النبى الجديد. وخرج مزدك فاتصل بأخلص أتباعه إليه وأقربهم منه، وأمره بأن يذهب إلى حيث فتحة القناة بخبأة ، وأن يجيب حين يسأل مزدك النار و بأن النار التي هى خير عابدى يزدان ، تأمر الناس بأن يطيعوا مزدك ويخلصوا له الدين ليلقوا السعادة فى الدنيا ولينعموا بالجنة فى الآخرة ،

وجاه الغد فاجتمع الموابذة وعلى رأسهم الملك فى بيت النار، ودخل مردك فاتخذ مكانه قريباً منها ، فدعا يزدان وأثنى على زردشت ثم سكت ، وإذا بصوت بخرج من وسط النار يدعو الناس إلى طاعة مزدك والدخول فى دينه . فبهت الحاضرون ، والتفت بعضهم إلى بعض يتهامسون . أما قباد فقد آمن بنبوة مزدك ، وأما رجال الدين فنهم من آمن ومنهم من شك فياسمع .

وزادت مكانة مزدك عند الملك فأعد له كرسياً من ذهب فوق العرش، فكان إذا جلس يستمع إلى قضايا الناس جاء مزدك فاتخذ مكانه على كرسيه الذى علا كرسى الملك . أما الشعب فقد دخل فى الدين الجديد أفواجاً ، فقد بدأ مزدك رسالته بالدعوة إلى المساواة بين الناس ، تملقاً لمم ، وهى دعوة تبهر الجماهير وتدعو إلى أن يكونوا جميعاً مع صاحبها ، مهما أخفت من خداع ورياء تحت

مظهرها البراق، وأما رجال الدين فقد خرجوا من بيت النار وهم بين مصدق ومكذب .

وحينها عادوا إلى أنفسهم أنكروا صاحبهم ورسالته ، ولكنهم أثروا أضعف الإيمان فاكتفوا بما تحدث به قلوبهم ، وأما رجال الحاشية فلم يتحمسوا للدعوة الجديدة ولكنهم ساروا وراء الملك أو وراء ابنه ، معلنين أنهم على دين ملوكهم .

قال مزدك: إن الثروة ينبغى أن تكون ملكاً للجميع، لكل نصيب منها حسب حاجته، لأن الناس جميعاً أبوهم آدم وأمهم حواء، ولأن خيرات إيران أنتجتها أرض إيران التي أنبتهم جميعاً، وسقتها سماء إيران التي تظلهم جميعاً، فالعدل أن يكونوا في بلدهم سواسية، ينعمون بنعيمها فلا ترى فيهم فقيراً محروماً.. وزاد هذا النداء في التفاف الناس حوله ومسارعتهم في قبول دعوته..

ثم نادى ببدعة جديدة ، الشيوع فى النساء ، فدعا الناس إلى أن تكون النساء شركة بينهم ولا وزن للأنساب . وكان قليل من الناس يملك مئات من الجوارى وله بضع زوجات ، وكثير من الناس لايجد وفرة فى الرزق تمكنه من أن يكون زوجاً لامرأة واحدة . وإذاً فالسواد الأعظم راغب فى المرأة لأنه محروم منها ، فلم يكد مزدك يعلن هذا الرأى حتى هرع الناس من الأقاليم لبيعته والعمل

بدعوته ، ووضع لهم مزدك نظاماً لهذه الإباحة ، فإذا استضاف الرجل عشرين رجلا فى بيته فإن عليه أن يقدم زوجه كما يقدم صنفاً من الطعام ، ثم إن على الضيوف إذا دخل أحدهم غرفتها أن يضع قلنسوته على بابها حتى لا يطرق الباب عليه طارق .

وهكذا التف الناس حول مزدك، ونظر العقلاء فإذا الدجات بين الناس أوشكت على الزوال وإذا الرابطة بينهم قد قاربت الضياع، ونظروا فإذا الغرغاء تسود، وإذا الأشراف والنبلاء قد أخرجوا من ديارهم وحرمت عليهم أموالهم وأهدرت حرمات نسائهم وما ملكت أيمانهم.

* * *

وكان للملك ولد اسمه نوشروان ، يقيم بعيداً عن أبيه ، في إقليم فارس ، فلما سمع بما جرى في عاصمة إيران من فساد ، كاد يتميز من الغيظ ، فكتب إلى الموابذة يسألهم أن ينصحوا الملك بالقضاء على مزدك ودعوته ، فإنه قد أضاع الثروات واستباح النساء ومكن للغرغاء ، ثم حثهم على بجادلة مزدك وإظهار فسقه . وكتب إلى النبلاء محدثاً عا جرى من موافقة أبيه لهذا الفاسق ، مؤكداً أن أباه لا يفرق بين الحق والباطل ولا يميز الحبيث من الطيب ، و نصحهم بأن يجمعوا أمرهم طراً وأن يطلبوا منه التخلص

من مزدك و محر آثاره ، فإنه كاد يقضى على الدولة والدين معاً ، وقرن نوشروان الوعد فى كتابه بالوعيد ، فذكرهم بألا ينهجو انهج أبيه ، فإنه مخدوع بدعوة فاسق ، ودعوة الفسق وإن أفلحت ساعه فإنها إلى الزوال تسير ، وأكد لهم أن الغد لناظره قريب .

وتأثر كثير من النبلاء بقول الأمير الشاب ، وعاد إلى صوابه من حدثته نفسه منهم بقبول دعوة مزدك ، وتراصوا وتواصوا و بعثوا إليه قائلين « إنا معك » .

واجتمع النبلاء والموابذة وقابلوا الملك وقالوا له: إنا قرأنا في كتبنا ونظرنا في علومنا ، منذ آدم حتى زردشت ، فما وجدنا نبيا دعا دعوة مزدك ، هذه الدعوة التي أودت بالبلاد وبالعباد ، وإنا نتصح للملك بألا يمكن له ، وأن يعمل على إبعاده عنه ، فأمر الملك بعقد بحمع ديني ، وسأل مزدك عن رأيه في قولم ، فقال : إنى رسول يزدان ، بعنى لإحياء دين زردشت ولاجدد فيه بإدخال المبدئين اللذين ناديت بهما والماذين صادفا من الملك قبولا ، فإن كذبتمونى فسلوا النار تجيبكم عا لا تفقهون ، ثم سأل مزدك النار ، فإذا هى تجيب آمرة الحاضرين بطاعته والانقياد له ، فأسقط في أيديهم وخرجوا مرة أخرى وهم في حيرة مما سمعوا ، أما قباد فزاد بمزدك إيمازاً .

وعلم مزدك أن نوشروان الأمير لم يدخل فى دينه فنصح للملك

أن يحمل ولى عهده على الهداية فليس من الحير أن يبتى فى ضلالة ، وليس من الأدب أن يخالف أباه . وكان الملك مشفقاً حقاً على ولده لأنه لم يؤمن برسالة مزدك ، فناداه ونصح له ، بالعنف حيناً وباللين أحياناً ، فلم يظفر منه بشىء ، فلما أخذ عليه عقوقه قال : لقد بدأت يا أبت بالعقوق لآبائك فليس لك أن أطيعك بعد اليوم ألم تر أنك باتباع مزدك قد خالفت سنن آبائك جميعاً وكان عليك ألا تخالفهم لتطيع الدجال الخادع ا

وكان مردك حاضراً هذا النقاش فقال للأمير: إن عليك أن تنبت ، كما يبدو لك ، أنى دجال خادع . فقال نوشروان: أمهلانى أربعين يوماً أعد فيها عدتى . قال مزدك: ولك أن تختار رجلا تئق به لمناظرتى ، فإن أثبت رأيك فى قتلتى وإن عجزت عن ذلك قتلت لتكون عبرة للناس وعظة ، حتى لايحدثن أحد نفسه بالتجنى على رسول يزدان الأمين .

وسافر نوشروان إلى فارس ، فكتب إلى موبدها ، وهو صديق بارع فى علوم الدين ، وحدثه بما جرى بينه وبين مزدك والملك . وفى اليوم الأربعين كان نوشروان فى بلاط أبيه ، فقد كان معه على ميعاد .

قال مزدك: تحدث يا أميرنا وأثبت ما ذهبت إليه من الافتراء

علينا والطعن في رسالتنا. فقال نوشروان: إن لى افتراحاً، فقاطعه مزدك صائحاً. لا افتراح و قد انقض الأجل، خنوه فغلوه. فهجم عليه جماعة من حرس مزدك وأرادوا قيده وقتله، ولكن الأمير دفعهم عن نفسه وقال لابيه الملك: «فيم العجلة؟ ألم أشترط أربعين يوماً كاملة، إن اليوم من حتى فأمهلانى إلى الغد. ، فصدق قادة الجيش على قرل الأمير، وصادف الرأى قبولا من الملك فإنه يحب ابنه و بسكره أن يقتله بيده، وعاد رجال مزدك إلى أماكنهم، وانفض الجمع على أن يلتتى في اليوم التالى.

* * *

وفى المساء بلغ موبد فارس العاصمة ، ودخل القصر وقابل نوشروان ، فقص عليه هذا ماكان فى اجتماع الصباح وقال إنه ذاهب غداً ليلتى حتفه وليقابل ربه راضياً مرضياً فى سبيل وطنه ودبنه . قال الموبد : هدى من روعك يا أميرنا واعلم أن الحق معك وأن مزدك غرى مبين ، وطلب منه أن يمكنه من مقابلة الملك قبل أن يحضر مزدك ، فهيأ الأمير هذه المقابلة .

قال المربد الملك: إن صاحبك يا مولاى قرأ فى علم النجوم قليلا، وقد قرأ أن نبياً يبعث فى هذا الزمان فحسب نفسه ذلك النبى وخنى عليه أن النبى سيكون صاحب رسالة جديدة، وسيكون له ماب من عند الله ، ومن معجز الله أن ينشق القمر ، وسوف ينسخ دبنه دين المجرس وسائر الاديان ، وسيعد المؤمنين بالجنة وسينذر الكفار بالخلود في نارجهنم ، ومن مبادئه أن الله خلق الناس ورفع بعضهم فوق بعض درجات، وسيأمر بالزواج براحدة وسيشترط العدل بين الزوجات لمن يرغب في المزيد منهن ، على ألا يزدن على أربع ، وسيحذر الناس من الشيطان ، وسيتصل بجبريل ، ويهدم بيوت النار ، وسيكون دينه للناس كافة وسيبقى حتى بوم القيامة ، وستشهد على رسالته السموات والأرض. يظن مزدك يا مولاى آنه هو هذا الني وخنى عليه أنه فارسى ولن بكرن الني فارسياً ، شم إن مزدك يدعى أنه يقوهم دين زردشت ويدعو إلى عبادة النار ، والني القيادم يدعر للقضاء عليهما ، وسيوحي إلى الني بواسطة جبريل (سروش)، أما مزدك فيدعى أنه يستمد حجته من شهادة النار ... فإذا سمح مر لاى حضرت للقائه ومناظرته وسترون أنه لا يقصد إقامة شريعة إنما يقصد هدم الدين والإفساد في الأرض.

واجتمع مزدك و نوشروان والمربد فى قاعة العرش ، حيث رأس الملك المناظرة ، قال الملك : من يبدأ منكما ؟ فتال مزدك : هو يسأل وأنا أجيب .

فقال الموبد: إذاً تعال مكانى وأنا آخذ مكانك، فغضب وردك وقال هذا مكان أجلسني فيه الملك فلا أنحول عنه. قال الموبد: إنك ياصاحبى تنادى بشيوعية المال فهــــلا علمت أن الناس يشيدون الأربطة ويتيمون الجسرر ويبنون بيوت البار ابتغاء الثراب يوم التيامة ؟

قال مزدك: نعم.

قال الموبد: فإذا كان المال شيوعا بين الناس وأراد أحدهم أن يشيد بيتاً للعبادة فن أبن يأتى بالنفقات ؟ فلم يحر مزدك جراباً .

قال المربد: إنك ترى الملك تباد الذى يجلس على العرش قد ورث هذا الملك عن أبيه فيروز وهذا ورثه عن آبائه ، وأنت اليوم تنادى بإباحة النساء وهدم النسب فكيف يتفق هذا والمحافظة على نسب الساسانيين ؟ فلم يحر مزدك جواباً .

قال الموبد: وأنت تنادى بشيوع المال بين الناس، ألا ترى أن الله تد خلتهم ومنهم الغن ومنهم الفقير، وأن الفقير بجد عملا عند الغن فينقده عليه أجراً، وإذا انعدم التفاوت بين الناس فأى سلطان يبن على الناس؟

فلم يحر جراباً ، فصاح تباد : ما جوابك ؟ فقال مزدك : جوابى أن تأمر بقتله فى الحال صبراً . قال الملك : ولكنى لا آمر بقتل آدى لم بثبت عليه جرم . قال مزدك : فموعدنا إذاً غداً فى بيت النار لنسمع حكمها . وانصرف الجميع من المجلس وقد طابت نفوس أصدقاء نوشروان إذنجاه المربد من القتل ، أما مزدك فخرج حانقاً حاقداً على قباد لانه لم ينفذ أمره ويقتل الموبد، وقد أسر إلى نفسه أن أنصاره من حوله قد زادوا عدداً وأن إتصاء الملك عن عرشه قد أصبح مستطاعاً ، وأنه سيلتي العون كل العون من الشعب الذي غرته المبادىء التي نادى بها .

* * *

نادى مزدك رجلين من أنصاره المقربين فأخذ عليهما ميثاناً بأن لا يبوحا لاحد بالسر الذى يأتمنهما عليه ، ووعد كلا منهما بألف دينار وبأن يرفعهما إلى رتبة سپاهسلار «قائد» ، أما السر فهو أن يحضرا جلسة الغد في بيت النار وأن يخيء كل منهما سيفاً تحت ثوبه ، فإن حمل السلاح لم يكن مباحاً في بيت النار ، فإذا ما سأل مزدك النار فأجابت بقتل قباد فإن عليهما أن يسرعا إليه بالسيف تنفيذاً لقول النار .

وأما الموبد فقد طلب من نوشروان أن يأمر عشرة من رجاله بحمل سيوفهم تحت ثيابهم استعداداً لما قد يقدم عليه مزدك وهومغيظ وعقد المجلس في بيت النار فقال مزدك للموبد: سل النار إن كانت تصغى إليك ، فسألها المربد فلم تنطق ، فصاح بها مزدك:

ألاخبرينا ياخير بنات أهورا مزدا ويا أطيب عباد يزدان ما رأيك فيها جرى بالأمس؟

فارتفع صوت منها يقول: « إنتى ضعيفة منذ الأمس، ألاحطوا فى هواى وأذكونى بقلب قباد وكبده لاحكم بينكم، ألافليتبع مزدك من اهتدى وأراد الآخرة »

فصاح مزدك: ذكوا النار ذكوها ، فانقض صاحباه على الملك يبغيان قتله ، فدفعهما أنصار نوشروان العشرة ، وانقسم الحاضرون إلى فريقين ، فريق يرى إحراق قباد وفريق يرى أن يتدبر الأمر.. وانفض الجمع .

* * *

بات قباد حزيناً تلك الليلة ، فهو ولاشك قد ارتكب وزراً ثقيلا لأن النار تطالب بقلبه وكبده وقوداً لها ، وخير له أن يقدم نفسه وقرداً في الدنيا من أن بصلاها جحيا في الآخرة . ولكن المربد ونوشروان زاراه في الصباح الباكر ، وأخذ المربد ببين له سعى مزدك في انتزاع الملك لنفسه ، وكيف حاول بادى الدي من بدان يقضى على نوشروان ففشل ، فلما لم ينلح أراد أن يقضى على الملك نفسه . ثم التفت إلى نوشروان و نصحه بأن يتصل بواحد من أنصار مزدك وأن يستدل منه على سر تكلم النار .

وعمل نوشروان بنصيحة الموبد، قال له محدثه بعد أن مناه إذا قال الحق وأوعده إذا كذب برأ أمام بيت النبار أرضا أقيمت عليها أسوارصعبة الذرى وأن قاة تحت الأرض تبدأ داخل هذه الاسوار وتنتهى بغاية الدقة عند فرهة النار، وهى التى بتحدث بواسطنها مزدك فيسمعه تابع له يقيم داخل السور فيتكلم بما اتفق معه نبيه عليه، فيظن الحاضرون أن النار تتكلم.

وأبلغ نوشروان هذا السر الموبد، وأخذ ثلاثهم، الملك ونرشروان والمربد، يتشاورون في الآمر، فإن القضية لم تكن قضية مزدك فحسب، لأن هذا المتنبيء قد نجح في كسب جماعة كبيرة من الشعب، ومنهم فئة خطيرة تحمل السيوف، وينبغي أن تستأصل هذه الفتنة، وأن يقضي على العقائد التي أحبها الشعب، ثم يبغي أن تعاد الأوضاع إلى سابق عهدها، وبعاد تنظيم الجباية وإدارة المرافق العامة. واتفقوا على أن يدعى مزدك في بحمع دين، وأن يعلن الموبد في هذا المجمع عجزه عن مناظرة مزدك، ثم يسافر إلى فارس، ثم يتبع بعد ذلك ما يرسم نوشروان من خطط.

وعتد المجمع و تكلم المرابذة ثم وقف موبد فارس وقال: إنى عجبت للناركيف تذكلم؟ قال مزدك: ليس الأمر في هذا عجيباً فإن الله ينطقها ، ألم تر إلى موسى وقد أصار عصاه حية تسعى ، أو لم تركيف فجر من الصخرة اثنتى عشرة عينا ، أما سمعت أنه استعان ربه

ليهلك فرعون وأهله فابتلعهم اليم؟ أما سمعت كيف أحيا عيسى الموقى. وهدفه كامها معجزات ليس فى طائة البشر أن يأنى بها ولكنها أعمال ربك يتمها على يدرسله، وهو الذى أنطق ياسيدى الناركا رأيت، فآمن بالذى دعو تك إليه والذى أمرت به النار، فإن عصيتنى فإن الله يعذبك عذاباً أليماً.

فقام المربد فأعلن طاعته للذى بعثه وصدتته النار، ثم سافر إلى فارس .'

* * *

واجتمع الملك بعد ذلك بمزدك فقال له: إن نوشروان منذ سمع قرل موبد فارس وهو يميل إليك ويربد أن يعلن إيمانه برسالتك وأن يندم وبتوب عما فات من كفره، وإنى أرى الناس متعلقة به ملتفة حوله فإذا رأوه آمن آمنوا بك إطاعة لامره وسيراً على هداه.

فسر هذا القول مزدك وقال للملك: إنى شفيع لنوشروان لدى النار وهى تشفع له عند يزدان ، فقال الملك: إنك تسدى إلى جميلا لا أنساه ، فهر ولدى ، وهو وارث عرشى ، وهو فوق ذلك على رأس الجيش والناس تحبه ، وستنام الفتنة بإيمانه ، فإن أحداً لن يجد عذراً للكفر بدبنه مادام هو يحميه . . وخرج مزدك وهو

یوصی قباد بأن یهدی ابنه ، فاستمهله أسبرعا لیزف إلیه بشری دخول نوشروان فی دینه

وفى نهاية الاسبرع قص قباد على مزدك أن نوشروان رأى فى منامه ناراً تسرع إليه تكاد تلتهمه فجزع ، فإذا برجل جميل الصورة يأتى فيمنعه منها ، وقد سأله نوشروان ماذا تقصد النار بى ، قال إنها غاضبة عليك لانك كذبتها . ثم أخبر الملك مزدك : إن نوشروان عازم على الذهاب لبيت النار ، حاملا المسك والعود والعنبر ، وسيقف على خدمة البيت ثلاتة أيام ، مذكيا النار مسبحاً يزدان ، ولكنه يحافي إن هو أعلن رأيه وكان أنصار دينك قلة فى البلد أن تشيع الفتنة ، ويضطرب الامن ، ولذا فإنه يرى أن يعرف بالدقة عدد أنصارك هنا وفى الاقاليم ، حتى يقدم على إعلان الدين الجديد وهو بصير بالعواقب وأدى أن تعد سجلا تكتب فيه أساء من قرموا بك ، فإنه يريد أن يعرف عددهم ومدى قوتهم ا فراقت الفكرة المزدك وكتب سجلا بأسهاء أنصاره وأودعه قصر الملك .

وبعد أسبرع قابل الملك مزدك فقال له: إن نوشروان سر سروراً عظيما عندما رأى سجل أنصارك وعلم أن عدهم اثنا عشر ألفاً، فقد أبقن أن هذا العدد كافى لحفظ الأمن ولنشر الدين بحد السيف، وكان يخشى أن يقل عدهم عن خمسة آلاف فيضطر إلى إرجاء إعلان دحوله فى الدين الجديد. وقد اتفقت معه على ان

تكون علامة إعلانه المزدكية أن يقرع الطبل من برج القصر . وقرع الطبل وعلم مزدك أن أقرى رجل فى الدولة قد اعتق مبادئه ، وأنه قد أصبح ذا شوكة وأن مذهبه سيفرض على الناس فرضاً .

* * *

وفى الصباح ذهب إلى القصر فقابل الملك ونوشران ، فقدم له هذا الهدايا والتحف ورجاه أن يغفر له سابق هفوته . ثم قال للملك ولمزدك : إن الامر بيدكما ، فأو لكما ملك إيران وثانيكا نبيها ، فإذا شتما أن أعمل على نشر هذا الدين الجديد فامنحانى من السلطان ما يكفل طاعة الناس لى .

قالا: لك ما تشاء.

قال: فالرأى أن يبعث مزدك إلى أنصاره فى الأقاليم يدعرهم المحضرر هنا بعد ثلاثة أشهر وذلك لكى أكسوهم وأمدهم بالسلاح وأستعين بهم على الجهاد فى سبيل يزدان .

وتم الاتفاق على أن يحضر الأنصار من شى البلاد فى اليوم الموعود وأن تقام لهم وليمة كبيرة إظهاراً لمبدأ المساواة والإخاء ولسوف يدعون بعد ذلك إلى الشراب الفاخر ثم يذهبون زرافات إلى القصر الثالث ليأخذوا أكسيتهم وأسلحتهم وخيولهم .

وجاء الاثنا عشر ألف مزدكى فرجدوا المرائد قد أعدت فى فى جناح من القصر فجلسوا يأكاون وبسمرون ، وكان نوشروان حفياً بهم ، ثم دعاهم إلى الدخول فى قاعات الشراب فدارت عليهم الكثرس سبع مرات. ودخل وهم يشربون مائتا خادم يحملون أثواب الحرير والكتان ، فأمرهم فرشروان بالذهاب إلى الجناح اللاكسية .

م أمر فقسم المدعوون جماعات من ثلاثين رجلا وساق كل جماعة إلى حيث الكساء والسلاح . وكان تمد أمر أربعائة من الجنود الاشداء بأن يحفروا في الميدان حفراً كثيرة ، وأن يدعوا ما يخرج منها من التراب بجوارها ، وأمر بألا يخرج أحد من هؤلام الجنود من الميدان

ودخل المزدكية جماعة جماعة فقادهم حرس نوشروان إلى هذه الحفر فأودعرا فيها أحياء وتمد أقيمرا فيها على رؤوسهم ثم غطرا بالترابحي صدورهم وظهرت أرجلهم تتأرجح فى الهواء كأنها جذوع نخل خاوية .

وصعد نوشروان إلى قاعة العرش حيث كان أبوه ومزدك، فروى لمزدك ما أعده لرجاله من كرم الضيافة وما هم عليه من سرور بعد أن أكاوا وشربوا ولبسوا، وطلب إليه أن يطل عليهم وهم في الميدان في أزهى حلة لبسوها. فخرج مزدك فأبصر أرجلا تتأرجح فى الهراء، فحدجه نوشروان بنظره وقال:

ها يا نبينا قد ألبست المزدكة الكسوة التي يستحقرن، أما أنت، فعلى هذا المرتفع الذي أنيم في وسط الميدان، ستلقى كساءك. إنك دجال مخسادع كما قلت لك أول مرة لقيتك فيها، وقد جئت لتقضى على ثروات الناس وتستبيح نساءهم وتهدم ما أتى به زردشت من قراعد المدنية والعمران، ثم يخلو لك الجو فتجلس على عرش إيران الحربة كما يجلس البوم على أطلال القصور.

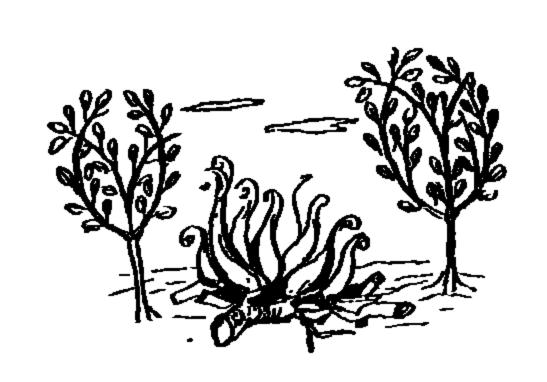
وساقه الجند إلى حيث حفرة أعدت له وسط الميدان ، فدفن حياً ، ورأسه في النراب .

والتفت نوشروان إلى أبيه فقال له: آن يا أبت لك أن تقبع في قصرك فإن ضعفك هو الذى أدى إلى أن تقع هـذه الفوضى المدعرة في البلاد، فمن الحبير لك ولها أن تبعد عن حكمها حتى تهدأ الأحوال وتعاد النظم إلى سابق عهدها أيام جدنا أردشير. ثم أمر فقتحت أبواب الميدان ليتاح للناس أن يروا المصير الذى لقيته زمرة الفساد، وأمر بجمع النبلاء ورجال الدين فوعدهم بإصلاح حالهم وإعادة أمرالهم إليهم ورد نسائهم إلى بيوتهم، وحكم إيران بعد ذلك فكان عهده أزهى عهودها.

قال ملكشاه: أحسنت يا نظام الملك فيما رويت وإن عليك أن تعمل على إبادة جماعة يامير أو أن يعردوا إلى الإسلام، أما أنا فلن أغمد هذا السيف حتى أنشر دين محمد كما أنزله الله.

وكان الليل قد انتصف فقام ملكشاه وانصرف الوزير والعظاء فذهب كل إلى بيته .

(سیاست نامه ٤٤)



العجوزوالرخلان

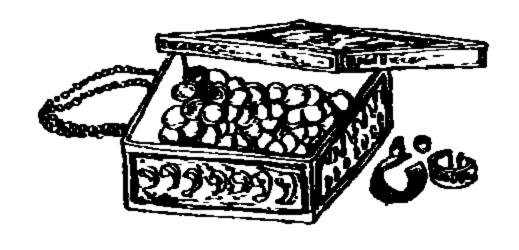
ذهب رجلان إلى عجوز وقالا لها: إنا نستودعك هذا المال، على أن تعطيه لنا إذا جئنا معاً نطلبه. وبعد فترة جاء أحدهما وطلب المال من العجوز وقال لها إن صاحبه تمد قتل، فإن لصوصاً هاجموهما في الطريق، فقتلوه. وصدقت العجوز كلام الرجل فأعادت إليه المال.

ثم جاء الثانى عند العجرز وطلب المال ، فقالت إن صاحبك قال إنك قتلت وقد أعطيته الوديعة ، فليس لك شيء عندى .

فذهب الرجل إلى الحاكم وشكا العجرز، لأنها أمتنعت عن تسليم ماله له، ففكر الحاكم طويلا ثم قال:

هذه المرأة لم تقصر ، وقد اشترطتها عليها أن تعطيكا الوديعة إذا جنتها معاً ، فاذهب واحضر صاحبك ، وطالباها برد الوديعة ! .

(جامع الحكايات)



الحاكم المتاهى

قال نظام الملك مخاطبا السلطان ملكشاه:

وعلى الحاكم أن يتحرى سلوك عماله، وألا يترانى فى تقصى سيرهم، ليتأكد من نزاهتهم، ومن رعاية الأمانة التي عهد بها إليهم، والثقة التي أو لاهم إياها . وعلى العال أن يسيروا فى الناس بالحسنى ، وألا يطالبوا الحراث بالأمرال قبـــل أن تؤتى الأرض تمارها، وإلا اضطر الحراث أن يبيع معجلا مالا علم له بمقداره وقدره ، فيبيع بالثمن البخس جهده المض . ثم على العال أن يعاونوا الحراثين إذا احتاجوا إلى البذور أو المواشى ، فإن من يعن الحراث على إنتاج الخيرات التي تنبتها الأرض بعن الشعب على عيشه ، ويوفر له غذاءه . وحرام على الحكومة وعلى الناس أن يتركوا قطعة من الأرض بوراً ، فإن من يعمر أرضالته يخدم دينه ووطنه ونفسه ، ومن ير أرضاً صالحة للزرع ولايعمرها يغضب الله والوطن والحاكم فإذا سار العال هذه السيرة في الحراثين سعدت الدولة ، وكثرت

خيراتها، وأمن الناس شر الفاقة والجوع والموت، إذا ما جفت الانهار وانقطعت الامطار ووقع القحط العظيم.

ألم تريا مولاى إلى قباد وقد جف الزرع فى عهده سبع سنين، فلم تنتج الأرض خلالها حبة واحدة ، فكانت شدة لا مخرج منها، فاستطاع بما لدى عماله من الحيرات المخزونة أن يوفر لشعبه الغذاء طوال السنوات الشداد؟ فقد أمرهم ببيع ما لسيم من مخزون الحبوب بأثمان رخيصة ، وسهر على عدالة التوزيع بين الناس ، فلم يمت من إيران فرد واحد بسبب القحط .

وعلى الحاكم ألا بتهاون مطلقاً فى مراقبة هؤلاء العال ، وإذا رأى أحدهم استولى من حر"اث على أكثر بما ينبغى عليه دفعه ، رد ما اغتصب إليه ، حتى يعلم الناس أن العدل قائم وإن جار العال ، وإذا كان للعامل المغتصب مال أخذ منه أضعاف ما اغتصب من الرعية ، وقد يرى الحاكم نفسه فى حل من أن ينزع جميع أموال العامل الظالم ، ليعلم الشعب أن الظلم مرتعه وخيم . وأما إذا كان العامل قد قصر تقصيراً يسيراً ، فإن على الحاكم أن يقومه ويصلحه ويجازيه حسب مسؤليته .

وأما إشراف الحاكم على الوزير وحكام الأقاليم فإنه أكثر وجوباً وأبعد أثراً ، لآن أخطاء هؤلاء تحسب على الحاكم نفسه ، وتنسب إليه وإلى حكومته . ولذا وجب أن يكون الوزير والحاكم

من ذوى العدل وإصالة الرأى ، ووجب أن يكون الحاكم يقظاً محاسباً .

وكم أعجبى منظرك وسلوكات منى يا مولاى يوم جتنى ، وتحد أمسك كميك رجلان يشكوان إليك ظلم والى بلدهما ، وكانت الدموع تترقرق فى عينيك وأنت تقول : كيف يكون حالى غدا عند الله إذا طولبت بحقوق المسلمين ، وقد قلدتك هذا الامر لتكفيى مثل هذا الموقف ؟ وكم أسعدنى إنصافهما عملا بأمرك وعدلك يا مولاى . وأنا أسوق إليك قصة الوزير رست روش الذى اتخذه الملك بهرام كور وزيراً فلم يرع النزاهة فى حكمه . فطغى و بغى و تكبر ، ولكن انظر كيف كانت عاقبته .

وأنت تعلم يامولاى أن بهرام كور قد اندفع فى نزق الشباب فترك شئون الملك وانصرف إلى الصيد والنساء والشراب ، وأقام مقامه أميراً ضعيفاً لم بكن يستطيع أن يعارض للوزير رست روش رأباً أو بعصى له أمراً . وقد استغله رست روش أتجبح استغلال ، وصور له أن ما تبديه الحكومة من الشفقة بالناس قد أفسد خلقهم وأطمع فى الولاة أشرارهم ، وأن الأمر إذا لم بتدارك بالحزم ويؤخذ بالشدة فلن تحمد عواقبه ، فالواجب ألا ندع على قيد الحياة مفسداً ، وألا نترك لغنيهم ما يثير الغرور فى نفسه فيخرج الحياة مفسداً ، وألا نترك لغنيهم ما يثير الغرور فى نفسه فيخرج

علينا، ولنستحي نساءهم ولذبح أولادهم، حتى لا يبتى لاحد منهم سلطان. وامت لات السجون بالأشراف، وخلت القصور من ساكنها، وولى كثير من الأمراء فراراً من إيران، وتمد ملئوا من ظلم الوزير رعباً. ونظر رست روش حوله، فإذا سلطانه يمتد على الشعب وحكرمته، وإذا به يرى باب الإثراء مفتوحاً على مصراعيه له ولذويه، فأخذ يمنح الحرية لمن سجنهم الأمير الذي كان يشغل مكان الملك، على أن يمنحوه ضياعهم وأموالهم ثمناً لحربتهم، وأخذ بنهب وبسلب كما يشاء، وكلما أرادت الحكومة القيام بمشروع المتلات جيوبه وعمرت خرائنه بالرشوة المستورة والرشوة المفضوحة، حتى أصبح ترفه حديث الناس في إيران وغير إيران.

وظل الوزير على هذه السياسة الهدامة سنين عديدة ، حتى افتقر الشعب ، وتحلل روحه ، واختلت الثقة المتبادلة بين الحاكم والمحكومين ، وخرجت من بيوت الأشراف التحف النادرة ، والحيول المطهمة ، والجوارى الحسان ، وكل ما لدى الناس من الخيرات ، لتدخل كاما في بيت الوزير رست روش .

وكان لملك إيران منافس يقف له بالمرصاد ، فاتصل به الوزير الحائن ، ليخلع الأسرة الساسانية وليلي هو العرش ، فسارع العدو ملمياً دعوته وأغار على إيران . كل هذا وبهرام كور غافل عن أمر نفسه وبلاده .

وأفاق الملك من غفلته وأمر بتهيئة الجيش، والتوسيع على رجاله، لتقوى روحهم وتشتد عزيمتهم؛ ولكن خازن إلمال وجد خزينة الدولة خاوية، وافتقد ورير الحرب الأشراف والنبلاء وهم القادة فلم يجد منهم أحداً. منهم المسجون، ومنهم من هاجر ومنهم من قتل. ونظر بهرام فإذا إيران يخيم عليها الفقر، ويفت فى عضدها البؤس والياس. فسأل ماذا دهى المال وأفنى الرجال؟. فلم يجرؤ أحد أن يذكر له ما جرته سياسة الوزير على الدولة من الدمار والفناء.. وبات الملك ليله ساهراً يفكر فى قلعته المتداعية وعدوه يقترب.

ولم يكد الصبح يتنفس حتى كان ممتطياً صهوة جواده الأشهب وسط الصحراء. هناك فى الفضاء الذى لا يحد أبصر نارا فوق تل فاتجه إليها ، وهناك رأى قطيعاً من الاغنام ورأى حيمة على بابها كاب مصلوب ا وجلس الملك _ وهومتنكر _ للإفطار مع صاحب الخيمة واست. ع إلى الرجل يحدثه عن الكاب المصلوب. قال:

كان لى من تخطيع الغنم هـ ذا ررق كبير ، وكنت أعتمد على هذا الكلب فى حمايته ، وكان مر لقوة بحيث يغلب عشرة ذئاب ، وكنت أثق به حتى أنى حين أضطر إلى السفر ، كنت أتركه ليقود الأغنام إلى حيث ترعى وليعود بها إلى حيث تبيت ، وأنا آمن هادى البال . ولكنى لاحظت أن القطيع يتناغص ، ولاحظت

الكلب فلم أهتد إلى تقصير في رعايته أو فترر في واجبه ؛ حتى إذا جاء محصل الحراج وجدت القطيع كله لايني بما على من مال ، فأخذه المحصل وصير في راعياً للقطيع الذي كان ملكى بالامس. وتفرغت لرعامة الأغنام فعلمت ماغاب عنى ، وهر أن الدكلب قد وقع فى شباك ذئبة غادرة ماكرة . رأبته معها وأنا أحطب فرق ربوة عالية رأبتها تدنو من القطيع ، ورأبته بهرع لاستقبالها ، ثم أخذ يداعبها حتى إذا بلغ منه الهيام مبلغه انتحى بها ناحية ، فلا تلبث الذئبة أن تعرد فنفترس أقرب الأغنام إليها وتلنهم من لحمه ما تشاء ، ثم تمضى في سبيلها ، والكلب بنظر إليها نظرة المتيم الولهان ! . وهكذا كان ينق ض القطيع رويداً رويداً ، لأن الكلب غلبته شهرته فنقداً مانته وضاعت رعابته . فرأبت أن أقل ما يجازى به هو أن مصلب كاترى جزاء ضعفه وخيانته .

* * *

عاد الملك إلى العاصمة متفكراً في هذا الذي رأى وسمع ؛ أليس هر صاحب القطيع الذي ملكه الله على الشعب ليعمر الأرض؟ أليس وزيره رست روش هو الكلب الذي عهد إليه برعاية الشعب والعناية به؟ أليس الجشع الذي حمل الوزير على ارتكاب ما ارتكب و تضييع ما ضيع من دولته ، هو قلك الذئبة الغادرة ؟

ورآى الملك خزائنه خاوية ، وجيوشه مسرحة، ورجاله مشردة ، والشعب فى بؤس مةيم ، ولكنه لم يهتد إلى خيانة وزيره كما اهتدى الراعى إلى خيانة كابه ، فإن الحاشية كانت تخاف على نفسها من غدر الوزير الماكر الجبار . فأمر أن ترفع إليه التقارير اليومية التي كان الوزير يخفيها ، فإذا به يرى البطش والظلم والبغى ؛ فأدرك أن ما أصاب شعبه من محن مصدره الوزير وأن عليه إذا أراد أن يعيد للشعب مكانته وثقته بنفسه وبحكامه أن يةتص من رست روش، فلما دخل عليه ابتدره قائلا: ماذا جرى لشعى، علاه النَّهر والهم، واقعدته المحن والمظالم، وماذا انتاب خزائني أنفرت وكانت بالخير تفيض؟ أوليتك لتقتل الناس وتنتهك حرمانهم وتقيد حرباتهم؟ ولقد وليتك عامر القلب خاوى الوفاض ، وكان هذا فخرك، فإذا بجاه الوزارة يضلك وإذا بك غي ضال. دخلت بالأمس فقيراً عزيزاً وها أنت ذا تخرج اليوم منها ثرياً لانزاهة فيك.

وحاول رست روش أن يجيب ولكن الكلام لم يواته ، خنقته الدماء البريئة التي سفكها ، والحريات الغالية التي أضاعها ، والأمانة التي خانها . فأمر الملك بسجنه ، وأخذ بنظر شكاوى الناس منه ، ولم يلبث أن علم أن رست روش قد تآمر مع عدوه للغدر به ليظفر بسلطان أوسع ، فأمر بقتله والتثيل به .

ثم التفت إلى أهل إيران فأصلح أحوالهم، وتدارك ما فسد من

أمورهم ، وأبعد عنهم الوزير الذي أغراه الجشع لخان وطنه وملكه كما أبعد الراعي الكلب الذي أنسته الذئبة الغادرة حسن الرعاية . أما أتباع رست روش من الموظفين فقد عزلوا ، ثم أسند الملك وزارته إلى رجل عرف بالتقوى والنزاهة وحب ملكه ووطنه .

* * *

والآن أعود بك يا مر لاى إلى قصة الراعى الذى صلب كابه ، فإن بهرام عندما سمع منه قصته أخرج من جعبته سهما ورماه أمامه وقال له: لقد أكلت معك وشربت ، ووقفت منك على ما اعتراك من غم ، وما أصابك من خسائر . وسأعمل على تخفيف ما أصابك واعلم أنى من حجاب الملك بهرام كور ، يعرفى كل عظاء بلاطه ، فخذ هذا السهم معك ، وأره من تقابل فى بلاط الملك ، وعند ما يرونه سيحضرونك إلى وسأعوضك خيراً .

وبعد أيام قالت زوج الراعى – وقد بانت فى ضيق بعد ان فقد زوجها قطيعه – : قم إلى حيث أمرك هذا الفارس الذى زارنا منذ زمان ، وخذ معك السهم ، فإن عليه سياء العزم والقوة ، وإن قليلا يعطيه من فضله لكثير لدينا . فخرج الراعى قاصداً زائره الكريم .

وكان الملك تد نبه رجال حاشيته إلى قدوم رجل يحمل سهمآ

من سهامه، فلم بكد الراعى يربهم السهم حتى رحبوا به وساروا معه إلى الملك، فلم رآه الراعى ارتعدت فرائصه، وأريج عليه، لأنه لم يعامله بما ينبغى للملوك فقد كان جاهلا شخصيته. وانحنى الرجل على قدى الملك. فابتسم هذا وقص على الحاشية تصتبه، وقال إنه مستبشر به، لأنه نبه من غفلته، ولفته إلى شئر ن دولته، وكانت قصته سباً فى خلاص البلاد من البلاء الذى ألم بها زمناً طوبلا. تم أمر أن تخلع عليه الخلع الملكية، وأن بعطى سبعائة رأس من الاغنام، وأن يعنى من الضرائب.

(سیاست نامه ٤)



لنحجاج والدرويين

ظهر فى بغداد دروبش مستجاب الدعرة ، فناداه الحجاج ابن يوسف ، وقال له : ادع لى بالخير .

فقال الدرويش: اللهم اقبض روحه.

فقال الحجاج: بحق الله ما هذا الدعاء؟

فقال الدرويش: هذا الدعاء خير لك ولكافة المسلمين. (كلمتان)



قال نظام الملك للسلطان ملكشاه:

قد سمعت أن السيدات المحجبات اللاتى لا ذكاء لهن يتدخلن فى مشرن الدولة، ولادخل لهن فيها. والذى أعرفه يامولاى أن كل ما نطلبه إلى النساء هو أن ينجبن لنا الآبناء ليبق النسل الطيب، وكلما علا أصل السيدة زاد تقدير السلطان لها، وكلما تشددت فى الحجاب طاب الثناء عليها. وليعلم الملك أن نصائح سيدات القصر مبنية على ما يسمعن عن لم تخلص نياتهم، وأنهن لا يرين ما يحرى فى الحارج، فيتخذن من هؤلاء المفسدين عيونا، ويستقين من الصاحبة أو الحادمة أو الحادم الآنباء! ولذا فإن أوامرهن تكون بعيدة عن العدل والصواب، وهكذا ينفثن فى الدولة الفساد. وفى هذا يامر لاى مساس بنفوذك، وفيه مضرة الشعب، إذ أن به تحتل أمور الدنيا والدين، فقد تتلف _ إذا استمع الحاكم إلى قول امرأته _ أحوال الناس وتسفك دماء عظائهم.

وإن أنعمت النظر في التاريخ يا مرلاي وجدت أنه ما من مرة

وقع السلطان فيها تحت تأثير المرأة إلاحل فى دولته الفساد والفتة وصنوف الشر. ولن أطيل عليك فى حديثى عن سوء أثر تدخل المرأة فى شئون الدولة. فهذه قضية مشهورة والشواهد عليها كشيرة وهى قديمة قدم الإنسان، منذ مس آدم الضرحين استمع إلى قول أمنا حواء! ومنذ أجيال لقيت المملكة التي تحكمها ألواناً من الشر، زهقت فيها أرواح الألوف من الترك والفرس، لأن كيكاوس الملك خضع لامرأته سوذبة، فكان ماكان من شر أعوذ بالله من أن توقعنا النساء فيه، فى هذه الأيام التي اتسعت فيها عملكتنا، وأصبحت كعبة القصاد.

كانت سوذبة امرأة جميلة ، وتدونع كيكاوس في حبائلها ، لأنه شيخ كبير ولأنها زوج لعوب فاتنة ، فسيطرت عليه حتى أصبح لايقضى أمراً بغير مشورتها . وكان للملك ولد من زوجه الأولى ، اسمه سياوخش، عهد بتربيتة إلى رستم القائد المشهور ، وكان إذ ذاك واليا على سيستان . وشب سياوخش بطلا ، فذاع صيته وتحدث بفتوته الناس ، وبلغ مسامع سوذبة أنه ذو جمال رائع فالت إليه واشتافت إلى رؤياه ولقياه ، فأوحت إلى كيكاوس أن يدعو ابنه لجواره ، ليستعين به في عله ، وليمتع نفسه بالنظر إليه . فصدق الملك نصحها وبعث إلى ولده فجاء المدائن حيث استقبله الشعب أروع استقبال .

وكانت سوذية مشوقة إلى مقابلة سياوخش فطلبت من الملك أن بأمره بالدخول في الجناح المخصص لهما ليرى إخوته، وكانت المرأة فاسدة الحلق تجيحة السيرة، وكان سياوخش يسمع عن قصص غرامها وبكظم غيظه منها ؛ فلما طلب إليه الملك أن بدخل جناحها أحس أن أمراً بدبر له في الحفاء، فرجا والده ألا بدخل وأن تخرج إخوته لتحيته، ولكن الملك لم يوافقه على رأ به وأمره بالدخول فدخل طاعة له.

ولم بكد سياوخش بدخل حتى أسرعت سرذبة إليه واحتضنته بذراعيها وراودته عن نفسه فدفعها مستعصها وخرج . . ودخل الملك عند زوجه فوجدها مضطربة غاضبة ، فسألها فاتهمت ابنه بأنه ضمها إلى صدره فدفعته ونهرته وأمرته بالخروج طردا

وغضب الملك فحرج إلى حيث ابنه ، وسأله فى عنف عما كان منه فقال: هى راودتنى عن نفسى فدفعتها عنى وفررت منها. قال الملك: النار تحكم بيننا يابنى ، إن النار أحرقنك فهى صادقة وأنت من الكاذبين ، وإن كانت عليك برداً وسلاماً فهى كاذبة وأنت من الصادقين .

وأقبم حفل الابتهال ، وأشعلت النار فى وسط الميدان ، وصعد لهيبها حتى علا قمم الجبال ، واصطف قادة الجيش ورجال الدين على الجانبين انتظاراً لما تحكم به النار ، وجاء سياوخش راكباً فرسه

« شب رنك ، فاقتحم النار وخرج منها من غير سوء ، فصلى الناس ودعرا ربهم ، وجمع الموابذة الحطب المتخلف من الحفل وبعثوا به إلى بيرت النار فى أطراف إيران ، تبركا وتقرباً من الله .

وأدرك الملك براءة ولده وخيانة زوجه ، فدخل القصر غاضباً حانقاً ولكن سوذبة استطاعت بخداعها ومكرها أن تجعل غضبه فرحاً وحنقه رضا ، فعفا عنها ونسى ماكان منها .. ثم أمر بأن يولى ابنه إمارة بلخ ترضية له .

خرج سياوخش من النار وكان يظن أن الملك سيقتل سوذبة جزاء خيانتها وكذبها ، فلما رأى ما رأى من تسامح والده معها لم يستطع صبراً على البقاء في المملكة وأخذ يفكر في بلد يلجأ إليه .

وكان لأفراسياب ملك الترك وزير عاقل اسمه ويران، وقد علم هذا الوزير قصة الأمير الإيرانى فاتصل به وحبب إليه الالنجاء إلى توران، فهاجر . وهناك استقبله أفراسياب أجمل استقبال، وزوجه من ابنته، واختصه بحبه، وأصبح لا يعقد أمراً في بلاده من غير مشورة سياوخش.

وكان لملك النرك ولدضعيف الهمة ، سقيم الرأى ، مريض النفس اسمه كرسفز ، وقدرحب بسياوخش أول الامر ولكنه حين رأى مكانته فى هبوط ومكانة زوج أخته فى صعود ولمس

ما بينهما من فرارق ، فى الفروسية ورجاحة الرأى وبعد النظر ، حنق عليه أشد الحنق وأخذ يتحين الفرص ليرقع بينه وبين والده وقد استطاع أن يتهم سياوخش بتهمة تبيحة عند أفراسياب فأهاجه فأمر بقتله فقتلوه ، وهكذا تمتل ملك الترك أمير إيران وبطلها سياوخش .

وبلغت الآنباء إيران وعلم الناس أن دم أميرهم قد أريق في بلاد الترك ، فغضبت أرواح الأبطال ودوى اللحن الحزين في الأسماع . أمارستم ، والى سيستان ، ومربى سياوخش ، فإنه لم يكد يسمع بالنبأ حتى امتطى صهوة جواده وسار قدماً نحو المدائن فلما بلغما اتجه نحو قصر الملك فدخل غير مستأذن وصعد إلى جناح سوذبة فدخل غرفتها فجذبها من شعرها وساقها إلى الميدان فقطعها بسيفه إربا إربا . ثم رفع العلم الحكاوياني وتقدم الجيش وانجه به تحو بلاد الترك لمحاربة ملكهم ، ودامت الحرب بين الشعبين سنوات قتل فيها آلاف من الترك والفرس .

كل هذا لأن كيكاوس كان ضعيفاً أمام زوجه سوذبة فأسلمها زمام نفسه .

#

ولو تتبعت يامر لاى تاريخ العظماء لما وجدت أحدهم استودع امرأة سرآ أواتخذها مشيرة. وانظر يامر لاى إلى الإسكندر وقدتهر دارا واستولى على ملكه فأراد بعض رجاله أن يزوجوه من ابنة الملك المقهور ، فأشاروا عليه بدخول والحريم ، حيث ابنة دارا التي ذاع حديث جمالها وعنوبتها ، وبجانبها بنات الأشراف وكابن على جانب عظيم من الجمال ، فقال الاسكندر لقد قهرنا رجالهم فلا تقهرنا نساؤهم ! ومضى فى الغزو نحو الهند ولم يدخل وحريم ، دارا .

* * *

وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: «شاوروهن وخالفه» ». وجاء في التاريخ أنه حين اشتدت على الرسرل الكريم وطأة المرض كان بجواره السيدتان عائشه وحفصة عليهما السلام، فسألتاه عن يصلى بالناس في أثناء مرضه فقال: أبو بكر. فأعادتا سرًا الهما فقال: أبو بكر قالت عائشة لحفصة: قرلى له إن أبا بكر رجل ضعيف رتميق القلب، وإنه أقرب الصحابة إليك، فإذا رأى مكانك من الناس شاغراً غلبه البكاء فتضيع صلاته وصلاة الناس، فالأولى بإمامتهم عر فإنه قوى رابط الجأش. فغضب النبي عليه الصلاة والسلام وقال ما معناه مثلكا كمثل يوسف وكرسف، وإنى لن أسمع لكارأ با وقد أمرت عما فيه خير المسلمين، اذهبا إلى أبى بكر وقو لا له بؤم الناس للصلاة. هذا مع ما كان لعائشة من رأى وعلم، فا بالك يامو لاى سائر النساء!

قال ملكشاه: وماقصة يوسف هذه يا أبا الحسن؟

ا يوسمن وكرسمت

فقال نظام الملك:

كان ذلك أيام بني إسرائيل ، وقد قيل إن الله تعالى يستجيب ثلاث دعوات لمن يعبد الله أربعين سنة ولا يرتكب كبيرة أو صغيرة . وكان يوسف رجلا متعبداً زاهداً يخشى الله ولا يسىء إلى أحد .

وكان يعيش مع زوجه كرسف وأولاده فى قناعة وسعادة ، وقد آن ليوسف أن يدعر ربه ثلاث دعوات ، ولم يجد غير زوجه مشيرة بالذى يدعو ، فإن صلاحها من صلاحه ، وليس أصدق منها ناصحاً له .

فلما سألها قالت: ليس لى فى هذه الدنيا سواك، وأنت منى نور العين، ويطيب بصحبتى عيشك، فادع ربك أن يجعل لى جمالا ليس مثله جمال حتى أدخل على نفسك السرور كلما وقع نظرك على. فدعا يوسف ربه أن يمنح كرسف جمالا ليس لواحدة من بنات حواء، فصارت.

وأبصرت كرسف وجهها ذات يوم فى المرآة فإذا هى كالملاك الكريم جمالا ورقة ، وألفت نفسها زوجاً لهذا الزاهد المنعبد القانع الذى لاتجد عنده غير شظف العيش، والذى لا بعرف إلى كسب الحياة سبيلا ، ورأت أن جمالها جدير بملك عظيم يوفر لها أسباب السعادة الحقة ، وبغدق عليها من الخيرات والنعم، ويهبها من اللآلىء والجراهر مايزدان به جمالها. هكذا وسرس لها الشيطان فأخذت تؤنب زوجها على فقره و تقاعده عن الكسب ، وأهملت أطفالها .

وأحس يوسف مافى زوجه من صلف وغرور ، ورآها تهمل بيتها وأولادها ولا تستمع لنصحه ، فرفع إلى السهاء رأسه ودعا ربه أن يعاقب كرسف فيجعلها دبة تهيم على وجهها ، فصارت .

وأخذت الدبة تحوم حول البيت وتلتصق بجدرانه والدمع من عينها ينهمر ، واضطر يوسف أن يرعى أو لاده وبيت بنفسه ، وأصبح لايقدر على تأدية الصلاة في وقنها ، ورأى أطفاله وقد امتلات قلوبهم حزناً لفقد أمهم .

فرفع رأسه إلى السهاء مرة ثالثة ، ودعا ربه أن يعيدكرسف كاكانت من قبل، فعادت إلى حالتها الأولى، وانتهت الدعوات الئلاث وأصبح يوسف وقد ضاع عليه نسك أربعين سنة 1

كل هذا لأنه اتخذ من زوجه مشيراً .

وأختم حديثى بأن أذكر مولاى بالآية الكريمة : • الرجال قوامرن على النساء ، فلا تستمع لمشررتهن يامولاى ، واجعل من ابنك بركيارق خلفاً لك ، يحافظ على دولتك ويخلد اسمك ، فإن له من كبر سنه ، ووفرة تجاربه ومرانه على فن الحريم ما يؤهله لوراثة ملكك العظيم .

وحذار يا مولاى من الإنصات لتركان خانون ، فإنها تريد أن تغريك بجالها وفدنتها وأن تحملك على جعل ولاية العهد لطفلها منك و تبعد ولدك بركيارق عن عرشك ، فاجعل العهد له ، واعقلها يا مولاى وتوكل .

(سیاست نامه ۴۶)



ا كص في بيت دروبين

سطا لص على بيت درويش بالليل ، وأخذ يفتش لعله بجد شيئاً يسرقه ، وكان الدرويش مستيقظاً واللص ينقب فصاح به:

إنى فى ضوء النهار لا أجد فى هذا البيت شيئاً فاذا تربد أن تجد فى ظلمة الليل البهيم ؟

(کلا)



جعفراليرمكي

اجتمع لسليان بن عبد الملك من أسباب الملك مالم يكن لأحد من آبائه ، وقد جلس يوماً ومن حوله حاشيته وكأن بنفسه أن يقرل: إن الله وهبه من الملك ماوهب سليان الحكيم، إلاأنه لا تذعن له الطير ولا تطيعه الجن . وبينها هر يفكر في هذا إذ بادره أحد خاصته بقوله : إن الخليفة مع ما أتيح له من عظمة الملك وأبهة السلطان ينقصه شيء واحد هو زينة البلاط عند الملوك السابة ين . قال سليان : أفصح ، قال الرجل : ينقضك يامولاي وزير من أبناء الوزراء الاقدمين تزدان به المكتك وتستعين به في إدارتها .

قال الخليفه: ولكن أين أجد هذا الوزير؟

قال المتحدث: إنه بيلخ واسمه جعفر بن برمك (الجد) وهو من نسل البرامكة الذين وزروا للساسانيين منذ أيام أردشير بن بابك وقد زالت عنهم الوزارة حين ذهب ملك آل ساسان، وهم يترارثون — منذ الفتح العربي لبلادهم — القوامة على بيت نار النوبهار؛ كما

يتوادثون كتباً فى أصول الحكم وواجبات الوزير ، وضعها الآباء وزاد فيها الابناء ما جدمن تجاربهم ، ولست أرى من هو أجدر من جعفر هذا بوزارتك ، والرأى لمولاى .

وراقت الفكرة لسليمان فأمر والى بلخ أن ينادى جعفر بن برمك وأن يه طيه مائة ألف ديار ثم يوجهه إلى دمشق. وتمو بل البرمكي في رحلته الطويلة أحسن الاستقبال، فقد شاع أنه ذاهب ليتقلد الوزارة. وأمر الحليفة باستقباله استقبالا رسمياً في البلاط فاجتمع الأمراء ورؤساء القبائل وذوو الرأى لمقابلته، فلما بلغ جعفر القصر فتحت له الأبواب، ولم يكد يدخل قاعة العرش حتى و فف الحاضرون تحية وإجلالا.

ولكن الخليفة تجهم، وأمر بطرده شرطردة، وتمد استشاط غضباً وقال: خذوه فعلوه. وسانجه الحرس خارج القاعة، وظل الخليفة عابساً. وأما الحاضرون فكأن على رءوسهم الطير، إلى أن حان وقت الشراب، ولعبت الكئرس بالرءوس، وتفتحت أسارير سليان، وأمن الحاضرون غضبه.

قال أحدهم: بعثت يامولاى فى طلب جعفر ، وأحطته فى رحلته بعطفك ورعايتك ، وجلست تنتظر حضوره ، وهر شرف لم تمنحه أحداً من قبل ، ثم طردته من مجلسك وأنت غاضب عليه فهلا شرحت الىا الحكمة فى ذلك يامرلاى ؟

قال الحليفة: إنه دخل بلاطنا وفى يده السم، ولولا أنه من أبناء الوزراء الدابقين، وقد أمرنا بإحضاره من بلد قصى، لأمرنا بقتله صبراً (١)

قال صاحبنا: إذا أذن مر لاى سرت إليه لاستبين الامر فإنى أرى فيه سراً، فأذن الخليفة له.

وأجاب جعفر سائله بأنه يحمل السم فى خاتمه ولكنه سم لايضر حشرة حقيرة فى الارض وهر لايفكر فى إيذا ، مخلوق به ، وقال إنه ورث الحاتم وما يحتويه عن آبائه الوزراء الذين حملوه لازدراد ما فيه من السم إذا انتضى الحال ذلك ، فكثيراً ماكان الملوك يغضبون عليهم فيصادرون أموالهم ، ويعرضون للبرار أرواحهم ، قال: وحين نادانى الحليفة خشيت أن يطلب إلى ما لا قبل لى به ، وخفت أن يأمر بتعذيبي عذا با لاقدرة لى على احتماله ، فلبست الحاتم لاسرع إلى موت بابتلاع سمه قبل العذاب الأليم .

وعلم الخليفة سر حمل جعفر السم فى خاتمه ، فراقت له الفكرة ورضى عنه ، وأمر بأن برسل إليه حصان من خيوله المطهمة وبأن

⁽۱) لم يرد اسم البرامكة أيام الساسانين فيما نعلم من مصادر تاريخهم ، والمعروف أن جعفر البرمكي (الجد) وفد على عبد الملك كطبيب للأمير مسلمة (٨٦ – ٧٠٠) . وسموا البرامكة من صل برمكيدن بمعنى المص أى مص السم . اظر مادة برمك في : (فرهنك المخمن آزاى ناصرى) .

يحضر راكباً إلى البلاط .. واستقبله أجمل استقبال ، ثم أمر بإعداد غرفة الشراب فزينت بالذهب والفضة وفرشت بالبُسط المنسوجة من الذهب الخالص ، وبدت القاعة فى أبهى حلة ظهرت بها .

ثم انتقل الخليفة ووزيره الجديد والحاشية إليها وأخذوا فى الشراب.

ولما اطمأن جعفر إلى الخليفة سأله : كيف عرفت يامولاى أنى أحمل السم مع أن أحداً لم يفطن لذلك ؟

فقال الخليفة: إن معى سراراً هر أثمن كنوزى جميعاً، لا أنفصل عنه، ولا هو ينفك عنى، وهو عشر صدفات تشبه الجزع (نوع من الصدف) وليست منه، وجدته فى خزانة أحد الملوك فإذا أدخل فى غرفتى طعام أو شراب مسموم أو دخل من يحمل سماً، اضطربت الصدفات وفقدت هدو مها، وبفضل هذا السوار عرفت أنك تحمل السم، وقد كان يزداد اضطراب صدفانه كلما تقدمت منى، ثم نزع الخليفة السوار من يده وأراه لجعفر، وسأله إذا كان قد رأى فى حياته شيئاً أعجب ما يرى.

فقال البرمكى: نعم يامولاى ، ما رأيت مع حاكم طبرستان .

پ پ پ
 عرجت على آمد وأنا فى الطريق إلى دمشق عملا بأمر مولاى

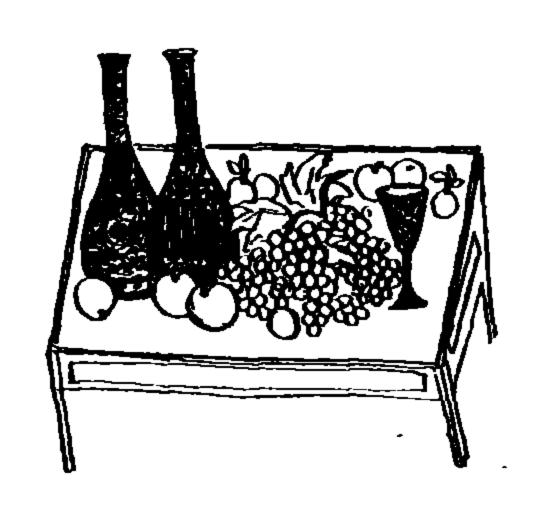
فاستقبلى حاكمها وأنولى ضيفا عليه وأحاطى بالرعاية والعناية ، وقد سأل إذا كنت أرغب فى رحلة بحرية ترويحاً عن النفس من مشقة الطريق فرافتت وركبا السفن ومعا أهل الموسيق والغناء ، ومن حوانا السقاة يديرون كئرس الشراب ، والجو صحو جميل ، وكنا فى سفينة واحدة وهو قريب منى ، فرأيت فى إصبعه خاتماً لم أر أجمل من النص الذى يزدان به ، فحدقت فيه طويلا ، فلما لاحظ ذلك انتزع من إصبعه وتمدمه هدية لى ، وخشيت أن تكون إطالة نظرى فيه قد أحرجته ، فرددته شاكرا معتذراً ، فألح فألححت فى الاعتذار عن القبرل ، فتال: إن ما يخرج من يدى هدية لا يعود إليها ، فأكدت اعتذارى فأخذ الحاتم من يدى وألقاد فى اليم المصحت أسفاً وقلت : لو عرفت أنك ملقيه فى البحر الاخذته .

قال: إلى حين أطلت النظرفيه علمت أنه راق في نظرك أكثر عابروق لى . وها أنت ذا تحزن لقراره في قاع البحر، دلكن واجد الوسيلة لإخراجه ورده إليك . ثم أمر خادماً بأن يعود إلى البر وأن يذهب إلى القصر ويطلب من الحازن أن يعطيه الصندوق الفضى المذى في الحزانة ، وأمر ربان السفينة التي كنا بها بالتمهل . وعاد الحادم يحمل صندوقاً فضياً صغيراً ، فتاوله الحاكم وأخرج من منطقته مفتاحاً ففتح به الصندوق وأخرج منه سمكة من الذهب الحالص ، وألقاها في الماء ، وبعد لحظة عادت السمكة وفي فها الحائم

المفقود. ثم نزع جعفر الخاتم من إصبعه وأراه للخليفة ، فأعجب هذا به ورده إليه وقال: إن ذكرى كرم هذا الوالى لايجوز أن تضيع.

ولبث شأن البرامكة في الارتفاع حتى قلب لهم الدهر ظهر المجن فزالت دولنهم . وما قصدت بهذا الحديث أن أعرض على مولاي من شهير من قصصهم ما يعرف وإنما قصدت ذكر القواعد اللازمة لاختيار الوزير الكفء الذي يعلم واجبه نحو الدولة . وما القصص إلا ليسهل على مولاى القراءة ، وفقك الله وأرشدك إلى ما فيه صلاح الدولة والدين .

(سياست نامة ٢٤)



و النصح الأست

سمعت أن ملكا أمر بقتل أسير، فأخذ هذا يشتم الملك، فإنه وقد بنس من حياته لم يقم وزناً لقدر أحد، وإذا بنس الإنسان طال لسانه.

وكان الملك بجهل لغة الأسير، فسأل ماذا يتول: فتال وزير طيب إنه يقول: «والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس، فأشفق الملك عليه وعفاعه.

وكان فى الحضرة وزير خبيث فقال: لايليق بنا نحن الوزراء أن نكذب على الملك: إن الاسير يشتم الملك ويطيل لسانه فى سبه.

فتجهم وجه الملك وقال لهـذا الوزير الخبيث: إن كذب صاحبك أحب إلى من صدقك، فتد قصد الخير وقصدت الشر، ولم يعدل الملك عن عفره.

(کلتان)



حدثتك يا مركاى عما ينبغي على السلطان من رقابة وزرائه وولاته ، واليوم أسعد بالتحدث إليك عن موقفك من الماليك الأتراك الذين كثروا في الدولة منذ أيام الخليفة المعتصم. فقد كان هذا الخليفة يحبهم ويؤثرهم على سائر مواليه ، واتسع نفوذهم حتى لتى الناس منهم كثيراً من المظالم والآلام ، وقد از داد عددهم في عهدك السعيد يامولاى، ولا عجب فإن انضهام القبائل التركية للدوحة السلجوقية وارفة الظلال كان أمراً لا بدمنه ، والماليك النرك هم خير من يدافع عرب حدود البلاد، وخير من يفتح ويغزو ، وبفضلهم تتسع الدولة وبكثر عدد المسلمين فيعتز الإسلام ، وتحد أشرت على مولاى بانباع سياسة والده العظيم وألب أرسلان، فى استغلال قوتهم وحبهم للنظام وميلهم إلى الحرب والفروسية وتعصبهم الشديد للدين الحنيف، فتكون الحدود لهم مستقرآ ليحموها ويدفعوا أعداءنا عنها ، وليسهل قيامهم منها للغزو والجهاد في سبيل الله .

وعلى الملك الصالح أن يراقبهم أدق المراقبة ، وأن يسأل عن سلوكهم ، وألا يتوانى في تو نيع أشد العقر بات على من يعتدى منهم على الماس ، فإنهم طغاة في الحرب ، بغاة في السلم ، لا بقف في سبيل شهواتهم قانون أو سلطان . فإذا وجدوا الملك يقظاً في محاسبتهم خافوا بأسه وشدة مراسه وخضعوا لما يفرض عليهم من نظم .

هكذا كانت سيرة المعتصم منهم، فإنه بقدر تدليله لهم والإسراف في منحهم وتميزهم على بقية مزاليه، لم بكن بتوانى عن الضرب على أيديهم إذا ما ابتدروا أحداً باعتداء. ولعلك سمعت عن مملوك بغداد وما جرى منه وكيف عافبه الخليفة المعتصم.

* * *

فقد حدث أن أميراً تركياً من الماليك ـ وكثيراً ما كان المعتصم يرفع عبيده إلى هذه المرتبة ـ طلب من نائبه أن يدله على تاجر يقرضه خميائة دينار على أن يردها إليه حين وينرجها الكريم ، ويأتى ربع الإقطاع . قال الوكيل: إنى أعرف تاجراً متوسط الحال لديه المبلغ الذى تريده . فإذا ماداه الأمير وأجلسه في مكان الشرف من مجلسه ، وطلب منه أن يقرضه هذا المال فإنه لا يتأخر . فبعث الأمير رسوله للتاجر وتقابل معه فى قصره مقابلة ودية ، وقد أخذ الأمير في الثناء على التاجر ووصفه بالأمانة والتقوى وحسن السمعة ، وقال : إنه لثقته به يفكر في أن يشركه والتقوى وحسن السمعة ، وقال : إنه لثقته به يفكر في أن يشركه

فى مشروعاته المالية ، وطلب إليه أن يعتبر قصره بيتاً له وأن يعامله كما يعامل الأخ أخاه . وجاء وقت النداء فأجلسه الأمير على يمينه وأخذ يختار له ما طاب من كل صنف ، وبلح عليه أن يا كل وأحاطه بكل إجلال ومجاملة .

وانتهى الغداء ، وانصرفت حاشية الأمير ، فبق مع التاجر على انفراد فحدثه عن سبب استدعائه ، وأخبره أنه يعرف أثرياء بغداد جميعاً ، وأنهم يحبرنه ويرغبرن فى أن يشركهم فى أعاله ، قال : وأنا أستطيع أن أقترض منهم عشرة آلاف ديناد ، إلا أنى آثرتك فأقرضنى ألف ديناد ، وأنا أردها إليك بعد خمسة أشهر ، ومعها كسرة كاملة ، فلم يستطع التاجر أن يرفض ، ولو أنه اعتذر عن عدم وجود المبلغ كله ، إلا أنه يستطيع دفع ستهائة ديناد ادخرها مع الزمن الطريل المرير . فقبل الأمير هذا القدر وأعطاه إيصالا و تعهدا برده مع الكسوة ، ثم انصرف التاجر .

ومضت الأشهر الخسة، وكثر تردد التاجر على الأمير، فلم يبد هذا أية إشارة على تذكره الدين الذي اقترض . . . ويئس التاجر من التلبيح فكتب التماساً وقدمه للأمير فأجابه بأنه متذكر ، وأنه أمر نرابه بدفعه . . . وانتظر صاحبنا على غير جدوى . . . ولجأ إلى الوسطاء من أصدقاء الأمير فذهبت جهرده وجهودهم عبثاً . . . فهرع إلى القضاء ، وبذل القاضى كل ما يماك من وسيلة ، ولكنه

فشل فى أن يرد للتاجر درهما من دينه . . . فيئس الرجل وأسلم أمره لله .

وذهب إلى الجامع يصلى ويبث ربه شكواه ، ورفع يديه للسماء ودعى ربه أن يظله بحابته وأن يرد إليه حقوقه . . . وسمعه درويش بجانبه فسأله عن أمره فقص عليه قصته .

قال الدرويش: هدى، من روعك ياصاحبى ولا تيأس فإن الحق فى هذا العهد لا يضيع، اذهب إلى وحى الجامع، وادخل الدكان الصدير المجاور للباب، تجد خياطاً متواضعاً، فاستأذن وقص عليه قصتك، يحضر إليك مالك من الامير.

فذهب التاجر ، ولتى الخياط وقص عليه قضيته ، فأمر هذا أحد الصبيان أن يترك الإبرة وأن يذهب إلى قصر الأمير ويخبره أن الخياط يطلب إليه أن يرد مال التاجر الذى استدانه فقد انقضى أجله . وبقى التاجر متعجباً مما يرى ويسمع ، وعاد صى الخياط فأخبره أن الأمير حاضر ليرد للتاجر ماله وليعتذر إليه عن تأخير السداد . وبعد لحظات جاء الأمير فنزل عن حصانه وقبّل يد الخياط، وحيا التاجر وأعطاه ما عليه من دين معتذراً ، وانصرف .

لم يدر بخلد التساجر أنه سيصل إلى حقه ، ولم يلجأ إلى الخياط إلا تسلية ومحاولة بأس. فلما رأى ما رأى ، عرض عليه أن يأخذ

مائة دبنار، فنظر إليه الخياط مزاخذاً وربت على كتفه معتذراً... فعاد التاجر بلح وأعاد الخياط الاعتذار والرفض... وذهب التاجر إلى بيته يتفكر فيمن بكون هذا الخياط، وما شأنه ؟ وفي اليوم التالى أحضر حملا مشوباً، وأصنافاً من الحلوى وسار إلى الخياط، ورجاه أن يأكل مما أعد له، فطيب هذا خاطره، وتناول بعض الطعام ثم أعطى باقيه للصبيان...

谷 袋 袋



اذان في غير اوات

ثم سأل الناجر الخياط عن قرته وسر سلطانه على الأمير مع عجز القاضى عن تحقيق العدالة حياله ، فسكت الخياط قليلا ثم قال إن لهذا قصة سأغصها عليك ، قال :

. . .

كان بيغداد أمير تركى ذو سطوة وجبروت، ولم يكن أحد يجرؤ على مراجعته أو نقد أعماله ، وكان الحكام يخشون بأسه فلا ينصتون لشاك منه . فطغى التركى وبغى و تكبر . . وحدث أن كنت فى الدكان ذات يوم ، وإذا بالأمير يجر سيدة من شعرها ، والسيدة تصرخ ، وكلما رأت جماعة منا فى السوق رفعت صوتها بأنها سيدة شربفة وزوجة ذات عفاف ، وأن الأمير يخطفها لأمر فى نفسه ، وأن زوجها يطلقها إذا عرف أن الأمير اغتصبها غصباً . وعلا صراخ المرأة ، وأتباع الأمير من حرله يبعثون الرعب فى قلوب الناس ، فلم يجرؤ أحد منا على تخليصها من يدى هذا الوحش النائر . . فسرنا وراءه حتى إذا دخل القصر ، بعثنا إليه بأنا نريد

مقابلته ملتمسين تسريح هذه السيدة ، فردنا بخشونة وأمر جنده بطردنا وضربنا فانصرفنا أو قل ولينا منهم فراراً .

ذهبت إلى بيتى فلم أستطع النوم ، وكان من عادتى أن أؤذن الفجر فى الجامع المجاور لى ، وأنت تعلم أن السكران إذا اشتدت عليه وطأة السكر غلبه النوم ، فإذا أفاق لم يدر فى أى ساعة يكون فال بخاطرى أن أصعد المئذنة وأنادى لصلاة الفجر ، قبل ميعاده عسى أن يحسب الامير أن الفجر لاح ، فيترك للسيدة حريتها فتعود إلى بينها . فصعدت على المئذنة ورفعت صوتى مؤذنا ، فى غسير وقت الأذان . .

كان الحليفة المعتصم مستيقظاً وقتذاك، فلما سمع الأذان فى غير الأوان غضب، فنادى حاجبه فأمره أن يحضر هذا المؤذن الجرىء الذى يعبث بالدين وببيت الله . . فجاء الحاجب وساقنى غاضباً إلى الحليفة الذى لم يكديرانى حتى نهرنى مستنكراً ماأتيت من وزر ثقيل.

قلت فليهدأ مولاى وليسمع قصتى ؛ فلما سمع القصة ووقف على قصدى من الأذان فى غير الأوان ، هدأت نفسه وشكرنى وقر بنى منه . . ثم أمر الحراس أن يذهبوا إلى قصر الأمير ، وأن يحضروه مكبلا ، وأن يخرجوا السيدة ويذهبوا بها إلى بيتها وأن يعتذروا لزوجها عن اعتداء الأمير ، وأن يبلغوه أن الحليفة مقتص منه قصاصا عادلا . . .

وجاء الامير فلم يستطع أن يدحض ماروى عنه ، فأمر الحليفة بأن يوضع فى كيس وأن بضرب بالعصى ، فظلوا بضربونه حتى دقت عظامه وصارت هشيماً ... ثم ألقوه فى دجلة . وأمر الحليفة بإذاعة قصته بين الناس ليعلموا أن الامراء الترك الماليك ، مها بلغوا من القوة والبأس ، فإن الحليفة حاى المسلمين والقائم على تنفيذ شريعة الله قادر على أن يخضعهم ويذيقهم مر العذاب بما يأ ثمون .

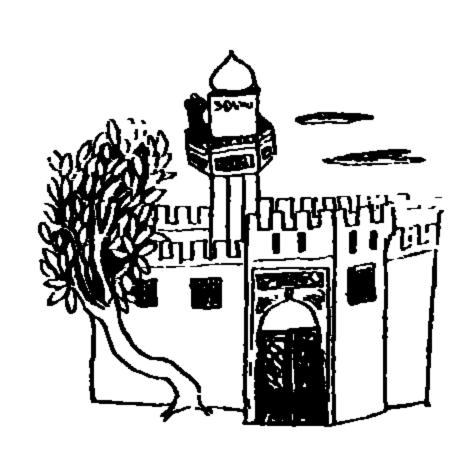
وأما أنا فقدعلت مكانتي عندالخليفة ، وحمد لى شجاعتي في الحق وإيمانى بالله ، وطلب إلى أن أؤذن كلما رأيت ظلماً لم أستطعله دفعاً . ولذا أذعن _ ياصاحبي _ الامير الذي أخذ نقودك ، عندما طلبت منه أن يرد دينك إليك ، ولو لا ذلك لاذنت ولدفع الثن غالياً من حياته.

\$ \$

هكذا يامولاى ينبغى أن يكون سلوك الملك من مماليكه ، وإذا كان هذا سلوك المعتصم الذى سبقك بأكثر من قرنين ، حين كان الأتراك قلة وكان وجودهم بوصفهم موالى للخليفة ، فما بالك وأنت اليوم فى دولة تقوم على الأتراك من القبائل التى انضمت إلى أسرتك الرفيعة . .

إن على الملك الصالح ألا يفرق بين أمير وصغير فى مملكته، فكلهم رعاياه، وكلهم يشارك فى عظمة الدولة، وقد يكون نصيب الصغير في مجدها أعظم من نصيب الأمير . . فلا تدعن أحداً منهم يعلو في الأرض ، ولا تصبرن على ضيم أصاب أحد رعاياك . . . واضرب على يد من يستكبر على أخيه ، إذا لعب برأسه جاه المنصب أو ما خلعت عليه من نعم . . . فإن الواحد القهار أقامك فينا لتأمر بالمعروف و تنهى عن المنكر ، وأما كيف يكون ذلك فحسبك من سيرة المعتصم مرشداً و دليلا .

. د سیاست نامه ۷ »



رأى السلاجقة حين صار الأمر كله إليهم فى الشرق الإسلام أن يقسموه إلى إقطاعات ، وأن يولى رؤساء القبائل التركية إدارته ، على أن يعمل هؤلاء الرؤساء على تعمير إقطاعاتهم وجباية الأموال المستحقة عليها ، وليس لهم أن بأخذوا من الناس غير الضرائب المفروضة ، وعليهم جبايتها بالحسنى ، وإذا دفع الحر"ات ما عليه من الضريبة فن حقه أن يكون آمناً على نفسه وأمواله وعياله .

ولكى يتوفر للناس الضمان فى أن السلطان برعاهم ، إذا مسهم من أصحاب الإفطاع ضر ، وجب ألا يحول أحدهم دون دخول الافراد القصر لرفع مظلمة أو إثبات حالة . وإذا خالف أحد أصحاب الإقطاعات ذلك نزع منه إقطاعه ، وناله عقاب شديد ، ليكون مثلا لغيره وعظة للآخرين . وعلى الناس أن يعلموا أن الإقطاعات وساكنيها ملك للسلطان ، وأن أصحاب الإقطاعات والحكام حراس عليها من قبله .

وأنا أحدثك يا مولاى عن أنوشروان وسيرته فى الرعية و بقظته فى حمايتها من جور العال. فقد ولى أنوشروان العرش شاباً فى الثامنة عشرة من عمره ، وكان أبوه قباد متساهلا مع الحكام ، منغمساً فى اللهو ، حتى فشت فى أيامه آراء مزدك التى قلبت فى إيران الاوضاع فأفسدتها كما قدمت يا مولاى .

وكان أنوشروان عادلا بطبعه منذ صباه ، يحق الحق ويدحض الباطل ، فلما خلف والده ، وخلص له العرش ، جمع حكام الأقاليم والأشراف ونصحهم بالرفق بالرعية ، وإقامة العدل بين الناس ، يعزل من يخرج على نصحه ، ويقتل من يعتدى على أحد رعاياه .. وانصرف الحكام إلى ولاياتهم ، فساروا سيرتهم الأولى ، يظلمون الناس ، ولا يعبأون بنصح الملك ، واستمر الحال على هذا المنوال خمس سنين ، وأنوشروان يعلم ماير تكبون من أساليب الجور وفنون الظلم ، و لكنه اتبع الصبر والمداراة .

وكان أقوى هؤلاء الحكام وأكثرهم ثراء وجاها قائد ولاية آذربيجان، وقد أرادهذا، أن ينشىء لنفسه حديقة ومنزلا صغيراً في ضواحي البلد الذي يقيم به ، وكان جزء من الجهة التي اختارها علوكاً لعجوز فقيرة .

كانت العجوز قانعة بما تملك ، فقد كان كافياً لأن تدفع من غلته الضريبة التي يتقاضاها الملك وأجر الحراث الذي يعمل في المزرعة ، وينبق بعد ذلك ما يكفل لها أربعة أرغفة كل يوم ، فكانت تعطى رغيفاً لبائعي اللبن والخضروات مقابل ما تأخذه

منهما، ورغيفاً للبقال نظير ما تأخذ من الزيت لتضيء سراجها ، ورغيفاً تأكله في غدائها ورغيفاً في عشائها . أما ملابسها فكانت تأتيها صدقة من جيرانها ، وكانت تؤثر الوحدة ، فهي حبيسة كوخها لا تخرج منه إلا لحاجة ماسة ، ولا تكلم أحداً إلا كارهة ، ولكنها مع هذا الفقر كانت قريرة العين ، شاكرة لربها جزيل نعمه علمها .

وأراد الحاكم أن يأخذ مزرعتها الصغيرة والكوخ الذى تسكنه ، فأرسل إليها من يبلغها رغبته وأنه يسره شراء كوخها والمزرعة ، فأجابت بأنه يسرها أكثر أن تحتفظ بهما ، لأنها لا تملك من حطام الدنيا غيرهما ، ولأنها تأكل من المزرعة ومن ذا الذى يبيع مورد رزقه ؟

قال رسل الحاكم: إنا سندفع لك ثمن ما نأخذ وإن شئت نعطيك مزرعة بدلا من مزرعتك ، فاعتذرت العجوز بأنها ورثت مزرعتها عن والديها ، وأن ماء الرى قريب منها ، وأنها سعيدة بحيرانها لانهم يحترمون بؤسها ، وهذه كاها ميزات لا تتوافر فى مزرعة أخرى ، وناشدت رسل الحاكم أن يتركوا مزرعتها .

وعلم الحاكم أنها رفضت أن تعطيه المزرعة والكوخ ، فلم يتوان فى استغلال قوته ، فأخذ المزرعة عنوة وهدم الكوخ وأقام السور حول الحديقة الغناء التي غرسها ! أما العجوز فقد أبصرت نفسها ولا بيت يؤويها ولا مزدعة تأكل منها ، وألفت الحاكم قد غضب عليها ، فلم يبق لها حام ولا راع ، فراحت تتوسل إليه أن يعطيها ثمن ما غصب أو بدلا مما أخذ ، وكلما خرج إلى الصيد انتظرته فى الطريق ورفعت بالشكوى والتوسل صوتها ، فكأن فى آذانه وقراً فهو أصم لا يسمع ، والتمست من ضباطه أن يبلغوه شكواها. قالوا : إنا فاعلون ، سخرية منها .

ومضى عامان والعجوز فى فقر مدقع ، تأكل من فتات الناس وتعيش على عطفهم ، وكل لحظة تشتكى إلى الله ، حتى كادت تيأس من رحمته . . . إلى أن مر بخاطرها ذات يوم أن فى « المدائن ، ملكاً هو ملك الملوك ، وهو فوق حاكم آذربيجان ، وهو قادر على أن يرد لها مزرعتها أو ثمنها أو مزرعة أخرى بدلا منها ، ولكن كيف تسمعه شكواها ؟

فعزمت على السير إلى المدائن ، ولم تطلع أحداً على عزمها ، ثم مشت قدماً ، يضنيها بعد الشقة ، ويشد أزرها الأمل ، حتى بلغت المدائن وأشرفت على قصر الملك . ولكن كيف السبيل إلى دخول هذا القصر ومقابلة سيده ، ومن قبل كانت عاجزة عن دخول قصر حاكم آذربيجان الذي هو خادم للملك ؟

ورأت أن من الخير أن تلجأ إلى مكان قريب من القصر ، وأن

تسأل عن موعد خروج الملك للصيد ، وأن تتقدم إليه بقضيتها حين تقابله وجهاً لوجه .

ويشاء القدر أن يخرج الملك إلى الصيد وفى حاشيته حكام الولايات جميعاً ، فذهبت العجوز واختبأت وراء شجرة ، وحين بلغ أنوشروان مكانها ، بادرته — ولما ينزل عن حصانه — قائلة : إذا كنت ملك الدنيا فارحم التي جاءتك تشكو ظلم واليك 1 فأدرك أنوشروان أن أمراً ذا بال حملها على أن تلجأ إليه وأن تسلك هذا السبيل الصعب لمقابلته ، فافترب منها ، وهدأ روعها ثم استمع إليها . . . واغرورقت بالدمع عيناه ثم قال : خفني عن نفسك يا أماه فإن قضيتك بالامس هي قضية الملك منذ اليوم . . .

ثم أمر أحد حجابه أن يعنى بأمر العجوز البائسة وأن يحملها على حصانه إلى رئيس القرية لتقيم فى بيته ، حتى تستريح ، وأمر بأن تعطى كل يوم عشرة أمنان من الخبز ومناً من اللحم ، وخمس قطع من الذهب كل شهر . . .

وعاد الملك من الصيد وهو يفكر فى شكوى العجوز وكيف يحققها .

اختار أنوشروان غلاماً ذكياً من خدمه وكلفه أن يذهب إلى آذربيجان وأن يسأل عن قصة العجوز . . . وأظهر أمام الحكام

ــ ومنهم حاكم آذربيجان ــ أنه أوفد الغلام ليطلعه على حال المدن و القرى ومقدار ما ينتظر من غلات . . .

وجاء الغلام فأخبر ملكه أن العجوز الشاكية سيدة من أسرة نبيلة ، كانت تعيش مع زوجها وبنيها ، ولكنهم ماتوا جميعاً وتركوها وحيدة . . . وأناخ عليها الدهر فستها الفاقة ولم يبق لها إلا المزرعة التي كانت تأكل منها ، والكوخ الذي تأوى إليه .

وقضى أنوشروان نهاره وليله يفكر فى العقوبة التى ينزلها بهذا الحاكم الظالم، وفى اليوم التالى أمر حاجبه بأن يطلب إلى والى آذربيجان أن ينتظر حتى يناديه الملك، وأن يدع بقية الأشراف يدخلون القاعة حيث جلس الموابذة.

ودخل الملك القاعة فقام الجميع إجلالا ، وحين جلس أشار إليهم بالجلوس فجلسوا ، ثم قال : أريد أن أسأله أسئلة وأن تجيبونى عليها بضائركم ، فقالوا : سمعاً وطاعة . قال : كم يملك حاكم آذربيجان من النقود؟ قالوا : ألف ألف مرتين من الدنانير فوق حاجته . وكم له من الآنية والادوات ؟ له منها ما يساوى خمسائة ألف دينار ، وهى من الذهب والفضة . وكم له من الضياع والعقار ؟ ليس فى خراسان والعراق وفارس وآذربيجان مدينة أو ناحية إلا وله فيها القصور والاربطة وغيرهما مما يستغل .

وكم له من الخيل والبغال؟ ثلاثون ألفاً. وكم له من الغنم؟ مائتا ألف. وكم له من الجال؟ ثلاثون ألفاً.

وكم له إمن العبيد؟ له ألف وسبعائة غلام منهم النركى والرومى والحبشى، وله أربعائة جارية .

قال الملك: الرجل الذي عنده هذه الثروة والذي تجدون على مائدته كل يوم عشرين صنفاً من الطعام، عدا الحراف والحلوى، بماذا يعاقب إذا اغتصب رغيفين من الحبز القفار، هما قوت عجوز ضعيفة من عباد الله الصالحات؟

فأجابوا جميعاً: إنه يستوجب أشدعقوبة.

فأمر أنو شروان بسلخ حاكم آذربيجان، وبإعطاء لحمه للكلاب وبحشو جلده بالتبن. وأن يعلق على باب القصر . "م أمر بأن ينادى المنادون سبعة أيام بأن من يسلب غيره مالا مهماكان تافها، يلق مالتي هذا الحاكم الطاغية من عقاب . .

* * *

والتفت أنوشروان إلى الحكام والأشراف وقال: لأحمين الحل من الذئب، ولاقطعن الآيدي التي تنطاول معتدية، ولاقضين على المفسدين فى الأرض، ولأعمرنها بالعدل والأمن، فمن أجل هذا وليت العرش، ولو كان للقوى أن يفعل بالضعيف مايشاء ماأمد الله الملوك بتأييد من عنده ليقيموا العدل بين الناس.

ثم أمر بأن تعطى العجوز القصر الذى بناه الحاكم فى مزرعتها وما يتبعه من بساتين وأن تمنح الركائب والنفقات اللازمة لعودتها سالمة إلى بلدها ، ثم ودعها وسألها أن تدعو له فى صلاتها . وأمر بعد ذلك بفتح باب قصره للمظلومين من شعبه ، وقال : إن الأمراء والرعية جميعاً شعبى ، ولكن أفراد الرعية يدفعون المال والأمراء بأخذونه ا وينبغى أن تفتح أبواب قصرى للمعطين أكثر من فتحها للآخذين . .

ولو كانت أبواب القصر مفتوحة أمام المظلومين لما لجأت العجوز إلى الاختباء وراء الشجرة منتظرة ملاقاة ملكها وهو فى رحلة يصطاد . ثم أمر الملك بمد سلسلة من باب القصر إلى قاعة العرش ، بحيث يستطيع طفل فى السابعة من عمره أن يمسكها بيده وتنتهى هذه السلسلة بناقوس يدق فى القاعة ، فإذا أراد متظلم أن يسمع الملك شكواه ، فعليه أن يمسك السلسلة . .

* * *

وظل الناس يتمتعون بالأمن ، ولم يتلق الملك أى تظلم ، إلى أن كان ذات يوم ، سمع الملك الناقوس فأمر عبدين له بأن يذهبا للباب ويريا من الشاكى . وعاد الرجلان فأخبرا أنو شروان أنهما لم يجدا شاكيا ولكنهما وجدا حماراً ضعيفاً أجرب يحك جسده بحائط القصر فيمس السلسلة فيدق الجرس . فقال أنو شروان : بل إنه مظلوم جاء يشكو ظلم الإنسان له ، اذهبا إلى السوق وانظرا ماكان من أمره مع صاحبه .

فلما ذهب الخادمان إلى السوق عرفا أن الحمار كان لغسال في السوق ، وأنه ظل يستخدمه في نقل أحمال الملابس عشرين عاماً وكان يعلفه و يعتنى به في هذه المدة فلما كبر الحمار وأصبح غير قادر على الحمل ، و لا فائدة فيه ، سرحه صاحبه . وقد ظل سنة و نصف سنة يخبط في الطرقات، ويأكل بما يجود به الحنيرون عليه ، ولكنه منذ يومين لم يأكل .. فعاد الرجلان وأخبرا الملك بالقصة ، فأمرها بإحضار الغسال ومعه أربعة من أرباب العائلات في السوق ، فلما جاءوا أمر الملك الغسال ، على مسمع من صحابه ، بأن يعنى بالحجار ما عاش فإذا قصر في رعايته فإنه يقتص له .

(سیاست نامه ه)



الملك والمصروك

خرج ملك مع جماعة من خاصته للصيد فى فصل الشتاء، فأو غلوا فى السير، وأرخى الليل سدوله، وهم بعيدون عن المدينة، فرأوا بيت قروى فاقترح الملك أن يذهبوا إليه، حتى ينجو من البرد.

فقال أحد الوزراء:

إنه لا يليق بقدر الملوك أن يلجئوا إلى بيت قروى صغير، إناسنقيم خيامنا هنا ونوقد النيران فنبيت وتتدفأ .

وسمع القروى بهذا الكلام فجهز ما لديه من طعام وحمله إلى السلطان وأدى له التحية ثم قال:

إن قدر السلطان لاينزل بهذا القدر الضئيل من الطعام و لكنهم أرادوا ألا يرتفع قدر القروى .

فتأثر الملك بقوله وانتقل إلى بيته فقضى ليله فيه وفى الصباح منحه النعم والخلع فقال وهو يسير فى ركابه:

لم يتضع قدرك بتشريفك بيت القروى يا مولاى .

بل إن عمامة القروى بلغت الشمس لأنك مددته بظلك .

(کلستان)

قال نظام الملك:

وعلى الملك أن يكون واسع الحيلة ، ذكى الفؤاد ، وألا يقف جامداً أمام ما يعرض عليه من أمور ، ومن حق الرعية عليه أن يسهر على شئونها ، وأن يقضى الليالى متفكراً فى قضاياها ، وأنا أقص على مولاى ما عمله أسد الدولة مع قاضى نيسابور ، قال:

كان أسد الدولة من أكثر سلاطين الديالمة حرصاً على إقامة العدل بين الناس ورعاية مصالحهم ، وقد حدث أن كتب إليه أحد العيون يقول:

مولاى الم أكد أسير ماتى خطوة لتنفيذ ما أمرت به ، حتى قابلت شاباً شاحب اللون ، مغبر الوجه ، مئخناً بالجراح ، فابتدر فى بالتحية فحييته ، وسألته عن حاله فقال: « إنى أنتظر رفيقاً يصاحبنى إلى بلد فيها ملك عادل وقاض لا يظلم ، ، قلت : « أتريد ملكا أقرب إلى العدل من أسد الدولة وقاضياً أوفر عدلا من قاضى نيسابور ؟ ، فقال : نعم ، ولو كان أسد الدولة عادلا ، مهما بأمر رعيته ، لاستقام فقال : نعم ، ولو كان أسد الدولة عادلا ، مهما بأمر رعيته ، لاستقام

قاضيه ، ولكنه لم يفعل ، فهو غير عادل.. قلت: حدثنى عن أمرك لعلك تقصر بالحديث الطريق فقال:

اعلم أنى ابن فلان التــاجر العظيم ، وكان بيتنــا في حيكذا ، ويعرف أهل نيسابور ما ترك أبى من الثراء . وما خلف من خدم وعبيد . . وقد ورثت عنه هـذه الثروة الطائلة وأنا شاب . فعبثت ما شاء شبابي وفتوتى أن أعبث ، حتى أصبت بداء عضال بئست من البرء منه ، فنذرت للرحمن نذرا ، أن أهب للفقراء جانباً من ثروتى وأن أعتق موالِيَّ وأن أذهب حاجاً ثم أن أنضم إلى المجاهدين في سبيل الله ، إذا من ربى على بالشفاء . . وشفيت فوفيت بالنذر ، فأعتقت عبيدى نساء ورجالاً ، وأعطيتهم من المال ما يكفيهم ، وزوجت من أراد الزواج منهم . . ثم بعت أملاكى فوهبت جانباً للفقراء و بني لدى خمسون ألف دينار . . ورأيت أن من الخير أن أكتني بثلاثين ألفاً أنفقها في رحلتي ، وأن أودع العشرين ألفاً الباقية عند رجل أمين ، فاشتريت إبريقين من النحاس وضعت في كل واحد منهما عشرة آلاف دينار ذهباً ، ورأيت أن أولى الناس فى البلد برعاية أمانتي هو القاضي ، فذهبت إليه ، وأوقفتـه على قصدى ، واستودعته الإبريقين وسلمت عليه وانصرفت .

أديت فريضة الحج ، ثم سرت من الحجاز إلى حيث الفرقة التي تحارب الكفار فانضممت إليها ، وذهبنا لحرب الروم فوقعت

في الأسر ، بعد أن أثخنت في الجهاد بالجراح ، ومرض ملك الروم ، وخاف أن يلتي ربه ظالمها فأفرج عن أسرى المسلمين ، فأخذت أتكسب عيشي بشق النفس ، وسرت من بلد إلى بلد حتى بلغت نيسابور بعد غيبة عشر سنوات . . وقابلت القاضي فأنكرني ، ولم أكن أستطيع أن ألجأ إلى أقاربي وصحى بعد أن طالت غيبى عنهم، وقد تغير حالى مما لقيت من ذل الفقر وقسوة الأيام ، فكنت أبيت في المسجد وأتوارى عن الناس في النهار .. لا أطيل عليك الحديث، ذهبت للقياضي المرة تلو المرة ، فكان ينهرني ويطردني ويتهمني بالجنون، فلم أر بدأ من أن أعرض عليه خمسة آلاف دينار مما استودعته، فأبى . . فعرضت عليه إبريقاً بما فيه ، وذكرته بعذاب الله يوم القيامة فكأن في آذانه وقرأ ، ثم التفت إلى وقال: إذا لم ترجع عن التحدث إلى في هذا فإنى مخاصمك أمام القضاء وسترى أن جنَّة بك . . فخرجت من عنده يائساً ، وأدركت أنه لن يرد إلى ذهى، وذكرت المثل السائر: إذا فسد اللحم أصلحوه بالملح ولكن ما الحيلة إذا الملح فسد ١ ؟

وختم يا مولاى حديثه بقوله : لو أن أسد الدولة كان عادلا لما يئست من تحصيل ذهبي .

* * *

فلما اطلع أسد الدولة على هذا الخطاب أمر بإحضار الشاب

فسمع منه شكواه فقصها كما رويت له فى الخطاب من قبل، وحاد السلطان فى هذه القضية ؛ فإنه كان يخشى معاقبة القاضى قبل التئبت من صحة أقرال الشاب، وقد عرف القاضى بالتقوى وسعة العلم، فأخذ يفكر فى طريقة يثبت بها خيانة قاضيه.

وفى ذلك الوقت كان القاضى سعيداً ، وكان يحدث نفسه بأن الشاب صاحب المال لن يمتد به العمر بعد ما لتى من هوان الفقر وخيبة الأمل ، وقد أثخنته الحرب جراحاً وهدمت كيانه . . وأن المال الذى وقع غنيمة فى يده لاسبيل إلى استرداده .

ودق باب القاضى فإذا برسول منأسد الدولة يناديه ، فلما ذهب عند السلطان قال هذا له:

أتدى لماذا أرسلت فى طلبك؟ إنى بتراءى لى شبح الموت ، ومهما يكن فأنا أخشى أن يسلط الله على ملكا ينتزع منى ملكى كا انتزعته أنا من قبل ، أو أن يدركنى الموت الذى لامفر منه ، وأنا أخشى الأمرين جميعاً ، فلتجعل كلامى إليك سراً لايطلع عليه معنا غير ربك ذى الجلال ، إن لدى من الأموال ما لايحصى ، وأديد أن أحفظه عندك ، فإذا كان أن غيبت عن العرش لأحد الأمرين ، ووجدت ولدى و نسائى فى يوم ذى مسغبة ، فاعظهم المال الذى لديك . وليكن الله شاهداً على ما بيننا وهو نعم المولى و نعم الوكيل .

ثم أمره السلطان بأن ببنى فى بيته خزانه كبيرة تسع الصناديق التي تحوى اللآلى والفضة ، وأعطاه مائتى دينار ليجهز بها البناء.

وبعد أيام عاد القاضى ليخبر السلطان أنه أعد المكان، فشكره وامتدح همته وشهامته واستقامته ، ثم قال : إنى أعددت ألف ألف وخسمائة ألف دينار ، وما يساوى خسمائة ألف دينار من الامتعة التي سيشتريها التجار لتحتفظ بثمنها ذهباً ، وإنى حاضر عندك غدا لارى المكان الذى أعددته لحفظ المال ا ورأى السلطان منزل القاضى وأعجب بحسن إعداده لمكان النقود، وأمره أن بحضر يوم الثلاثاء ليدبر نقل الاموال إلى الدار.

* * *

عاد السلطان إلى قصره فأمر خازنه أن يعد مائة وأربعين إبريقاً وأن يملاها ذهباً ، وثلاثة أكياس من اللؤلؤ ، وكأساً من الذهب ملؤه الياقرت الاحمر ، وآخر ملؤه اللعل ، وثالثاً ملؤه الفيروز ، وأن توضع هذه أمام الاباريق . وجاء القاضي في الموعد المحدد ، فأراه أسد الدولة الاموال ، وقال : عليك أن تنقلها في منتصف الليل في يوم الإثنين من الاسبوع المقبل .

أما القاضى فانصرف إلى بيته مسروراً ، يؤمل فى الثروة التى تكون له عند ما يموت السلطان ، أو يخلع ، فيتنكر لأولاده ويستحوذ على أمانته التي أودعها لديه بوثيقة من الشرف غير مسطورة . .

وأما السلطان فقد أمر الشاب أن يذهب إلى القــاضى ، وأن يطالب بأمانته عنده ، وأن يعرد إليه . . .

* * *

دق باب القاضى فإذا بالشاب المريض يحييه، ويطلب الإبريقين اللذين أو دعهما عنده قبل السفر ويهدده برفع الأمر للسلطان... ويضحك القاضى ويرى أن الحير أن تظل نيته خافية على السلطان، فيشترى مائة وأربعين إبريقاً مع كؤوس ملؤها الجواهر يابريقين افيأخذ الشاب من يده ويجلسه بجواره، ويطيب خاطره، ويعتذر له بأنه لم يعرفه فى المرات الأولى، ويسلمه الإبريقين بما فيهما ...

و يعود الشاب إلى السلطان و يخبره أن القاضى أعطاه الإبريقين بما فيهما من ذهب، فيتأ كد من صحة اتهام الشاب له.

ويأمر أسد الدولة بإحضار القاض حافى القدمين ، عارى الرأس ، فجىء به ، وقد لـُف شال عمامته على رقبته ، وسحب منه كما تسحب البهائم

و بجرد القاضى من أمواله ، و يعوض الشاب من هذه الأموال بقدر ما لتى من ضيق ، و يُطاف بالقاضى فى أسواق المدينة ، و ينادى فى الناس أن هذا جزاء من أؤتمن فخان.

(سیاست نامه ۱۳)

واعلم يا مر لاى أن على الملك أن يعرف معرفة تامة ، أحرال بلاده من أقصاها إلى أقصاها ، وهذه بلاشك مهمة شاقة على ملك أتاح الله له ما أتاح لك من الفتح المبين حتى شملت دولتك بلادا عدة ، وهذه البلاد الواسعة تحتاج معرفتها إلى فسحة من الوقت ، ووفرة من الذكاء والعناء . . . ألا إن عبه الملك يا مولاى أثقل الأعباء طراً . والملك ، وإن توفرت له مظاهر الأبهة والجلال ، فإنه في الحقيقة مثقل الكاهل بما ألتي عليه ربه من مستولية الحكم النزيه . . .

وعلى الملك ألا يعتمد على ولاته فى المحافظة على الأمن ، بل عليه أن يشاركهم الرأى فى ذلك ، وأن يرسم لهم خطتهم التى ينبعونها . ألم تر إلى محمود الغزنوى ، وقد اغرورقت بالدمع عيناه ، حين أتنه امرأة تشتكى من عصابة كوج وبلوج التى سطت عليها فحردتها من أمرالها ، وهى نازلة فى خان دير كتشكين .

إنه لم يكن يعرف مكان هذا الدير ، فلامته وقالت : لا تفتح من البلاد إلا بقدر ما تستطيع أن تعرف و تدبر و تنشر الأمن ا كيف يطمع فى فتح العالم ملك لايعرف بلاده؟
اغرورقت عينا محمود بالدمع حين أنبته المرأة ولم يغضب، بل
أنصت إلى كلامها وأعطاها من الذهب بقدر ما سرق منها، ثم كتب
إلى واليه فى كرمان كى يتعقب المجرمين وبقتلهم أو يأتى بهم فى

الأغلال مصفدين.

فأجابه الوالى بأن كوج وبلوج بلاد تفصلها عن كرمان عوامل جغرافية تعوق سير الجيوش المنظمة ، وتتيح لأهلها الدفاع عن أنفسهم فى قوة ، وقد جلب هؤلاء على الشر والإيذاء ، وهو عن ردهم عن الغواية عاجز ؛ فلما علم محمود هذا ، استعان بالحيلة ليقضى على الأشرار ، وليقيم الأمن والسلام فى دولته .

كتب محمود إلى واليه فى كرمان أن يذهب إلى حدود كوج وبلوج وأن ينتظر بجيشه هناك ، حتى يبعث إليه رسولا لبدء القتال ثم أوعز لجماعة من التجار الراغبين فى الذهاب إلى يزد ، عن طريق كرمان أن يستعدرا للسفر ، فإنه سيبعث معهم حرساً من جنده الأشداء ، يقونهم شر عصابة كوج وبلوج . . وسر التجار بهذا فأسرعوا فى نهيئة قافلتهم ، وأعد لهم محمود حرساً من خمسين ومائة فارس على رأسهم أمير تركى ، وقال للأمير : انزل بإصفهان ، فارس على رأسهم أمير تركى ، وقال للأمير : انزل بإصفهان ، وأعلن من يريد الذهاب إلى كرمان من تجارها بالاستعداد للسيرمعك ، وأمكث بها عشرة أيام حتى يهيء التجار حوانجهم ، واشتر من هناك

عشرة أحمال من التفاح ، وحملها على عشرة جمال ، ثم سر بالقافلة إلى يزد ، فإذا افتربت من كوج فانزل ، ومر بالليل بإحضار أحمال التفاح فأدخلها فى مخيمك واثقب كل تفاحة بإبرة مغموسة فى السم الذى بهذه الزجاجة ، وضع التفاح المسموم فى السلال واجعلها فى مكان ظاهر ، و نبه على حر اسك بأن لاتمتد إليه يد أحد منهم .

ففعل القائد ما أمر به السلطان.

وسارت القافلة مع حراسها ، وكان لصوص كوج قد بثوا في إصفهان عيونهم ، فراحوا إلى ساداتهم ، وأخبروهم أن قافلة تقوم من إصفهان لم ير مثلها من قبل ، فإنها تحوى أكبر عدد من التجار ضمته قافلة ، وفيها من الأمـــوال والبضائع ما لاعين رأت ولا أذن سمعت ، وأن هذه القافلة تسير في حراسة جند لا يزيدون على خسين ومائة فارس . و فرح رجال العصابة بما سمعوا ، واستعدوا للهجوم على الفريسة الدسمة ، وأعدوا عدتهم وجمعوا من رجالهم أربعة آلاف رجل .

واقتربت القافلة من مكان العصابة ، وأتى حراس الطريق ينبئون الأمير بأن الحظر محدق ، إذا هو تقدم ، فإن اللصوص ينتظرون مقدم التجار منذ أيام ، وأن عددهم كبير لا تقوى جماعته على صدهم ، وأن الحير كل الحير في العودة من حيث أتى .

وجاء الليل فجمع الأمير التجار ، وكانت أخبار العصابة قد ترامت إليهم ، فارتعدت فرائصهم ، وظهر عليهم الذعر والهلع ، فطمأنهم الأمير ، وأكد لهم أن السلطان قد عمل على حمايتهم ، وأنه يعرف كيف يدفع عنهم السوء . . وطلب إلى شجعاتهم أن يحملوا أسلحتهم ، وأن يستعدوا للقتال حين يأمرهم ، ولكنه أخبرهم أن قطاع الطرق لا يعتدون بالقتل إلاعلى من يقاومهم ، فعلينا ألانقاوم إذا هر جمنا ، بل إننا سنترك البضائع والدواب ونولى الأدبار ، وسأسبقكم أنا ، وننتظر بعيداً عن أموالنا ، إلى أن يهي الله أمراً ليس في الحسبان .

* * *

ودنت الساعة وإذا باللصوص يسدون المنافذ على القـافلة، ويهجمون عليها من ثلاث جهات، وسيوفهم مسلولة . . فرجع الأمير وتبعه التجار، تاركين البضائع نهباً للناهبين.

ووجد اللصوص التفاح الإصفهانى معروضاً فى سلاله الجميلة ومحاطاً بالقطن حتى لا يفسد ، فأخذوا بتخاطفونه ويأكاون منه فى نهم أى نهم ا

ولم يكد الصبح يتنفس حتى صعد الأمير على ربوة وأطل على مكان القافلة ، فرأى اللصوص وقد تبعثرت أجسادهم بجوارها ، قتلهم الدى يحمله تفاح إصفهان .

ثم أرسل الأمير رسولا إلى والى كرمان ، وكان مرابطا بجيشه على حدود بلاد كوج ، يقول له يأمرك السلطان أن تدخل كوج وبلوج اليوم ، وأن تفتحها وتقتل رجالها ، وتجمع مافيها من المال المسروق وتبعثه للسلطان .. وأن تنادى فى كرمان بأن من سرق منه شيء فليطالب به .

وهكذا نجح محمود فى القضاء على العصابة الخطرة . (سياست نامه ١٠)



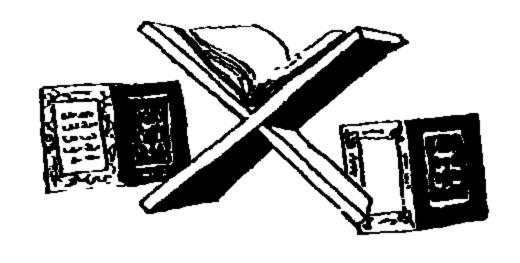
المتمان وحكمته

سئل لقمان بمن تعلمت الحكمة؟

قال:

من الجهلاء، فكلما رأيت عيباً فيهم تجذبته.

(كلينان)



قال ملكشاه لوزيره: كم كان عظيما هذا السلطان الغزنوى ، إننى معجب به ، راغب فى تقصى أخباره ، فزدنا عنه قصصاً . فقال نظام الملك:

كان محود جالساً ذات صباح لتفقد شئون رعاياه ، فجاءه شاب كسير الفؤاد ، وقال : وإنى أو دعت القاضى كيساً من الحرير الاخضر به ألفا دينار من الذهب النيسابورى ، وسافرت إلى الهند ، فوقع لى فى الطريق حادث ، حملني على العودة ، فذهبت إلى القاضى وسألته رد الأمانة ، فأعطانى الكيس الذى استودعته ، ولكنى عند ما فتحته فى بيتى ، وجدت نقداً من النحاس بدلا من دنانير الذهب ، وعدت إلى القاضى أطلب ذهبى ، فأنكر ذلك منى ، وولى عنى غاضباً ، فاسمع يا مولاى صوت الذى جاء يشتكى إليك ، خاوى الوفاض ، لا يجد قوت يومه ، .

فتأثر السلطان منقول الشاب وأمره بإحضار الكيس فأحضره. وأخذه محمود، وجعل يقلبه بين يديه فلا يجد علامة على أنه 'فتح، فقال للشاب: و سأعنى يا بنى بالأمر ، وقد أمرت بأن تعطى كل يوم ثلاثة أمناء خبراً ، ومناً لِماً ، وأن يصرف إليك دينار كل شهر ، إلى أن يتبين الحق فى قضيتك ، .

ودخل محمود غرفته ليستريح بعد الغداء، فرضع الكيس أمامه، وأخذ يفكر كيف استطاع القاضى أن يبدل الذهب نحاسا من غير أن يفتح الكيس؟ فجال بخاطره أن القاضى قد شق الكيس، فأخرج ذهبه ووضع النحاس، ثم بعث به إلى راف فأحكم رفوه.

وكان عند السلطان مقرمة (ستر) جميلة ، موشاة بالذهب ، تغطى بها الوسادة ، فقام بالليل، وشق المقرمة ، ثم نام . وفى الصباح الباكر خرج للصيد ، رحلة ثلاثة أيام .

وجاء الفراش الخاص لينظف الغرفة ، فوجد المقرمة بمزقة ، فهاله ما رأى ، وصاح باكياً . وسمعه فراش عجوز فى الديوان فسأله عما أبكاه ، فقال : لا أستطيع أن أخبرك عنه ، فهدأ العجوز من روعه واستوضحه الأمر ، فقال : إن رجلا يحقد على قد دخل القصر خلسة ، وشق مةرمة وسادة السلطان شقاً طوله ذراع ، وأنا مقتول لا محالة إذا علم السلطان . فسأله العجوز إذا كان أحد سواه قد رآها ، فقال : كلا . قال العجوز : إذاً فاهدأ بالا يا بى فإنى واجد ما يفرج كربتك ، وقد خرج السلطان للصيد ، وسيبق به ثلاثة أيام ، فخذ المقرمة ، واذهب إلى حى كذا ، وسل عن راف

اسمه أحمد، اعطه إباها يرفها بحيث لا يعرف أحد من أين رُفيت، وأعطه الآجر الذي يبغى ، فهر أمهر الرافين فى بلدنا ، وكل أهل هذه الصناعة هنا صبيانه .

وذهب الفراش إلى أحمد الرافى ، فأصلح هذا المقرمة إصلاحاً دقيقاً وطلب نصف دينار أجراً ، فأجره الفراش ديناراً كاملا . وعاد الفراش بالمقرمة إلى القصر هادى النفس ، قرير العين ، وغطى جما الوسادة ، وكأن شقا لم يكن بها .

* * *

وعاد السلطان من الرحلة، ودخل غرفته بعد الغداء، فألق على المقرمة نظرة فوجدها قد رفيت رفراً لم يستطع أن يتبين مكانه ، فأمر بإحضار الفراش فسأله عمن رفاها! فقال هذا، وقد كاد يغشى عليه: إنها لم تكن بمزقة يا مر لاى، وقد كذب الوشاة فادعوا ذلك.

ـــ لا تخف أيهـا الأحمق ، فإنى أنا مزقتها لغرض فى نفسى ، قل من رفاها .

ــ رفاها راف اسمه أحمد يا مولاى ، دلى عليه فراش القصر.

ــ اذهب وأحضره ، وقل له : إن السلطان يريد أن يراك .

وعاد الفراش ومعه الرافى ، فلما رأى هذا السلطان ارتعدت فرائصه ، فقال له السلطان : لا تخش شيئاً يا أوستاد (أوسطى) واقترب منى ، أأنت أصلحت المقرمة؟

نعم يا مولاي .

_ لقد أظهرت مهارة فائقة.

_ لقد نجحت بفضل ما يصاحب مولاى من التوفيق .

- أليس في هذه المدينة من الرافين من عاثلك؟

- كلايامولاى.

_ سأسألك عن أمر أحب أن تصدقني الإجابة عنه.

ــ ليس أصوب من الحق مع السلطان .

ــ أرفوتهذا العام كيساً من الحرير الأخضر فى بيت رجل عظيم؟ نعم يا مركانى ، فى بيت قاضى المدينة ، وكافأنى بدينارين .

_ فإذا رأيت الكيس فهل تعرفه ؟

ـ نعم يا مولاى .

فأخرج محمود الكيس من تحت وسادته وأراه للرافى فعرفه، فسأله السلطان عن مكان رفره فأراه إياه، وتعجب السلطان من دقة الصناعة.

قال السلطان: فإذا دعت الحاجة فهل تستطيع أن تشهد بذلك أمام القاضي؟

_ أشهد يا مولاى .

وأرسل محمود الغزنوى فى طلب القاضى وصاحب الكيس. فأمر بإدخال القاضى وكان صاحب الكيس مع الرافى ، خارج القاعة فأمر بإدخال القاضى ، حيا السلطان وجلس كعادته . فالتفت هذا إليه وقال :

إنك شيخ كبير وعالم، وقد وليتك القضاء فى أموال المسلمين ورقابهم، واعتمدت عليك، وفى بلادى ألفاً رجل أعلم منك، وهم عاطلون لا يعملون شيئاً، فهل يليق بك أن تخون الأمانة و تغتصب أموال غيرك؟

قال القاضى: مولاى ، ماهذا الكلام ، ماذا عملت ؟

هذا ماعملت أيها الكلب المنافق ، وأراه الكيس قائلا: هذا هو الكيس الذي أو تمنت عليه فأبدلت ذهبه نحاساً ثم رفرته ، وأعطيته لصاحبه محكم السداد كأنك لم تفعل به شيئاً! أهكذا تكون سيرتك وديانتك ؟

قال القاضي:

مارأيت هذا الكيس قط ، ولا علم لى بما يقول مولاى .

* * *

فأمر السلطان بإدخال الرافي وصاحب الكيس وقال: أيها

الكذاب الأشر، هذا هو الرافى وهذا هو صاحب الكيس، ومن هنا مزقته ورفوته.

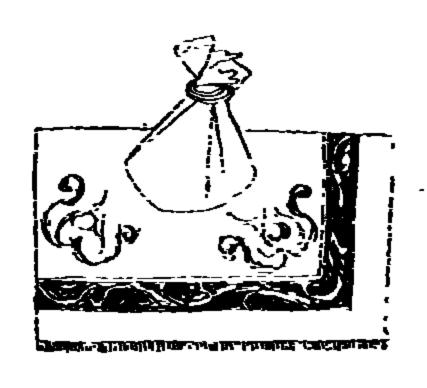
فخجل القاضي وهلي رعباً ، ولم يحر جواباً .

فقال محمود: اقبضوا على هذا الكلب، واحجزوه حتى يعطى الذهب لصاحبه فى التو وإلا ضربت عنقه.

فطلب وكيله فدله على مكانه فأحضرهذا ألفين من الدنانير، فأعطوها للشاب صاحب الكيس.

وفى اليوم التالى جلس محمود لنظر المظالم فقص على الملا قصة قاضيه ، شم أمر بإحضاره وشنقه على شرفة القصر ، على أن تدلى رأسه إلى أسفل ، فشفع له العظاء ، لانه شيخ كبير ، وقاض عالم . واشترى الرجل نفسه بخمسين ألف دينار ، فأخذوا منه المال وعزلوه .

(سیاست نامه ۱۳)



الحسمدلله -

ماشكرت من الزمان، ولا برمت بحكم السماء، إلا حين حفيت قدماى، ولم أستطع شراء حذاء، فدخلت جامع الكوفة وأنا ضيق الصدر، فرأيت رجلا بلا رجلين، فحمدت الله وشكرت نعمته على وصبرت على ما ابتلانى من حفاء.

(سعدی -- کلستان)



ا رقیق أصبح ملكا

قال ملكشاه: يزيدنى حديثك عن محمود الغزنوى إعجاباً به وبأسرته، فهلا حدثتنى عن أصل الغزنويين وكيف ملكوا؟ فقال نظام الملك: إن لهذا قصة طريفة يامى لاى ثم حكى:

كان لدى السامانيين رقيق تركى اسمه الپ تكين، اشتراه أحمد ابن اسماعيل، ثم خدم من بعده نصر بن أحمد، وظل برقى فى سلك الأرقاء، حتى بلغ مرتبة الإمارة أيام نوح، وكان عمره – حين أسند إليه إمارة خراسان – خسة وثلاثين عاماً.

وكان الب تكين هذاشجاعاً ، جسوراً ، مخلصاً لسادته ، محبوباً من جنده ، محباً لهم ، واشتهر فى زمانه بالعدل والحزم فأحبه الناس ، وقد لبث أميراً لحراسان أكثر من خمسين سنة ، وأثرى فكان علك الآلاف من الرقيق وذات مرة اشترى ثلاثين غلاماً ، من بينهم سبكتكين .

ودخل الحاجب على الأمير فأنبأه أن أحد رؤساء الخدم (وثاق باشي) قد مات، وسأله أن ينصب أحد الغلمان مكانه، وكان سبكتكين واقفاً، فأشار إليه البيتكين، وقال للحاجب: ارفعوا هذا الغلام إلى مرتبة وثاف باشى. فقال الحاجب: أترفعه يامولاى إلى هذه المرتبة ، فيلبس القلنسوة السوداء المطرزة بالفضة ، والثوب الحريرى الكنجى ، ولما يتم سنة فى الخدمة ؟ إنه بهذا يتخطى سبع سنين من العمل الشاق.

أما الب تكين فرد على حاجبه بأنه أمر وأمره نافذ ، وأما سبكتكين فانحنى أمام سيده حامداً شاكراً .

وفكر الب تكن ، وفكر الحاضرون معه ، فى أمر هذا الغلام ، ومن يدرى ، أهو حقيقة من نسل يزدكرد؟ أو أنه من السعداء الذين خلقر! ليَحكموا ملوكا ، لا ليُحكموا عبيداً ؟ وأحب الب تكن غلامه ، وأخذ يرفعه كل يوم درجة ، رفعه إلى رتبة آبدار ، فكان يسقيه وكان يصب له الماء وهو بتوضاً ، ثم جعله أميناً لغرفته ، وجعل تحت إمرته عشرة غلمان من الفرسان . ولم يبلغ سبكتكين الثامنة عشرة من عمره حتى كان على رأس مائتى غلام وأخذت تبدو عليه مزايا الب تكن نفسه .

وحدث أن أرسل الب تكنمائتي فارس، ومنهم سبكتكين، وأمرهم بتحصيل المستحق من الأمر ال على التركمان والخلج (١)،

⁽۱) قبيلة من العرب أقامت فى زاولستان وصاهرت التركبان ، وأمدت آسيا الوسطى بحياعة من القادة العظام، منهم محمد بن مختيار الذى استقل فى ۲۰۲/۵۰۲ وأسس أسرة انتهت فى ۱۳۹۸/۸۰۱ .

وذهب الجند لأداء ما طلب إليهم ، ولكن التركان والخلج أبوا أن يدفعواكل ما عليهم ، فاقترح بعضهم أن بلجأو اللقوة وأن يعودوا برؤساء العصاة مصفدين .

ولكنهذا الرأى لم يرق لسبكتكين، لأنه أمر بتحصيل المال ولم يؤمر بالقتال قال: وإنى أخاف أن نقاتل فنهزم، فيكون فى هذا خزى لنا، ومعرة لأميرنا.

وانقسم الجماعة بينمؤيد لسبكتكينومعارضاه، وعادوا وقد تفرقت كلمتهم . . .

ومثلوا أمام الب تكين فلما سألهم لماذا لم يقاتلوا ، قالوا ثبط سبكتكين هممنا . فلما سأله قال : منعتهم من القتال لأن مولاى لم يأمر به ، ولو حاربنا لكان كل منا سيداً لا عبداً ، وأول صفات العبد أن يطيع الأمر ، لا أن يأمر . ولو أنها حاربنا وهزمنا لسألنا الأمير بأمر من حاربنا ، فرنا إن شئت اليوم ، نذهب لقتالهم رخيصة أرواحنا ، فنعود بالمال وبرؤوسهم جميعاً .

فسر الب تكن بكلام غلامه، ورفعه درجة . وجعله رئيساً على ثلاثمائة فارس .

* * *

ومات الملك الساماني، نوح بن نصر، وكان الب تكن في نيسابور، فكتب له كبار القوم في بخاري ــ عاصمة الدولة ــ

يقولون: مات الملك عن أخ فى الثلاثين وولد فى السادسة عشرة ، فن منهما تنصبه ملكاً من بعده؟ وإنا برأيك عاملون ، فإنك أنت عماد الدولة.

فكتب إليهم يقول: إن أخا الملك وولده كايهما بالملك جدير، لانهما من أبناء ملوكنا، إلا أن أخا الراحل الكريم رجل كامل بحرب، يعرفنا جميعاً، وبعرف قيمنا، ويستطيع أن يتحمل عبء الملك. ثم بعث رسالة ثانية يؤيد فيها تنصيب الآخ.

ولم تمض خمسة أيام حتى جاء رسول من بخارى يحمل البشرى لألب تكن بأن كبار القوم قد نادوا بأبن الملك الراحل ملكاً للسامانيين ، فأسقط فى يد الب . وأخذ يسأل نفسه لماذا استشاروه وفى نيتهم أن يتصرفوا حسب هواهم ؟ قال : وولله للا مير الصغير عندى بمتابة نور العين ، وأخذ يفكر فى شعور الملك الجديد نحوه إذا بلغته الرسالتان اللتان تخلعانه و تنصبان عه على عرش أبيه ؟ !

وأرسل في التورسو لا لعله يوقف رسوليه السابقين في الطربق ولكن الرسول لحق ثانيهما ولم يلحق الأول ، الذي بلغ بخارى وأسلم رسالته إلى الملك الجديد.

وأثارن الرسالة فى البلاط السامانى سخطاً لدى أنصار الملك الشاب، قالوا قد أساء والى خراسان، وأخذوا يحدثون الملك عن

عمل اله على حرمانه من عرش أبيه ، الذى هو وارثه شرعاً ، ليلى عمه ، الذى لا حق له فى العرش ، وظلوا بتحدثون على هذا النحر ، حتى استشاط الملك غضباً على اله.

وحاول هذا أن يكفر عن خطئه ، فقدم الهدايا والطرف بغير جدوى ، فإن الغضب قد ملا قلب الملك ولم يبق لرفعه من سبيل ، وكذلك انطلقت ألسنة السوء بالوقيعة والدسيسة . . . وصورت الحاشية للملك خطر الب تكين عليه ، قالوا:

إنك لن تنعم بالسلطان ما بق الب تحكين، وقد أصبحت له المكلمة العليا على الجيش، فإنه بلى إمارة خراسان منذ خمسين عاماً، فإن أنت قتلته صارت أمر اله إليك، فامتلاً ت خزائنك من ماله، واستراح قلبك من خشيته، وصارت لك اليد الطولى فى الدولة كلها، فابعث إليه رسالة تدعوه فيها إلى بخارى، ليجدد لك الولاء، ولكى لا يرتاب فى دعوتك، قل له إنك لم تحضر منذ ولينا عرش أجدادنا لتجدد لنا فروض طاعتك، وإنا نرى فيك أبا كريماً، فأنت أساس حكرمتنا وعماد أسرتنا... فاحضر لبخارى نستبن فأنت أساس حكرمتنا وعماد أسرتنا... فاحضر لبخارى نستبن منك ما خنى علينا فى بلادنا، فتزداد ثقتنا بك، وتخرس ألسنة السوء التى تنطلى بالباطل فيك... فإذا حضر فاقتله فى غرفته، لتستريح منه ويخلو لك الجو.

وكان لآلپ نكين أصدقاء في بلاط الملك ، فبعثوا ينبئونه عا يدبر له من شر .

فلما بلغت رسالة الملك الب تحكين دعا هذا رجاله للرحيل إلى بخارى ، فسار من نيسابور إلى سرخس وفى صحبته ثلاثون ألف فارس ، وفى سرخس دعا ضباط جيشه وقال لهم : أتدرون لأى أمر دعانى الملك ؟ قالوا نعم ، دعاك لتجدد له العهد ، فإنك منه ومن آبائه كالوالد .

قال: كلا، ما لهذا دعانى ، إنما أنا ذاهب لألتى عنده حتنى ، فإنه غر لا يعرف قدر الرجال ، واعلموا أنى منذ ستين سنة وأنا أحمى ذمار هذه الدولة ، وأنا الذى دفعت عنها غارات خاقانات تركستان ، وأنا قضيت على الملاحدة فى ديارهم ، وما تذمرت أوغضبت يوماً ، وهاهوذا الملك يدبرلى اليوم جزاء سنهار ، جاهلاأن على كته جسد أنا رأسه ، فإن هو قطع الرأس فأى غناء فى الجسد ؟ وقد دعر تكم اليوم لتفتونى فى أمرى من هذا الملك .

قال الضباط: إن العلاج فى حد سيوفنا ، وما دام الملك يضمر هلاكك فأى شىء تنتظر ، لقد وليت إمارتنا خمسين عاماً ولو شئت لانتزعت الملك من آل سامان ، ومهما يكن فإنا نعرفك ولا نعرف الملك ، منك أرزاقنا ومنك جاهنا وما نرفل فيه من النعم ، وليس

أجدر منك رجلا، وإنا نطيعك، وخوارزم وخراسان ونيم روز مسلمة إليك، فمرنا بخلع منصور السامانى نخلعه ونولك، وإذا شئت أن تأخذ منه بخارى وسمر تند فإنا ناصروك.

فلما سمع الب تكين كلامهم قال:

عفا الله ، والله لقد دعر تكم اختباراً لا ائتماراً ، وأنا أعرف أن ألسنتكم تنطق بما تجيش به صدوركم ، والخير أن نتدبر الأمر وأن تعودوا إلى بيو تكم ، على أن يكرن موعدنا غداً ، ولننظر ماذا سيأتى به الغد .

فلما كان الغد عادوا ، فرقف الب تكبن بتحدث إليهم قائلا:
لقد أردت بحديثي معكم أن أعرف شعوركم نحوى ، وهل تكونون معى إذا أمر حزب ، فسمعت منكم جميعاً الوفاء لعهدى ، والاعتراف بنعمتى عليكم ، وقد أسعدنى ما قلتموه . ولكن المملوا أن الشر صرّح بيني وبين هذا الشاب ، ولم يبق من سبيل إلى دفعه بغير السيف ، وهم طفل بنصت إلى ألسنة السوء ، ولا يفرق بين الطيب والخبيث ، وهم يسعون بى لقتلى ، وأنا عماد الأسرة ، ولو أن العشر مسها لما استطاع هذا الصبي له رداً ، وإنى قادر على أن اخذمنه الملك وأولى عمه فيكون لى السلطان عليه . ولكنى أخشى أن يقول الناس خدم الب تكين السامانيين ووقاهم السوء ستين

عاماً طوالاً ، فلما بلغ الثمانين خرج على أبناء سادته ، استضعافاً لهم ، وأخذ الملك لنفسه ، فجحد بنعمتهم عليه . . .

وقد قضيت ما قضيت من العمر في حسن الأحدوثة وطيب المحتد، فلا يليق، وقد أصبحت قدمي على حافة القبر، أن أدنس اسمي، ولو أن الحق بجاني والعدوان بجانب الملك ، إلا أن الناس جميعاً لا يعرفون ذلك، وسيقول فريق منهم، إذا وقعت الواقعة، جني الب تحكين على الملك ... ومهما يكن فإنى لا أطمع في ملكهم، ولا أبغض دولتهم، ولكن أداة الشر لن تتوقف عن إيذائي ما دمت في خراسان ، وقد استخرت الله فهداني إلى أن أشهر السيف مجاهداً في سبيله ، فاعلموا أن خراسان وما وراء النهر وخرارزم ونيمروز تابعة كالها للملك منصور ، وأن عليكم جميعاً طاعته ، وقد قمت برعاية كم خدمة له ، فقوموا إذاً ، واذهبرا إلى بخارى، وجددوا له الميثاق، وأطيعوه مخلصين، أما أنا فسأذهب إلى بلاد الهند مجاهداً في سبيل الله ، فإذا مت كنت شهيداً ، وإذا أيدنى ربى فسأجعل مدن الكفار بلادا مسلة ، طامعاً في الجنة التي وعد الرحمن المجاهدين بها ، وسيعرف ملك بخارى ، إذا رق قلبه لي ، وغفر زلتی ، کم أحسنت صنعاً ، وکم کانت قیمة رجال جیش خراسان . . .

لم يكن أحد من الضباط يظن أن الب تكين سيترك حقاً خراسان ، وله خمسهائة قرية وله فى كل مدبنة منها وفيها ما وراء النهر قصور وحدائق ورباطات وحمامات ، وله آلاف الآلاف من الخيل والبغال والجمال ... فجعلوا يمرون من أمامه باكين مودعين ، واكنهم غير مصدقين ...

وذات يوم دق الطبل معلناً رحيل الب تكين ومعه غلمانه وحاشيته . وأما ضباط الجيش فقد ذهبوا إلى بخارى ، وقلوبهم مع الب . و بلغ هذا مدينة بلخ ، فأعلن فى الناس أنه ذاهب للجهاد ، ومكث شهرين ينتظر أفراج المجاهدين ، يفدون عليه من كل حدب وصوب .

وبلغ الملك السامانى ما اعتزم عليه الب، فجمع حاشيته للشورى فأشاروا عليه بأن يرسل جيشاً اتمتاله والقبض عليه ، فأرسل ستة عشر ألف فارس ، وعبروا جيحون ، فاضطر الب إلى أن يتجه ناحية خلم ، حيث عسكر في واديها الضيق ، ومعه من فرسانه مائتان وغلمانه الذين حنكتهم الحروب ، وثمانمائة مجادد من سائر البلاد ، وبلغ جيش الملك السهل فسد المنافذ على الب وجماعته ، وهكذا أغلق ، عنق الزجاجة ، عليهم . وظل الجيشان شهرين بغير قتال .

وجاءتنوبةسبكتكين، فخرجيستطلع أمرالعدو، فإذابه يجد

السهل قد عسكر فيه الرجال، وإذا به يجد طليعة العدو تستعد للقتال فعاد إلى البوقال له:

لقد تركت يامولاى أموالك ، وما أفاء الله عليك من نعمه لملك بخارى ، ووليت وجهك تبغى الجهاد فى سبيل الله ، وهاهم يقصدون قتلك ، وإنك ، وفاء بعهدك ، تبقى عليهم ، ولكن أخاف أن تورد نفسك موارد التهلكة ، فنهلك معك ، وعندى أن السيف خير حكم بينك وبين ملك بخارى .

ثم التفت إلى غلمانه وقال:

هذا يومنا ، وقد عزمت على لقائهم ، رضى الأمير أو لم يرض ، وليكن ما يكون .

قال هـــذا وسار فى طليعة فرسانه الثلاثمائة فخرج من وعنق الزجاجة ، فأعمل السيف فى طليعة العدو ، ثم أخذ بقية الجيش على غرة ، وقتل منهم أكثر من ألف فارس ، فقام الجند مذعورين ، فملوا أسلحتهم ، وامتطوا صهوات جيادهم ، ولكنه أفل راجعاً ، ودخل معسكره سالماً دون أن يتمكنوا من اللحاق به .

وبلغ الخبرال تكن فناداه، وقال له: كان التذرع بالصبر أولى من القتال. فقال سبكتكين: طال صبرى يا مولاى، حتى لم يبق فى قوسه منزع ، ووائله لندفعنهم عنك ولنقتلنهم حيث نثقف كم من

فقال الب تكين:

الآن ، وقد بدأت الحرب بيننا ، لم يبق إلا أن تأمر الرجال بالاستعداد للرحيل ، فلترفع الخيام ، ولتحزم الأمتعة ، ولنبدأ السير حين تؤذن الشمس بالمغيب، وعلى 'طغان أن ينتظر في كمينه يميناً ومعه ألف رجل ، وعليك أن نقف في كمينك يساراً مع ألف غلام، أما أنا فسأخرج من الطرف الآخر من وعنق الزجاجة. ومعى الأمتعة وألف مقاتل ، وسأسير فى السهل ؛ وسيحضر العدو في الغداة فيدخل حيث كنا فلا يجد أحداً ، فيظن أنى قد هربت بكم ، فيهطع فى أثرى ، وبخترق «عنق الزجاجة ، فعند ما يخرج أكثر من نصف جنده ، عليكم أن تخرجوا جميعاً من مكامنكم ، و تنقضوا عليه انقضاض الصاعقة ، فيقع الذعر فى صفوفه . ويولى فراراً منكم من لم تدركه سيوفكم ، وعندئذ نحيط بالوادى ، أنا فى القلب وأنتم على الجناحين، فنحيط بهم ونقتلهم على بكرة أبيهم، ثم نأخذ معسكرهم غنيمة .

وحدث ما توقع الب تكن ، وتم الأمركا رسم ، ودخل جنده معسكر العدو ، بعد أن من بالهزيمة ، فأخذوا ما فيه من خيل و بغال و جمال و أدوات الفضة و الذهب و النقود و الغلمان ، و تركوا الخيام و الأبسطة نهاً للناهبين من سكان القرى المجاورة

ورحل الب تكنحى بلغ باميان فحارب أميرها شيرباريك وهزمه وأسره ، ثم عفا عنه و ناداه بولده .

ثم سار إلى كابل فهزم أميرها وأسر ولده (حفيد لوبك)، فأحسن معاملته ثم رده إلى أبيه .

* * *

ثم قصد غزنين فخرج أميرها لويك لقتاله فهزمه ، وحاصر المدينة ، ووجفت قلوب أهل زاولستان (إقليم عاصمته غزنين) ، فأمر الب تكين بألا يعتدى أحد من جنده على الناس وألا يشترى جنده بضاعة من غير أن يدفعوا ثمنها ذهباً . .

\$ \$

وحدث أن وقعت عين الب تكين على غلامله ، قد حمل فوق ظهره كيساً من التبن وأمسك دجاجة فى يده ، فسأله من أين لك هذا ؟ فقال : أخذته من فلاح . قال : ولماذا لم تشتره بالذهب ، أست أنقدك عشرين كانياً (اسم عملة) فى الشهر ؟ ثم أمر بشطره نصفين ، وبأن يعلق على قارعة الطريق ، وأن ينادى فى المدينة ثلاثة أيام بأن من يأخذ أمر ال المسلمين بغير حق فسوف يلتى مالتى هذا الغلام من العذاب .

وشاع أمر عدل الب تحكين وحرصه على المحافظة علىحقوق

الناس. وأخذ أهل غزنين يتحدثون ويتناقلون القصص على عدله ورفقه وحسن إدارته، قالوا: إنا نريد ملكا عادلا نأمن فى ظله على أرواحنا ونسائنا وأموالنا، وليكن تركياً أو مراداً من العرب والفرس، ثم فتحوا أبواب مدينتهم فدخلها الب تكين.

واعتصم أمير غزنين بقلعة فيها، وظل بقاوم عشرين يوماً ثم استسلم.

واتخذ الب تكن من غزنين عاصمة لملكه ، وأسس الدولة الغزنوية ، وأخذ يرسل الحملات لفتح بلاد الهند ، فكانت جيوشه تذهب إلى هناك و تعود حاملة معها شتى الغنائم ، مع أن بين غزنة و بلاد الهند مسيرة اثنى عشر يوماً .

* * *

وشاع فى خراسان ، وماورا النهرأن الب تكن قداستولى على بلاد واسعة ، وأن جنوده يغزون بلاد الهند ، وأن الذهب والفضة والنعم تنثال عليهم انثيالا ، فأقبل النياس على اللحاق به ، وانضم إلى جيشه ستة آلاف فارس منهم ، فشجعه هذا على المضى فى فتحه فبلغ بيجاپور (بيقاپور).

وأما ملك الهند فقد جمع جيشاً عظيما قرامه مائة وعشرون ألف مقاتل وخمسة آلاف فيل، وعزم على قتال الب تكبنوطرده من بلاد الهند. واتصل بملك بخارى السامانى أن الب تكين قد فيض الله له فتحاً مبيناً ، وأن ملك الهند قد استعد لقتاله ، فجمع هو الآخر عدته ، حقداً على الب تكين ، وبعث لقتاله جيشاً على رأسه أبوجعفر ، فلما علم الب تكين بذلك أمر بترك جيش السامانيين يقترب حتى صار على فرسخ منه ، ثم أمر بالهجوم عليه فاضطر أبوجعفر إلى الفرار وأما الجيش الذي يتكون من خمسة وعشرين ألف مقاتل فقد تبدد شمله ، وهكذا جرت على جيش الساماني هزيمة أشد نكراً من هزيمته في بلخ وحلم ، وبهذين المعركتين أنهكت قوى السامانيين وأصبحت دولتهم فريسة سائغة لخانات تركستان .

ثم اتجه الب تحين إلى ملاقاة ملك الهند، وقد طمع الكثيرون فى خيرات هذه البلاد فانضموا إليه، وهكذا واجه ملك الهند بقوة كبيرة، وقد ظفر بالإحاطة به و بإنزاله فى مأزق لا يستطيع الخروج منه، فاضطر إلى أن يطلب الهدنة، وأن يعلن استعداده لتمكين الغزنويين من الثراء الذى يريدون، فأمر بأن تسلم إليهم القلاع، فقبل الب تحين هذه الهدنة، ورجع ملك الهند بجيشه، وتقدم البلستولى على القلاع، فوجد أبو إبها موصدة دونه، وعلم أن ملك الهند قد أخلف وعده، فأعلن ألاعهد بينهما، وهاجم القلاع وحاصر ما لم يسلم إليه منها وفى أثناء ذلك مات الب تحين.

واجتمع الجند الغزنويون فقال أحدهم: لقد أوقعنا الرعب في نفوس الهنود وحملناهم على خشيتنا فإن نحن أطلقنا العنال لنزواتنا الفردية ، وادعى كل منا أنه أحق بالزعامة ، فإن النصر الذى قيضه الله لنا ستعنى آثاره ، ويحل بنا من الهوان ما نعوذ بالله منه ، وسترتد إلى صدورنا السيوف التى قتلنا بنصالها أعداءنا ، فالأجدر بنا أن نختار أشجعنا وأمضانا عزماً ليكون ملكا علينا ، فنبايعه ونخلص له كما بايعنا وأخلصنا لالب تكون ملكا علينا ، فنبايعه

واختارا لجماعة بإجماع الآراء سبكتكين خلفاً لألب ، وهكذا أصبح الرقيق ملكا لأقوى دولة في زمانها .

⇒ 🕏 💠

وكان سبكتكين موفقاً فى حياته ، وقد تزوج من ابنة حاكم زاولستان ، فولدت له ابنه محمود الغزنوى أشهر ملوك الغزنويين الندى طالما حدثت مو لاى عن سيرته .

وقد مرن محمود على فن الحكم فى أيام أبيه ، فإنه كان يصحبه فى غزواته الكثيرة ويشركه فى إدارة شئون البلاد ، ولذا فإنه ، حين أصبح ملكا ، استطاع أن يوسع الدولة فبلغت أوجها فى عهده ولكنه على ما أنيح له من الملك العظيم ، ومع ما فتح الله عليه

فى الهند، فقد بلغ سمنات، مع هذا كله كان يطمع فى الألقاب وبحبها، حتى إنه خاصم خليفة بغداد، لأنه لم يمنحه لقباً طلبه، وكاد يعزله عن الخلافة ويولى عباسياً سواه.

قال ملكشاه: هذا مع أن محموداً كان سنياً مخلصاً ، وكان من أشد حماة الحليفة السنى غيرة عليه . فحدثنا يا نظام عن حبه للألقاب ومخاصمته خليفة بغداد من أجلها ،

(سیاست نامهٔ ۲۷)



مَ شبخ الطريقية

من الله على عبد شتى بالتوبة عن الذنوب و دخول حلقة أهل التحقيق، وهكذا أصبح صاحباً للدراويش و تبدلت ذما م أخلاقه عامد، ولكن ألسنة السوء امتدت إليه تنوشه كالرماح فتشكك في صلاحه وزهده.

وإنك قد تنجو بالتوبة من عذاب الله ، ولكنك لا تنجو من ألسنة الناس . فلم يطق ظلمهم ، وذهب إلى شيخ الطريقة يشكو ، فبكى الشيخ وقال :

إنك أفضل مما يظنون فيك فكيف لا تشكر هذه النعمة . أنظر إلى ، ظنوا في الكال ، وأنا أقرب إلى النقصان ا



السلطان مو والألقا.

الألقاب كما تعلم يا مولاى جعلت جزاء وفاقا على عمل نافع، وأكرم الألقاب ما منحه خليفة المسلمين للملوك، وقد كان محمود شغر فا بالألقاب، فالتمس من القادر بالله لقباً فمنحه لقب ويمين الدولة، وبعد أن فتح محمود خراسان و نيم روز والعراق والهند حتى سمنات، طمع في لقب جديد يتفق وهذا الملك الواسع ، فبعث إلى الخليفة ملتمسا لقباً جديداً وأرسل معرسوله هدايا كثيرة للخليفة ، ولكنه لم يجب طلبه .

واتفق أن أنعم الحليفة على خافان سمر قند بثلاثة ألقاب ، فلما سمع محمود هذا غضب وبعث إليه بقول: إنى فتحت بلاد الكفار ورفعت لواء الإسلام فيها والتمست لقباً فضننت به على ، ومنحت خاقان سمر قند ثلاثة ألقاب مع أنه تابع لى . . .

فأرسل إليه الخليفة يهدئ من روعه ويؤكد له ، أن الألقاب ترفع من قدر حامليها وأنك بحمد الله رفيع القدر بغيرها ، أما خاقان سمر قند فتركى جاهل بنشد الألقاب ليشتهر بها ، ولذا فإنى منحته إياها ، ولم أمنحك ما طلبت عرفاناً بقدرك وأنت تعلم مكانتك من نفسى . .

وكان عند محمود جارية لها ذكاء وقاد، وكان يؤثرها على جواريه ويستمع إليها وهى تقص الحكايات وسير الملوك، فلما رأته الجارية غاضباً سألته عما يدعوه إلى العبوس وإطالة التفكير؟ فقص عليها قصته مع الخليفه، وقال إنه يريد أن يظفر ببراءات ألقاب الخافان ولمن يحملها إليه أجر عظيم.

فقالت له الجارية: إنى ذاهبة عنده وسآ تيك بهذا الذى تريد ؛ واستعدت الجارية للسفر ، وأمدها محمود بكل ماتريد .

سافرت الجارية من غزنين إلى كشغر ، ومعها ابنها الصغير ، وقد اشترت كثيراً من البضائع والإماء والغلمان ، وسارت إلى سمرقند . .

وبعد ثلاثة أيام اتصلت بالخانون، زوج الخاقان، فأهدتها جارية حسناء، وأفهمتها أنهاكانت زوج تاجر غى، وأن زوجها مات فى الطريق، وأنها استعانت بالخاقان والخانون لدى خاقانات كشغر وأزبك، ولهذا فقد ساعداها على بلوغ سمر قند، وأكدت لها أنها ستبق مخلصة لها وللخاقان ما عاشت، وأقسمت على ذلك

بربها وبابنها الذى ليس لها غيره فى هذه الدنيا ، والتمست منها أن تتخذها جارية لها منذ اليوم ، فقد تعلق قلبها بها ، ولذا فقد عزمت على بيع حليها وما معها من بضائع لتشترى ضيعة قريبة من سمرقند وذلك لتبق قريبة من الخاتون ، فترىى ولدها و تنعم بعطف الخاقان وزوجه . .

وسرت الخاتون بلقاء الجارية ، ووعدتها بالمساعدة وأمرت بإعطائها بيتاً تسكنه ، ومعاشاً يكنى نفقاتها ، ووعدتها بأن تتحدث إلى الخاقان لبههاكل ماتريد . .

وسجدت الجارية للخاتون، وقالت لها: أنت منذ اليوم سيدتى، والتمست منها أن تهىء لها مقابلة الخاقان لتتحدث إليه، فأمرتها الخانون بأن تعود غداً . . .

‡ \$ \$

فلما رأت الخاقان أفهمته أن بضاعة زوجها قد أنفق جل ثمنها بين هدايا خان كشغر و نفقات الطريق ، ثم أهـدته غلاماً تركياً وجواداً مطهماً ، ورجته أن يقبلها جارية فىقصره ، عسى أن تتمكن فى ظله و ظل الخاتون من تربية الطفل اليتيم . .

وكانت الجارية تهدى الخاتون هدية جميلة من حين إلى حين، ثم كانت تقص عليها وعلى الخاقان من جميل القصص ما قربها منهما وجعلهما شديدى الحرص على مجلسها . . .

أنها كانت تمتطى جوادها وتخرج بعيداً عن سمرقند وتقضى يومين أو ثلاثة ، وتبعث رسولا يعتذر عنها عند الحاقان والحاتون بأنها تريد أن تشترى أرضاً فى القرية التى قصدتها ، فكان ذلك يثلج صدرى الاميرين فيقو لان إن الجارية تعمل على إدامة الإقامة بيننا .

وكان الخاقان وزوجته بغدقان عليها المنح ، ولكنها كثيراً ماكانت ترفض منحهما ، لأن أمنيتها الوحيدة فى الحياة - كما تقول ـ أن تسعد برؤيتهما ، وقد يسر الله لها قوتها اليومى . ثم كانت تؤكد أنها إذا رغبت فى شىء فإنها ستطلبه بنفسها .

وظلت على هذا النحو ستة أشهر ، إلى أن تمكنت من بيع كل أموالها بالذهب ، ثم أعطته إلى تاجر تعود الرحلة بين غزنين وسمر قند ، واتفقت مع خمسة فرسان على أن ينتظرها كل منهم في مرحلة من الطريق بين البلدين .

وراحت الجارية إلى الحاقان والحانون فقدمت تحية الصباح وقالت: إن لدى سؤ الا أخاف أن أتقدم به إليكما، فقالت الحانون أطلى ماشئت.

قالت: إنه لم يبق لى من دنياى غير طفلى اليتيم الذى أعلمه القرآن، والذى أرجى أن يوفقه ربه ببركة مولاتى ومولاى، وإنه ليس أعز، بعد كلامى الله ورسوله، من هذه البراءات التى تصدر

عن أمير المؤمنين ، وكاتبها خير من أقرانه جميعاً ، وإنى ألتمس أن يؤذن لى بأخذ هذه البراءات التي وجهها الخليفة لمولاى الخاقان ، ليقرأها ولدى مستعيناً بمعلمه في يومين أو ثلاثة . . .

فقالت الخانون: أهذا كل ما تريدين ، ليتك طلبت مدينة أو ولاية ا ولدينا من هذه الرسائل خمسون ، فقالت الجارية يكفيني واحدة يامولاتي .

قالت الحانون لخادمها خذالسيدة واعطها من الرسائل ما تريد، فذهبت الجارية معه واختارت الوثائق التي طلبها محمود الغزنوى، وانصرفت . . .

وفى الغداة أمرت بإعداد الركب لرحلة خمسة أيام، وأشاعت أنها ذاهبة لشراء أرض فى قرية بعيدة، ثم سارت إلى ترمذ، وكانت تقابل بالإجلال حيثًا نزلت ، فإنها تحمل أمراً من الحاقان يمنحا امتيازات خاصة ، وفى الليل أكلت رحلتها فبلغت بلخ قبل أن تعرف الحاقون أن صاحبتها قد قامت فى رحيه من رحلاتها . . . ومن بلخ سارت إلى غزنين فأسلمت محموداً الغزنوى البراءات التى كان بريدها . . .

و بعث محمود بهذه البراءات إلى الخليفة مع أحد الفقهاء المبجلين مذكراً الخليفة بهذا التركى ـ خاقان سمرقند ـ الذى ترك هذه

البراءات بغير رعاية أو عناية ، فتناولتها الآيدى ، وقد لقيها أحد رجال السلطان ، وكان فى جولة بسمر قند ، فى يد طفل يعبث بها محاولا قراءتها ، وهكذا استهتر الحناقان بهذه البراءات التى يمنحها الحنايفة ، بدلا من أن يجعلها فى مكان أمين حتى لا يعبث بها أحد .

وغضب الخليفة حين سمع هذا الكلام وأرسل يؤنب خافان سمر قند. وظل رسول محمود ستة أشهر بلتمس لقباً جديداً لسيده والخليفة لايأبه بما يطلب.

فكتب هذا الفقيه إلى قاضى القضاة يسأله إذا كان يجوز لسلطان يعمل لنشر الدين ويجاهد فى سبيل الله وهو بعيد عن الخليفة لا يستطيع أن يتصل به ليوقفه على أحواله ، أيجوز لهذا السلطان أن يقيم أحد بنى العباس خليفة ، ليكون قريباً منه ؟ فأجاب القاضى بالجواز .

فلما يئس الفقيه من الخليفة ، أرفق الفتوى بطلب اللقب وبعث بهما إليه ، فلم يكد هذا يطلع على الفتوى ، حتى أسرع فبعث حاجب للفقيه ، فلما مثل بين يديه أكرم وفادته ، وخلع على محمود لقب وأمين الملة ،

وهكذا ظفر محمود بلقب جديد ، ولكنه يامولاى لقب مغتصب ، وهذا الحادث ، وإن دل على ضعف محمود فى هذه الناحية فإنه لابننى عظمة محمود وجدارته ولاتعدم الحسناء ذاما .

(سياست نامه ١٤)

١٢ الملك والستائل

رأى ملك سائلا ، فقال له السائل : إنى أغنى من جميع ملوك الأرض ، إنى رجل الله .

فقال له الملك ،

فكيف تكون أغنى من الملوك؟

فقال:

لأن الملك رجل محتاج لأشياء كثيرة ، ولكن الدرويش لابحتاج شيئاً ، وأنا درويش ، فأنا أغنى منكم جميعاً .

(سعدی - كليتان)



يوم القيام والعمال الصائح

رأى رجل ميدان يوم القيامة فى منامه . وكانت الأرض ساخنة وقد اقتربت الشمس منها ، وابتلى الناس بالجوع والعطش وحمل المذنبون أوزارهم على رءوسهم ، وكانوا يقدمون الحساب عنها ، ويسيرون فوق الصراط ، فكان بعضهم يهوى إلى جهنم وقد نكست رأسه . وكان الميزان فى الوسط ، فى كفتيه الموازين والأعمال ، والناس جميعاً من الملوك إلى الدراويش ، من الأقوياء إلى الضعفاء ، مشتغلون بأعمالهم .

وكان كل نبي يحدث أمته قائلا: لقد بينت لكم أحكام الله، وحدثتكم عن يوم القيامة، وأمرتكم بالمعروف ونهيتكم عن المنكر ثم دعوتكم إلى عبادة ربكم وطاعته، فبأى الأحكام عملتم، وأى الأوامر أطعتم ؟

والخلاصة أن قلوب الناس، فى ذلك اليوم، كانت علومة بالدم وعيرنهم مملوءة بالدمع والندم .

وفى أثناء ذلك رأى النائم رجلا قد اتشح بثوب أزرق وعلى رأسه تاج الجنة ، وقد جلس فى ظل العرش الاعظم . فر به الرجل وسأله: أى عملصالح قدمت فى دنياك حتى كانت لك العقى ؟

فقال:

حفرت على حافة الطريق بئراً ، وغرست بجوارها شجرة ، وذلك ليشرب المسافرون والغرباء من الماء ويستريحوا فى ظلال الشجرة .

وقد أتى ، يوما ، فقير حافى القدمين ، عارى الرأس ، رث الملبس .. أتى فى هدوء ووقار واستراح ساعة فى ظل الشجرة ، فدعا ربه قائلا : « رب إنى آويت إلى ظل شجرة فلان ، رب ارحمه من عذاب يوم القيامة ، . فغفر الله ذنوبى ، وبلغت هذه الدرجة بفضل ما قدمت من الخير .

فلما استيقظ الرجل من النوم كان مصفر الوجه من الخوف ففر بئراً وغرس شجرة وبني مضيفة وقضى ما بتى منعره فى خدمة المسافرين والفقراء والغرباء

(جامع الحكايات)

المربض والبيطار

أصيب رجل ساذج بمرض فى عينه ، فذهب إلى بيطار وطلب منه أن يعالجه ، فوضع البيطار فى عين الرجل ما يضعه فى عين الدواب من دواء فعميت عينه .

فلما رفع الأمر للقاضي قال:

ليس على البيطار إثم، إذ لو لم تكن حماراً لما ذهبت إليه. (سعدى - كلمتان)



كان لأحد الملوك ولد قصير القامة نحيف الجسم ، وأولاد قاماتهم كالسرو ، وأجسامهم ضخمة ، فكان الملك يحره ابنه القصير ، وأدرك الولد شعور أبيه نحوه ، فقال له :

يا أبت إن قصيراً عاقلا خير من طويل جاهل، فليس كل من طالت قامته عظائمت قيمته، ألم تر إلى طور، أقل جبال الأرض، ولكنه أعظمها قدراً ومنزلا عند الله، ثم ألم تعلم أن الحصان العربى مع هزاله خير من الحمار السمين؟ فلما سمع الملك ذلك ضحك، و سُر أركان الدولة، وغضب أخوته.

وكان للملك عدو صعب المراس ، فأرسل جيشه ليحاربه ، فلسا التي الجيشان كان الأمير القصير أول من دهم العدو ، وكان جيش الملك قليل العدد ، فأشار جماعة بالهرب حتى لا يغلبهم العدو ، فصاح الأمير القصير بالفرسان أن يثبتوا ويقاتلوا حتى لا يلحقهم الحزى ، وقد ظفر جيش الملك بالنصر في هذه الواقعة .

وسمع الملك ما كان من إقدام ابنه وشجاعته فقبله واحتضنه ، وأخذت مكانته تعلو لديه ، حتى جعله ولى عهده ، فنقم عليه إخرته هـــذه الحظوة ، ودسوا له السم فى الطعام . وجاء الأمير القصير ليأكل ، وكانت أخته واقفة تنظر ما يفعل أخوته ، فخشيت أن يأكل أخوها من الطعام المسموم فأغلقت النافذة بشدة ، فتنبه الأمير للأمر ، وامتنع عن الأكل .

ولما علم الملك ما جرى بين أولاده، دعاهم وأنبهم، ثم خص كلا منهم بناحية من مُلكه، فأسرع الأولاد إلى إمارتهم فحكموها، وهدأ ما بينهم من نزاع.

وقد قيل: عشرة دراويش ينامون على كايم واحد، ولا يستقر ملكان على إقليم، ولو ظفر درويش برغيف أكل النصف وأعطى النصف الثانى للدراويش، ولو ظفر ملك بإقليم لطمع فى إقليم آخر. (كلمان)



الم الفارسي

حين ولى عمر بن الخطاب الخلافة ولتى سلمان الفارسي حاكما لمدينة في الشام ورتب له خمسة آلاف درهم .

ولكن سلمان لم يكن بنفق على نفسه من هذه الوظيفة، بلكان يشتغل فى أوقات فراغه بنسج الزنابيل من سعف النخل، فيبيعها و ينفق ثمنها، أما وظيفته فكان يتصدق بها على الفقراء.

فسئل عن حكمة ذلك ، فقال:

خشيت أن أنفق راتبي في لذائذ الحياة ، فأفقد من عبادتي بقدر ما أجد من لذة .

(جاءم الحسكايات)



الأصلالوضيع

كن جماعة من اللصوص فى رأس جبل ، وقطعوا طريق القوافل ، وارتعدت فرائص الرعية من مكايدهم ، وحار جند السلطان معهم ، فقد اتخذوا من أقلة الجبل ملاذا منيعاً ، يأوون إليه ، فتشاور رجال الدولة لدفع مضرتهم ، وخشوا إن تركوهم دأبوا على النهب والسرقة ، و تتعذر مقاوستهم ، ويستفحل خطرهم .

فإنك تستطيع أن تقتلع الشجرة التي غرست حديثاً، ولكنها إذا تركت، فتبت في الأرض أصلها، فإنك لا تستطيع اقتلاعها.. فقر الرأى على إرسال رجل ليتجسس على اللصوص، حتى إذا غادروا مكامنهم، أخبر الرجال ليذهبوا ويختفوا ويفاجئوا اللصوص في عودتهم.

وخرج قطاع الطريق فى غارة لهم. وكن لهم رجال السلطان، فلما عادوا ليلا واستولى عليهم النوم، داهموهم وقيدوهم وانتادوهم إلى السلطان، فأمر بقتلهم جميعا.

وكان بينهم فتى فى عنفوان الشباب ، وميعة الصبا ، فتدخل الوزير الطيب ، وشفع له عند السلطان ، وقال : هذا الولد، كما برى مولاى لم يذق ثمرة حياته ، ولا تمتع بشبابه ، وإنى لأرجو أن يتفضل مولاى فيمن على بحقن دمه . فتجهم وجه الملك وقال :

الخبيثون لا يتحلون بخصال الطيبين ، وإن التربية لاتجدى فيهم فالأولى أن يقطع دابرهم، وتمحى آثارهم ، والخير أن نقتلع أصولهم وفروعهم ، وليس من الحكمة أن تطنىء النار وتترك شررها ، أو أن تقتل الأفعى وترعى صغارها ! لو أن السحاب أمطر ماء الحياة فإنك لا تجنى من شجرة الصفصاف ثمراً ، ولن تجنى القصب من قش الحصير ، فلا تضع الوقت مع وضيع الأصل .

فله سمع الوزير هذا الكلام، اضطر إلى الموافقة عليه، وقال: إن ما أمر به مولاى هو عين الحقيقة، فإن هذا الفتى لو سلك سلوك الأشرار لتطبع بطبعهم، ولصار واحداً منهم، وأملى فيه أن تهذبه صحبة الاتقياء، ويتحلى بحكمة العقلاء، فإنه طفل بعد، ولما تتمكن منه سيرة أهل البغى والعناد، وقد جاء في الحديث يامولاى:

دما من مولود إلا ويولد على فطرة الإسلام ثم أبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه ، وأخذ يتكلم على هذا المنوال ، وأيده جماعة من الندماء ، فعفا الملك عن الشاب وقال : عفوت عنه ولو أنى لا أرى فى ذلك خيراً .

ثم إن الوزير أخذ الفتى إلى بيته ، ورباه تربية صالحة ، وعهد بتعليمه إلى أستاذ أدبب علمه حسن الخطاب ورد الجواب وسائر آداب الملوك حتى صار الفتى موضع أنظار الجميع.

وتحدث الوزير عنه عند الملك ذات مرة ، وقال إن تربية أهل الحكمة أثرت فيه ، وإن الجهل الذي كان فيه قد زال عنه ، فابتسم الملك وقال :

إن مصير ابن الذئب أن يكون ذئباً ولو شب مع الآدميين .

ومرت على هذه الحال سنة أو سنتان ، واتصل جماعة من أوباش المدينة بالفتى ، وتعاهدوا معه ، فانتهز الفرصة وقتل الوزير وولديه واستولى على ماله ، وسكن المكان الذى كان يلجأ إليه أبوه فوق قة الجبل ا

وبلغ الخبر الملك فقال:

إن التربية لاتصلح الوضيع، فالسيف البتار لا يخرج من ردىء الحديد، والمطر الذى لا خلاف فى لطافته، ينبت فى الحديقة زهرة اللالة، ويخرج فى الأرض الملحة، الأعشاب، إن استعال الطيبة مع الأشرار، كاستعال الحبث مع الأبرار.

(سعدى -- كلىتان)

الناعهان.

ذهب جماعة من أهل الحسكمة إلى كسرى يحدثونه فى شأن من شؤونهم ، وكان بزر جمهر جالساً مع كسرى ، ولسكنه أخذ يستمع إلى قول الحسكاء ولا يساعدهم .

فسألوه: لماذا لم تتسكلم لتؤيد قولنا عندكسرى.

نحن كالأطباء والطبيب لا يصف الدواء لغير مريض. وقد رأيتكم تتحدثون إلى الملك بالحق فلم أر فى كلامى فائدة لـكم.

(سمدی -- کلمتان)



فى عدل الموك وسيتهم

قال نظام الملك عدنًا السلطان ملكشاه:

أمرت يا مولاى أن أكتب لك هذا الدستور فلم يسعني إلا أن أصدع بالأمر ، وكم كانت مهمتى يسيرة عندما استلهمت سيرتك ، وتدبرت سياستك ، وأنت يامولاى منأتاح الله تعالى له كل أسباب المجد ووسائل الحلود . وقد أراد الله بهذه الدولة خيراً فنصبك عليها ملكا ، ولم يكن الملك عليك جديداً وجدودك يملكون العروش منذ عهد جدك العظيم أفراسياب . وقد وهبك ربك من الصفات الجميلة ، والطلعة البية ، والطبع المعتدل والعدل والشجاعة والعلم والشفقة والرحمة والوفاء والتمسك بالدين القويم ، وطاعة الله وتقدير العلماء وأهل الحسكمة ، ما يجعل ملكك سعيداً ، قوى البنيان ، وارف الظلال .

والركن الأول فى الحدكم الصالح أن يكون الملك عادلا يا مرلاى وقد قيل: والملك يبقى مع الكفر ولا يبقى مع الظلم، فعلى الملك أن يرضى ربه فى حكم رعيته واعلم أن الملك الذى يستمد قوته من حب شعبه له ، هو صاحب العرش المكين.

وقد حكى أن يوسف عليه السلام أوصى بأن يدفن بجوار جده ابراهيم، فلما مات هموا بدفنه حسب وصيته، فنزل جبريل من السماء وقال: ليس هنا مكانه، فإن الله سوف يحاسبه عن حكم الناس. فإذا كانت هذه حال يوسف الصديق فكيف بالملوك من الناس؟

وقد حكى عن عبد الله بن عمر أنه حين اقتربت المنية من أبيه سأله متى يراه بعد موته ، فقال عمر : أراك يوم القيامة إن شاء الله . فقال عبد الله : وددت لو أراك قبل ذلك .

قال عمر: إذاً ترانى فى الرؤيا بعد يومين أو ثلاثة من موتى .

ومضت الليالى الثلاث ولم ير عبد الله أباه . وبعد اثن عشر عاماً جاءه فى المنام ، فسأله عبدالله : ألم تقل ياأبت إنى أراك بعد ثلاث ليال من مو تك ؟ فقال عمر : لم يتح لى الوقت يا بنى ، فقد كان ربك يحاسبنى عن جسر تهدم فى أثناء فتح العراق ولم يصلحه العال ، فعثرت به شاة فكسرت ساقها .

* * *

فاعلم يا مركاى أن الله محاسبك يوم القيامة عن حكمك الناس فعليك ألا تفوض أمر الرعية ، التي اختارك الله لرعايتها ، لغيرك . وعليك أن تعرف ما يجرى بين الناس ، حكاماً ومحكومين ، سرآ وعلانية . وأن تضرب على يد المعتدين منهم ، وألا تظلم منهم أحداً يرعاك الله ويؤيدك ويسدد حطاك .

وإذا كان القضاء يصدر أحكامه باسمك لأنك تستمد سلطتك من الله الذى هو العدل، فعليك أن تكون على رأس القضاة، وأن تعقد محكمتك مرتين فى الأسبوع لتسمع شكاوى الرعية، فتدفع الظلم عن ظلم، ولمكى يتم ذلك على الوجه الأكمل، ينبغى أن يستمع الملك بنفسه إلى الشاكين من رعيته، وأن ترفع إليه جميع التحقيقات الخاصة بالقضايا المعروضة، فيدرسها بنفسه، ثم يصدر الحكم الذي يرى، متبعاً قواعد العدل والإنصاف. وكم يقل الظلم، ويتضاءل النزاع، إذا ما علم الكافة أن الملك يرأس محكمته الخاصة مرتين فى الأسبوع لسماع المظالم والقضاء فيها بنفسه، فإن الخاصة مرتين فى الأسبوع لسماع المظالم والقضاء فيها بنفسه، فإن هذا يرجع المعتدى عن عدوانه كما يرد من غوى عن غيه. وقدكان ملوك الساسانيين يحرصون على هذا التقليد أشد الحرص. (1)

\$ \$ \$

فقد شمعت یا مولای أن ملکا منهم، کان أصم ، وکان يخشی

⁽١) يقصد جلوس كسرى للقضاء في عيدى النوروز والمهرجان .

ألا ينقل إليه رجاله شكايات الناس نقلا أمينا ، فيحكم بينهم بغير العدل ، فأمر أن يلبس المتظلمون من الرعية ثياباً حمراء ، وألا يلبس غيرهم ثيابا من هذا اللون ، وذلك ليعرفهم الملك فإذا كان يوم النظر في المظالم ، امتطى الملك فيلا ووقف في الميدان وجمع حوله ذوى الثياب الحمر ، ثم أخذهم فرادى في مكان قصى ، وأمر كلا منهم أن يرفع صوته عاليا حتى يسمع الملك شكواه ، فينصفه .

* * *

ولينتبه الملك إلى تقلب الآيام وغدر الزمان. ألم تر إلى المعدل ابن على بن ليث الصفار ، وقد امتلات بالمال خزائنه ، وقويت بالجيش دولته ، فشق على خليفة الله عصا الطاعة ، ومضى فى سياسة أخيه ، مؤثراً العدوان على الوئام ، والحرب على السلم ، وكلماحاول الخليفة أن يهدى من ثورته استغشى ثيابه واستكبر استكباراً . ساق الجيوش الجرارة ، واستعان بالمال الذى تفيض به الخزائن العامرة ، ومضى يقاتل أمير المؤمنين الذى استنجد بأبى نصر ابن اسمعيل السامانى ، فسار هذا لنصرته فى جيش قل عده وعدته . وشاه ربك أن تغلب قلة السامانى كثرة الصفارى ، وأن يؤسر فلم ينفعه ماله الوفير ولا جنده الكثير .

وكان المعدل ملكا مترفا ، يلتف حوله الكتاب والشعراء

والأمراء، وكانت مائدته تنسع لمئات منهم كل يوم، وكان مطبخه يحمل على أربعائه جمل حين يرتحل ،فلما وقع فى الأسر وعضه الجوع طلب من أحد حراسه أن يبحث له عما يسبد به رمقه ، فسارع الجندى واشترى قليلا من اللحم واستعار موقداً ، وقبل أن يتم نضج اللحم أغرت رائحته كاباً فأتى وكشف عن الإناء الغطاء ، ولما مد فه ليا خذ قطعة منه أو ذى بحرارته فجرى وقد علق الإناء برقبته فلما رآه المعدل ندم وقال :

أرأيت من أصبح أميراً وأمسى أسيراً .

فعلى الملك أن يتبصر بما تخبئه الآيام وأن يعمل لغده كما يعمل ليومه ، وأن ينظر إلى تاريخ الملوك ليتخذ منه العظة والعبرة . وقاك الله يا مولاى شر الزمان ، وأمنك غيلة الآيام .

(سیاست نامه ۳)



النوروز

علا عرش إيران في الأزمنة القديمة ملك عظم اسمه جمشيد، وقد أولع هذا الملك بحب بلاده ، فكان يكرس وقته كاله لخدمتها ورعاية مصالحها . وقد استطاع _ بما له من حيلة وذكاء _ أن يسخر الجن، وأن تذعن له الطير، ولم يكن أحد من ملوك عصره يدانيه في قوته وبسطة سلطانه . ولم يكن جمشيد مع ما أوتى من آبهة الملك، وسبعة البلاد، وخضوع الجن، وإذعان الطير له، لم يكن مع هذا كله متكبراً على الإيرانيين ، بل كان يحبهم ويكثر من الاجتماع بهم والتحدث إليهم ، وكان إذا اجتمع بالإيرانيين يقول لهم : إنى قد ملكتكم بماخصني الله تعالى به منفضله ، وألبسني من نوره، لأعمر الأرض، وأؤمن الخلق، وأبسط العدل، وأكثر البذل، وأحى الخير، وأميت الشر. وكان الإيرانيون يسمعون هذا الكلام ويتنافلونه، فتزداد مكانة ملكهم فى نفوسهم، حتى إنهم كانوا يسجدون له.

وكان بجواره ملك يحقد عليه ما اختص به من نعم ، وأدرك جمشيد ما يضمره هذا الملك من سوء له ، فاستعد لقتاله ، وقامت الحرب بين ملك صيدون وجمشيد ، ونزل هذا بنفسه إلى المعركة فضرب عدوه ضربة قضت عليه ، فانفض جنده وخضعت بلاده ، فدخلها الملك الظافر ، وأقام في بيت الملك المغلوب . وكان لملك صيدون بنت ذاع صيت جمالها ، وحسن أدبها . فلما رآها جمشيد أحبها ، وأراد أن يتزوجها ، فلم تستطع أن ترفضه وتزوجها وسار معها إلى إيران .

وكانت بنت ملك صيدون تحب أباها حباً عظيما، ولم بحكن زواجها من أعظم ملوك الأرض، وأوسعهم ملكا، وأكثرهم ثراء لينسيها أباها ، فهى حزينة عليه حزناً زهدها فى كل ما فى قصر جمشيد من أبهة وجمال، وكلما حاول جمشيد أن يخفف من حزنها أو يشرح من صدرها لم تلتفت إليه ولم تتأثر بما يعمل لإرضائها . ودخل عليها ذات يوم فإذا بها تبكى و تندب أباها ، وتذكر أيامه الحالية ، وأيامها السعيدة فى عهده ، فأشفق عليها جمشيد، وخشى أن تهلك إذا دأبت على البكاء ، فسألها أن تعاونه فى إيجاد وسيلة تنسيها أباها ، وتلفتها إلى ما هي فيه من خير ونعاء . وتحقق آمال جمشيد فى أن تكون ربة هذا البيت الذى أعده لها ، وملكة على هذه البلاد التي تحبها حباً جماً . قالت السيدة الحزينة : من مهرة هذه البلاد التي تحبها حباً جماً . قالت السيدة الحزينة : من مهرة

الفنانين بعمل صورة لأبى حتى أراهاكل بوم، لعل هذا يخفف حزنى وبنسيني فراقه. فكأن لها ما سألت.

* * *

وعكفت بنت ملك صيدون على عبادة صورة أبها، وأدرك جواريها أن سيدتهن تسجد للصورة التي أعدها الشياطين لها، وأنها تعبدها من دون الله ، فسجدن للصورة كما تسجد سيدتهن ، واتخذن مكانها معبداً لهن ، وأخذن يقمن الصلاة ، ويتوجهن بالدعاء للصورة التي صنعها الشيطان في قصر الملك جشيد . وكان الصديقون يسمعون بما يحرى في قصر الملك من عبادة الصورة فيرفعون أيديهم يدعون ربهم أن يرفع عنهم هذا البلاء وأن يخلص إيران من عبدة الصور .

وكان لجمشيد خاتم هو سر تسخيره الجن وإخضاعة الطير، وهو الندى مييء له ما يلمقى من النصر فى حروبه والسعادة فى ملكة . وكان لا ينزع هذا الخاتم من إصبعه ، إلا حين يدخل الحمام ، وحيند يو دعه خادمة مخلصة اسمها . الأمينة ،

فلما أعرض جمشيد عن نصح الصديقين، ولم يقض على بنت ملك صيدون وبدعتها، غضب الله عليه فسلط عليه صاحب البحر وصخراً ، ، وهو من المردة الشياطين. فانتهز هــــذا فرصة دخول جمشيد الحهام، وتركه الخاتم مع « الامينة ، فنزيا بزيه ، وقلد صوته ،

وذهب يطلب الخاتم من والأمينة ، فأعطته إياه ، ولم يكد يلهسه حتى أصبح فى مقدوره أن يحكم الإنس وأن يخضع الجن لأمره وأن يجعل الطير تعكف عليه ، فلما أخذ الخاتم وضعه فى أصبعه ، وأسرع إلى عرش جمشيد فاستوى عليه

وخرج جمشيد من الحهام فطلب النجاتم من و الأمينة ، فأ نكرته وهزأت به وقالت إن جمشيد أخذ خاتمه وإنه علا العرش .

فرج جمسيد من قصره وقد تغيرت هيئته ، ورثت حاله ، وراح بلتمس الرزق من معاونة الصيادين فى البحر . ولم يكن من اليسير على جمسيد أن يتحمل قسوة الحياة وذلة العمل مع الصيادين فسكان يذكرهم بحاله، ويحدثهم عما كان له من الملك العظيم ، ولكنهم كانوا يسخرون منه وبتخفونه هزأة لهم ، وتضايق أحدهم من قصته فنهاه عن التحدث بها ، فلما عاود جمسيد الحديث فيها ضربه فشج رأسه ، فكان يستعين بماء البحر لتنظيف جرحه ، ثم أخذ يستغفر ربه ويطلب عفوه .

* * *

أماصخر، الشيطان، فقد علا على أهل الأرض واستضعفهم وسار فيهم سيرة لم يألفوها من قبل، والتفت «آصف، وهو من الصديقين، فإذا به يرى الخير قد أصبح شراً، والعدل ظلماً،

ويرى أعمال جمشيد وقد تغيير طابعها ، فمن عمارة الأرض إلى خرابها ، ومن إحياء النفوس إلى قتلها ، ومن بث الحير إلى اقتلاع بذوره وغرس الشر . فرابه ما رأى ، وراح يصلى ويدعو ربه أن يعينه على إدراك الحقيقة . وذهب « آصف ، فسأل نساء القصر هل لا حظن على جمشيد شيئاً ، فإذا بهن قد سئمنه ، وإذا بهن ينكرن منه كل شيء ، إنه قد بُدل تبديلا .

وجمع «آصف» الصديقين ، فأخذوايتلون كتابهم ويتضرعون إلى الله ، يسألونه الرفق بالناس وصلاح الحال . ومكر الله بصخر ، والله أشد مكراً ، وأدرك صخر أن عذاب ربه محيط ، فحاف على نفسه وطار إلى البحر ، فوقع الحاتم من إصبعه ، فابتلعته سمكة وغاصت به فى اليم .

*** *** *

وكان جمسيد يشتغل أجيراً عند صياد ، وكان أجره سمكتين كل يوم ، فكان ببيع واحدة ليشترى بثمنها خبراً ، ويشوى الآخرى لياكلها . وذات يوم شق بطن السمكة قبل شيها ، فوجد الخاتم فيها فأخذه ، وحمد الله على أن رد إليه ملكه ، وأدرك أن ريه أذاقه نمو العذاي بما أباح من عبادة الصور في قصره أربعين يوماً . وكان الإيرانيون في ضنك مما أصابهم أيام صخر ، فقد زالت البركة عنهم أ في فض الأنهار ، وسكنت الريح ، ومات الزرع ،

وسادت الشياطين . وقد أخذوا يتطلعون إلى السهاء ويدعون ربهم أن يرفع عنهم سخطه وغضبه ، وأن يدفع عنهم السوء ، وبينها هم فى دعائهم إذا بعجلة من العاج والساج ، مفروشة بالديباج ، يحملها الشياطين على أكتافهم ، قد أقبلت بين الأرض والسهاء ، وفيها ملكهم جمشيد وقد جلس على عرش من الذهب ، ومن فوقه هالة من نور وقد انعكست أشعة الشمس على العرش الذهبي فتلألا ، وبدا فى أروع منظر ، فعلا هتافهم إلى عنان السهاء ، حمداً لله وشكراً ، إذ رد إليهم ملكهم ، وصرف عنهم السوء ، وصاحوا فرحين : نوروز رد إليهم ملكهم ، وصرف عنهم السوء ، وصاحوا فرحين : نوروز آمد ، أي جاء اليوم الجديد .

وكان هذا أول الربيع، وهو عيدهم الأعظم.

المهرجان

وطال عهد جمشيد، وملا الارض عدلا وخيراً، ونظر فإذا كل من عليها خاضع له يخشاه، فأخذه الغرور بنفسه، وادعى الألوهية، وأمر الناس بعمل تماثيل له يعبدونها من دون الله، فأغضب هذا ربه، وسلط عليه الضحاك العربى، فانتزع الملك منه وقضى على جمشيد.

ويظلم الضحاك الإيرانيين ، ويقتل أبناءهم ليطعم بأدمغتهم ثعبانين كانا على كتفيه ، ويثور عليه الناس ، ويلى عرش إيران أفريدون ، من نسل جمشيد، فيحارب الضحاك ويهزمه ويأخذه مقيدا فيلتى به على جبل دماوند، ويخلس الإيرانيين من شره.

وجلس أفريدون على عرشه ، واعتصب بالتاج ومن حوله ملوك الأوساط والأطراف ، وأسارير وجهه تبرق فقال: وشكراً لله فقد أراح البلاد والعباد من شر الضحاك ، فقضى عليه بالهلاك ، وطهر الأرض من خبثه ، وأخلاها من جوره وسحره ، وبدلكم به من يحمى حماكم ، ويعدل فيكم ، ويحسن إليكم ، وينعم عليكم ، ولا يدخر بمكناً في النظر لكم ، . فارتجت الأرض بالسرور وامتلات شكراً وثناء ، كما امتلات السماء دعاء ، وانصرف الناس إلى أعمالم ، فعمرت الأرض وزادت الغلات وعم الرخاء ، واحتفلوا يوم ارتقاء أفريدون العرش وهو عيد المهرجان ، أي محبة الروح . وكان هذا أول الحريف .

* * *

وفى هذين العيدين بجلس الملك لسماع ما يرفع إليه شعبه من شكاوى ، منه ومن ولاته وقضاته . وكان الملك يأمر بالنداء قبل قعوده بأيام ليتأهب الناس لذلك ، فكان كل متظم يحضر شكايته ، وكل خصم يعد دفاعه ، وكثير من الناس يفضون ما بينهم من منازعات خشية عرض أمرهم على الملك . وكان رجال الملك يقفون على أبواب القصر ليمكنوا للناس دخوله ، وقد فرضت عقوية شديدة

على من يعترض أحداً فى دخوله القصر أو يمنعه من ذلك . فإن على الملك أن يرفع عن رعيته الظلم ، مهما يكن مصدره ، فى هذين العيدين الذى خلس الله فيهما إيران من الشيطان ومن الضحاك ، وكان المنادون ينادون : « من حبس رجلا عن رفع مظلمته فقد عصى الله ومن وخالف سنة الملك ، ومن عصى الله فقد أذن بحرب منه ومن الملك ،

و تنظر شكاوى الناس ، فإذا كان منها ما يخاصم فيه الملك ، تنحى هذا عن نظرها ، ثم رأس المحكمة الموبدان موبد . ويقوم الملك مح خصمه فيجثوان بين يدى الرئيس ويقول له الملك : إن الله قد اصطفاك اليوم لتحكم بيننا باسمه ، فإذا خشيت الملك ولم تعدل فى حكمك فإنك تغضب الله ، وإذا راعيت العدل ، وكان الملك ظالماً فكمت عليه فإنك تغضب الملك ، والله أحق أن تخشاه ، ولتكن جديراً بالموقف العظيم الذى تقف .

ويقف الموبد فيأى على الملك ويدعو له بالخير ويقول له إن الله إذا أراد بعباده السعادة فإنه يولى عليهم ملكا تجرى على لسانه الآيات التي ذكرت ، فإنك تدعو إلى العدل واتباع أمر ربك ، وانته خير العادلين.

وينظر القاضى الشكوى ، فإن كان الملك مخطئاً حكم عليه

بتعويض خصمه، وإن كان الملك مظلوماً حكم على خصمه، حتى لايجرؤ الناس على اتهام الملك بالباطل.

و بعد ذلك يجلس الملك ليفصل فى ظلامات الناس، وذلك كى يكون الإيرانيون فى هذين العيدين سعداء، منشرحة صدورهم بالعدل، راضية نفوسهم عن الملك.

روزتير

وقامت الحرب بين الفرس والترك ، وظفر هؤلاء بإبران ، وقد اصطلح الملكان ، أفر اسياب ومنوچهر ، على أن يأخذ ملك إبران رمية سهم من بلاده ليحكما . واشترك الملاك اسفندارمذ في صنع النشابة والسهم ، وأمر منوچهر أرش ، وهو من رجال الدين الأذكياء بأخذ القوس ورمى السهم ، فقام و تعرى وقال : أيها الملك وأيها الناس أنظر وابدني فإنى برىء من كل جراحة وعلة ، وإنى موقن بأنى إذا أرميت بذه القوس تقطعت إرباً وتلفت نفسى، وقد جعلتها فداءاً لكم أم تجرد ومد القوس بما وهبه الله من القوة ، وأطلق السهم فسار فى الجو ، وحمل الملائكة السهم مسافة ألف فرسخ ، واصطلح الملكان على تلك الرمية . أما أرش فإنه قد هلك بعد أن رمى ، وهكذا عاد لإيران إستقلالها .

واتخذت الفرس عيداً لهم فى هذا اليوم الذى تخلصوا فيه من أفراسياب ملك الترك ، وعادت السيادة الكيانية على بلاد إيران ، وهو يوم روزيتر، أي يوم الرمية ، الرمية الني حررت إيران من الترك.

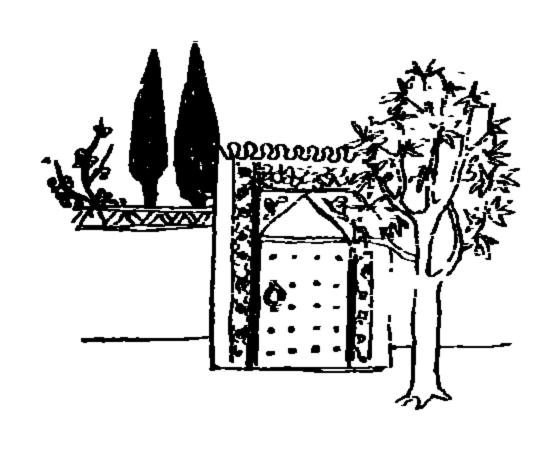
لا أخوات

كان أحدهما يعمل فى حاشية السلطان، ويتمتع بالجاه والنفوذ، ويعيش بغير كد ولاعناء، وكان الآخر فقيراً يعمل بذراعيه طول يومه ليحصل على قوته.

قال الغنى لأخيه الفقير: لم لاتدخل فى خدمة السلطان لتستريح. من الكد والعناء؟.

فقال الفقير لأخيه الغنى: لم لا تكد أنت وتخلص نفسك من الذل واله، ان فى خدمة السلطان ١.

(كلستان)



المرك الطالم والرهقان

كان على حدود بلاد الغور رجل جبار، أوتى من القوة والجرأة ما مكنه من أن يملك هذه الناحية ، وقد أولع باغتصاب حمير أهل القرى ، فكان يأمر بالاستيلاء عليها ، فيحملها فوق طاقتها ولا يطعمها فكانت تهزل ثم تهلك ، وهكذا السفلة إذا الزمان رفعهم درجات ملئوا قلوب الفقراء غماً وكمداً .. وهكذا الوضيع إذا الزمان رفع على ما تحته من أسقف الجيران ..

وقد سمعت أن هذا الملك خرج للصيد يوماً ، فلقى غزالا فسار على أثره ، حتى ابتعد عن حاشيته ، وأرخى الليل سدوله ، فضل طريقه ، ووجد نفسه فى قرية ، فلم ير بداً من المبيت فيها .

* * *

ونزل الملك عن حصانه ثم ربطه واستعد لينام ، ولكنه رأى رجلا ومعه حمار قوى ، يقدر على حمل الأثقال ولا يبدو منه تراخ ولاكلال ، وقد أمسك صاحبه بعظم وأخذيدق به عظامه ، في قسوة لا تحدها رحمة ، وشدة لا تعرف ليناً ، والحمار يئن من

كثرة ما أصابه من أذى ، ويتلوى من فادح الضربات ، ولكن ليس من يرحمه أو يرفق به . فصاح الملك على الدهقان :

أصخرة أنت لا تحركات تأوهات هذا الحيوان الآخرس وقد أعجبتك قوتك فرحت تصب عليه عذابك صباً ؟كأنى بقلبك قد قد منصخر، أو كأنى بك وقد ذهب عقاك فغاب عنك سوء ماتقترف.

فلما سمع الرجل قول الملك صاح فى وجهه قائلا:

إنى لم أضرب حمارى قسوة من عليه ، أو رغبة منى فى تعذيبه ، ولست أقدم على ما ترى حماقة أو جهلا ، وما دمت يا صاحبى تجهل أمرنا فمن الخير لك أن تدع ما لا يعنيك ، فإنك لو عرفت الحقيقة لأدركت أن ما رأيت لا بجانب الصواب ، ولا هو من الزلل .

‡ ‡ ‡

لم يعجب الملك بهذا الكلام، وأراد أن يتبين الحقيقة من الرجل أليس هو الملك ومن واجب الملك أن يقف على أحوال رعاياه؟ والرجل يجهل أنه الملك فهر سيصدقه القول، وسيوقفه على الحقيقة سافرة ... فقال: تعال حدثى عن ضربك حمارك هذا الضرب المبرح فإنى جد راغب فى الاستماع إليك، وما أظن أنك سكران، ولكنى أخافى أن تكرن بك جنة . فرفع الرجل نظره إليه وقال: حسنا أيا التركى، فإنك لا تعرف من أمرر بلادنا شيئاً، هلا أتاك حديث

الخضر وقد ركب السفينة مع موسى فخرقها ، ولم يقل أحد إن الخر كانت تلعب برأسه أو إنه مجنون ؟

قال الملك: ولكنك أيها الفظ الغليظ القلب لم تدر أن الحضر قد خرق السفينة ليعيبها، فإنها كانت لمساكين يعملون فى البحر، وكان من ورائهم ملك بأخذكل سفينة غصبا، وكانت القلوب منه واجفة، والناس منه فى رعب، وما أشك أنك توافق على أن سفينتك معيبة وهى معك خير منها سليمة وهى فى بدالملك الغاصب.

فضحك الدهتمان عالياً وقال: إذاً فأنا على حق ياسيدى ، فإنى لم أكسر رجل حمارى عن قسوة من أو جنة بى ، وإنما فعلت ذلك حتى لا يقع فى يد ملكنا الظالم، فإنه يأخذكل حمار غصباً ! ولحمارى معى وهو أعرج خير من فقده سليا ليأخذه الملك فيحمله مالا يطيق ولا يطعمه فهلك . ألا تعلم أنه يأخذ حمير نا ويظلمنا وأنه سيجازى يوم القيامة حين يحيق المكر السيء بأهله ؟ وسترى أن هذا الذى يحمل الحمير ما لا تطيق من أحماله سيحمل أثقالها جميعاً يوم الحساب فينوء بها ، ويتردى فى جهنم ويئس القرار . إنه ملك شقى ، يحسب سعادته فى ظلم الناس واغتصاب الحمير ... ادع الله معى أن يهلك هذا الملك الظالم، فإن فى مو ته الحلاص من الظلم ، والأمن من الخريد ... أن متح أنه سيء الطالع ، لا يسعد إلا فى شعل أأناس ،

ولا ينعم بالسلطان إلا بفزع رعاياه منه ، ونسى أن محبتهم قوة ، وأنها خير ما ينعم به الملك العادل؟

* * *

سمع الملك هذا الكلام فأرتج عليه ولم يحر جواباً ، فاستأذن صاحبه ، ورقد بجوار حصانه بربد أن بنام . ولكن كيف يأوى النوم إلى جفونه وقد سمع من الرجل ما أقض مضجعه ، وننى الكرى عن عينيه . إن قلبه متعب ، وإن روحه قلق ، فإنه يظلم الناس ، وهم يخافون بطشه وغضبه ، هم منه كالخضر يخرق السفينة حتى لا يغصبها الملك الظالم . . . وراح يعد النجوم إلى أن كان السحر ، وغردت الطيور مستقبلة الصباح فرحة مستبشرة ، فنهض حزين الفؤاد ، كاسف البال ، فركب حصانه وأخذ يتأمل في الأفق ، حسرة واستغفاراً .

وأخذ رجال الحاشية يبحثون عن ملكهم، وفى الصباح الباكر اهتدوا إلى آثار حوافر حصانه فتبعوها إلى أن وجدوا الملك وقد ركب حصانه ووقف ينظر إلى الفضاء، شارد اللب، حائر النظر ات. وأقبلوا عليه وتجمعوا من حوله ، مظهرين له الطاعة والحضوع والولاء . وأخذ الملك يتحدث إليهم وهم يسمعون ، ثم مدت الموائد ودارت كئوس الراح ، وانطلق أهل الغناء بعذب الألحان . وفي هذا الجو الضاحك ، اللاهي ، الساخر ، تذكر ما كان من حديث الدهقان معه بالامس ، وما بدر منه من الغلظة والحشونة

والعيب فيه . وجرى الجند يبحثون عن الدهقان فى كل مكان حتى ظفروا به ، فجروه مقيداً وألقوه أمام الملك .

ولم ينتظر الجلاد أمراً ، بل إنه أخرج السيف من غمده ، ورفعه يريد أن ينقض به على رقبة المسكين فيزهق روحه ، وأبصر الدهقان نفسه أمام الرجل الذي صارحه القول بالأمس ، فإذا به الملك الجبار بعينه ، وألنى نفسه يائسا من حياته . إنه في يد الملك الطالم الغاضب وقد تطاول عليه ، وإنه يرى الجلاد يستعد للضربة القاضية :

ألا أيها الملك ترفق، فما قتلى بمجديك نفعاً، ولا هو بمسكت عنك ألسنة الحلق ، ولئن قتلت نفساً بريئة بغير نفس ولا ذنب فإنك لن تستطيع أن تقتل الناس جميعاً ، ولا تحسبن حديثي معك بالامس يحل لك سفك دى ، فإنى قد حدثتك بما فى قلوب رعاياك من سخط عليك و بغض لك ، وأولى لك ثم أولى أن تتدبر الامر ، وتعدل فى الناس .

ألا أيها الملك ترفق ، فما هذه الحاشية التي من حولك بمخلصة الك ، ولا هي راضية عنك ، إنما جمعهم حولك الحوف منك أو الطمع فيك . ولقدرأوك تأكل التراث أكلا لما ، فهم يأكلون معك ، ولو والله أزم الأمر ، وخعب المال حباً جماً ، فهم يحبونه معك ، ولو والله أزم الأمر ، وذهب عنك الحول والطول ، لانفضوا من حواك ، وهم إن تقفوك بعد هذا كانوا أعداء لك ، وبسطوا إليك أيديهم

وألسنتهم بالسوء؛ فلا تعملن برأيهم ، فما تسكت ألسنتهم عن قول الحق فيك غير ما أنت عليه من قوة ، وما لك عليهم من سلطان .

ألا أيها الملك ترفق ، ولخير لك أن تتدبر أمرك ، وتندم على ظلمك الناس ، وتستغفر ربك ، ولئن وجدت فى نفسك من القوة ما يتيح لك سفك دمى فغداً تقف أمام الواحد القهار ، وقد زدت وزراً على ما يثقل كاهلك من الأوزار . ولتنسألن عن روحى ماذا جنت عليك لمزهقها . ولقد رأيتك بالأمس وقد عجزت عن إجابتى وأنا بشر مثلك ، بل أنا عبد من عبيدك ، فكيف بك غداً وأنت أمام ربك المنتقم الجبار . . .

***** * *

وتهامس الحاضرون من حاشية الملك ، وعابوا على الدهقان جرأته ونادوا بقتله. أما الملك فرفع رأسه إلى السهاء، واستغفر ربه، ثم فك قيد الرجل بنفسه، وضمه إلى صدره وقبّله:

يا سيدى إنى وجدت فيك خير الناصحين، وإن لك القرية التى أنت فيها، والتى هدانى ربى يوم حللت بها، فأنت منذ اليوم واليها، وأنت منى الآخ الصديق والولى الحميم.

ثم نظر إلى حاشيته وقال: حقاً إن الملوك لا يحـــدون في أصدقائهم وحاشيتهم من يجرؤ على قول الحق لهم . فإن الصديق لا يرى عيوب صديقه ، وعيوب الملك حسنات عند بطانته ، والعاقل من يعرف صفاته من خصمه ، لانه لن يعرفها من صديقه .

الصوت المنكر

كان مؤذن فى مسجد سنجار قد تطوع للأذان ، وكان صوته منكراً تنفر منه الأسماع . فسمعه الأمير الذى بنى المسجد فأشفق على الناس من سماعه ، فناداه وقال له : يا صاحبى ، إن بالمسجد مرّ ذنين أنقد كلا منهما خمسة دنانير فى الشهر ، وقد رأيت أن أعطيك عشرة دنانير على أن تذهب إلى مسجد آخر .

فانتقل المؤذن إلى مسجد آخر ، ولكن لم يلبث أن جاء إلى الأمير وقال:

ذهبت يا مولاى إلى مسجد كذا وأذ "نت فيه ، فعرض على "أمير الجهة عشرين ديناراً على أن أترك المسجد، فلم أقبل العرض قبل أن أسألكم ، فإنكم بهذا تفقدون في شخصي كثيراً . . .

فابتسم الآمير وقال:

حذار أن تنزكهم، فإنهم سيعرضون عليك خمسين ديناراً! (كلستان) كان بكرمان قط ضخم الجئة ، حاد المخالب ، شديد الافتراس ، كأنه تنين . كانت بطنه منتفخة مثل الطبل ، و خده مصعراً مشل الخُرس ، وذيله طويلا كذيل الاسد ، وأظافره قوية كأظافر النمر . كان هذا القط يخيف الفهود إذا سمعته يموء ، وكانت الاسود تولى هالعة إذا رأته يتحفز للصيد .

وقد اختنى هذا القط ذات يوم فى خمارة وراء دَن الخر ، كما يختبى اللص فى الصحراء .. إنه يريد صيداً ، فرأى فأراً يخرج فجأة من ثقب فى الحائط . و بصعد الفأر إلى الدن و ينظر إلى الخر فتشوقه رائحتها للشراب ، فيقبل و يشرب حتى يفقد صوابه . فلما لعبت الخر برأسه أخذ يتحدث مختالا مزهواً : أين القط أقطع رأسه ، وأحشو بالتبن جلده ، ألا ليته يقوى فيخرج لملاقاتى فى الميدان !

فلماسمع القط هذا الكلام، وعرف ماملاً نفس الفار من الغرور، استعد لأكله ، فإنه سكر ان ثرثار . وقفز القط فأمسك الفار بمخالبه، فبكي هذا و تضرع و اعتذر : هلا عفوت عن مسكين أفقدته

الخر صوابه، وأطار الغرور رشده، وقد وقع بين يديك لا حول له ولا قرة ، فأقداً كل شيء إلا الأمل في عفوك ؟

وهكذا راح يلتمس العفو من القط الغاضب.

لم يفكر القط فى تأوهات الفأر ، ولا رق قلبه لضعفه ، وقد أعجبه لحمه ، فسال لعابه وأقبل عليه غير آسف فنهشه واز درده از درادا قائلا : كفاك خداعاً ومكراً ، فقد فضحتك نواياك .

‡ ‡ ‡

وشبع القط ومسح فمه بلسانه ، وخرج من الخارة إلى المسجد فتوضأ وأخذ يتلو الأوراد كأنه من أهل الصلاح الزاهدين ، ثم سار إلى المحراب فجلس واستغفر ربه و تاب و أناب و أقسم ألا يأكل فأر أبعد ذلك ، وأخذ يدعو ربه نادماً على أكله الفيران الضعفاء ، نادراً منسين من الخبز صدقة و تكفيراً عن ذنبه ، ثم أخذه الورع و تملكته التقوى فأجهش بالبكاء .

وكان وراء المحراب فأريسترق السمع ، فأعجبه ما سمع من القط وراح يبشر إخوانه بندم القط وتوبته ، ويحدثهم عن وضوئه وصلاته ودعائه وأنه أصبح مسلساً عاملا ، يؤدى الفرائض ويخشى الله .

وفرح الفيران بما بشرهم صاحبهم به ، وأخذوا يفكرون فيها يعملون لهذا القط الذي اهتدى ، جزاء هدايته ومحبته لهم ، فأجمعوا على أن يرسلوا سبعة من زعمائهم ليعبروا له عن صادق مودتهم وخالص وفائهم، وحمل كلمنهم من الهدايا والطرف أشكالا وألوانا، وسار الوفد إلى حيث القط فوضعوا أمامه هداياهم .. العنب والتمر والجبن واللبن والزبد والخبز والأرز وعصير الليمون . وتقدم رئيسهم فأعرب للقط عن إعجاب الفيران بسلوكه وهدايته ، ثم قال: إنه حضر مع إخرانه بهذه الهدية عرفاناً بالجيل ومبادلة للصداقة والولاء .

وكان القط قد أمضى أياماً فى الصلاة والعبادة ، صائماً عن أكل الفيران ، فلما رأى وفدهم قد جاء عنده طائعاً مختارا ، تبسم ورفع رأسه السماء وقال . حقاً ، وينزل لهم من السماء رزقاً ، ، وقد رزقه ربه جزاء صبره وعبادته . ثم نظر إلى الفيران السبعة قائلا: «تقدموا أيها الرفاق فإنا تربطنا منذ اليوم أوثق الصلات ، وتقدم الفيران ، مرتعدة فرائصهم ، لا تكاد أرجلهم تحملهم وأقبل القط يستقبل ضيوفه وحلفاء ه متئد الخطى ، ثابت النظرات ، هادىء النفس، حتى ضيوفه وحلفاء ه متئد الخطى ، ثابت النظرات ، هادىء النفس، حتى من مخليه اثنان وفى فه واحد ، وأما الفاران الباقيان فقد ملئا رعباً وذعرا ووليا هلعين . إن القط قد عاد إلى طبعه ، وسارا إلى الفيران ينبئان عا جرى .

. . .

وحزن الفيران فلبسوا سود الثياب، ووضعوا فوق رؤوسهم

التراب، فقد فقدوا خير زعمائهم ، ورأوا آمالهم في الأمن والسلم تنهار أمامهم . إن الطبع غلب التطبع ! وعاد القط مفترسا وعدوا للفيران مبيناً ، فيه الهلع والقتل والعذاب ، فقرروا أن بذهبوا إلى ملكهم ليرفعوا شكواهم مما لقوا من القط . وتجمعوا فركبوا خيولهم وشمروا سراعدهم وحملوا أسلحتهم وساروا إلى حيث ملكهم قد استوى على عرشه ، فلها رآهم أعجب بهم و تبسم، فتقدم القادة بالتحية :

« إنا جنناك ياملك ملوك الزمان ، لكى تنتقم لنا من القط ، غرر بنا وسخر منا وقتل خمسة من عظائنا ، لقد كان يأكانا فرادى أما اليوم فقد أسلم وأخذ ينهشنا خماس ،

فلم سمع الملك هذا الحديث استشاط غيظاً وقال: إنى ملاق القط، وسأجعله أحدوثة الزمان. ونظم الملك جيشاً من فيران خراسان ورشت وجيلان تعداده ثلاثة وثلاثون ألف فأر، وقد قسم أفواجاً، وسار الفيران وفى خصورهم السيوف مسلولة. وفى أيديهم الرماح مشرعة، وساروا سراعاً خفافاً كأنهم جوارح الطير.

وكان منهم فأرحكيم عاقل شجاع ، فأشار على الملك أن بوفد رسولا إلى القط ، حقنا للدماء ، يخيره بإنذار نهائى بين الحضوع التام أو بقبلها حرباً لا هرادة فيها . لا تبقى ولا تذر .

* * *

وسار سفير الفيران ، فأنبأ القط بما يدبر له ، وخيره بين الاستسلام أو تحمل نتيجة الحرب ، فأجابه القط بأنه لن ينتقل من كرمان ، و لن بخضع لملك الفيران ، ولتفعل قوته ما تشاء .

وفى الحفاء أرسل إلى القطط من أتباعه فى إصفهان ويزد وكرمان ، وأمرهم بالتجمع للقاء جيش الفيران . وسار الجيشان إلى الميدان ، الفيران من كوير والقطط من قهستان . والتق الجمعان ، ودارت رحى الحرب الضروس ، وكانت الشجاعة من الطرفين تؤجج أوارها و تبعد نهايتها ، وحدثت مقتلة عظيمة من الجانبين ، وأبصر القط نفسه يكاد يغلب ، فتحفز وهجم على قلب جيش الفيران فأكثر فيهم القتل ، ولكنه جرح . وكان فأر ذكى قد تبعه فوجد رأسه منكسا من فوق حصانه ، فنادى الفيران وحضهم على المضى فى القتال ، فكبروا باسم الله وهاجموا القط ، فغلبوه وأو ثقوا بالحبال قيده ، وهكذا تم لهم النصر !

*** *** *

وسار ملك الفيران مزهوا، وقد ركب فيلا ضخماً ومن خلفه جنده بموسيقاهم، بعزفون أناشيد النصر، حتى إذا جاءوا الميدان أمر الملك بنصب المشنقة، وبشنق القط، ثم التفت إلى هذا فأشبعه سبا وسقط قول، أما الفيران فأخذوا ينظرون إلى القط فى خبث وقد أصبح ذليلا لاشفيع له.

وضاق صدر القط حتى كاد يتميز من الغيظ . فجلس على ركبتيه وأخذ يقرض الحبال التي أو ثقوا بها يديه ، حتى استطاع أن يفلت من قيده ، وهجم فأوقع الذعر في نفوس الفيران فتفرقوا أشتاتاً . واختبأ الملك وانفض الجيش ، ولحق القط بالملك فصرعه وهو فوق الفيل .

(کربه وموش . عبید الزاکانی)



انوشروان العادل

يحكى أن الملك أنو شروان ذهب ذات يوم فى رحلة يصطاد، ولما حان وقت الغداء لم يجد ملحا، فأمر حاجبه أحد الغلمان أن يذهب إلى قرية قريبة ليحضر الملح، وصمم أنو شروان على أن يشترى الغلام الملح بالنقود، حتى لا يعطاه بالمجان فتخرب القرية.

فقيل له: أي خلل بصيب القرية من حفنة ملح؟

فقال:

« هكذا بدأ الظلم فى الدنيا ، بدأ قليلا جدا ، ثم أخذ يزيد الحكام عليه ، إلى أن بلغ الحد الذى نراه ،

(كلستان)



المترد الحكيم

حينها عمل أردشير ، مؤسس الأسرة الساسانية ، على توحيد دويلات ملوك الطوائف فى إيران ، لم يرد ملك طبرستان ، جشنسف شاه ، أن ينضم إليه ، وقد كتب إلى تنسر وزير أردشير يسأله النصح ، فكتب إليه تنسر يقول:

إنك حين تدعو إلى الفرقة التي نهض أردشير لتخليص البلاد منها ، وإلى الاستمساك بفض العروة الوثتى التي أمر الله بها أن توصل ، إنما تدعو إلى تقطيع أوصال إيران تقطيعا ، وتعمل على أن يقوى الاعداء عليها ويظفروا بها ، فإن الفرقة إذا دخلت أرض أمة ولى الخير منها ، ووجد الشر فها مرتعه الخصيب .

ولقد كناأمة تخضع لملوكها الأقاليم السبعة ، ولم يكن ملك أجنبي يجرؤ على الحروج على ملوكنا . وكان آخر عهدنا بهذه السيادة أيام الملك دارا بن چهر زاد ، الذى لم يكن ملك فى الأرض أحكم منه أو أطيب ذكراً ، وقد خضعت له البلاد من الصين حتى مغارب الروم ، وكان الملوك تابعين له ، يقدمون له الهدايا ويدفعون له الجزية عن يد وهم صاغرون ، وكانوا يسمونه تغولشاه .

وإنى أحدثك عن سبب البلاء الذى أصاب هذا المُكلك الواسع فبدده طوائف وكان جميعاً ، وأذله بعد عزة ، والذى لاتزال آثاره باقية فينا ، والذى يعمل ملكنا أردشير على رفعه ، وإعادة ملكنا عزيزاً كماكان ، فاسمع وانتصح ولا يغرنك الغرور .

\$ \$ \$

كان لدارا غلام اسمه بيرى ، اختصه بعطفه وقربه منه ، فكان يؤاكله ويشاربه ويصاحبه فى رحلاته ، وقد أخذ بيرى يتدخل فى شئون الدولة ، وكثيراً ما كان دارا يتأثر بقوله فيعمل به . وكان للملك وزير محنك ، أمضى عمره الطويل فى خدمة الملك ، وكان راجح العقل ، فصيح اللسان ، حصيف الرأى ، تقياً أميناً ، حميد الحلق ، اسمه رستين ، كأنه هو الذى قصده الشاعر حين يقول :

لقد طن في الدنيا مناقبه التي بأمثالها كتب الأنام تؤرخ

وكان بيرى يحسده على علو درجته ، ورفيع مكانته ، وثقة الملك فيه وتاقت نفسه إلى أن يشغل مكانه فيخلو له الجو ويحكم بأمره . فأخذ يشهر به ويطعن عليه ، حتى بلغ الحبر رستين .

* * *

فلما علم رستين أن بيرى قد أطلق لسان السوء فيه، غــــــيرة

وحسداً ذهب إلى الملك دارا بن چهر زاد، فقبل الأرض ودعا له ثم استأذن فى الكلام، وكان من تقاليدهم أن لايصارح الرجل ملكه بما يريد أن يقول ، بل يتحايل على بلوغ الغاية من كلامه بقصة ترمز إلى مايرى إليه، فلما أذن له الملك قال:

سمعت يامولاى عن جزيرة بها مدينة يحكمها ملك قد ورث الملك عن آبائه ، كان يحب شعبه وكان شعبه يبادله هذا الحب. وكان بحوار هذه المدينة مدينة أخرى يسكنها القردة ، وكان هؤلاء يحيون في مدينتهم الصغيرة في خفض من العيش وسعة من الرزق وهدوء البال ، وكان عليهم ملك يستمعون لرأيه ، ويهتدون بهديه ، ولا يصدرون إلا عن أمره . وقد جمعهم ملكهم ذات يوم وقال لحم : إن علينا أن نهاجر من هذه المدينة إلى بلد أمين .

أرى تحت الرماد وميض جمر ويوشك أن يكون له ضرام فقال القردة: إن على ملكنا أن يبين لنا سبب هذه الهجرة ، وأن يطلعنا على مايبررها ، حتى نأخذ الرأى عليها ، فإذا رأينا الحير فيها عملنا مها .

قال الملك: إنى لن أطلعكم على سبب هذا الرأى ، فإن بلدكم هذا قد طاب لكم ، إنه فسيح محبب إلى القلوب ، كثير الحيرات . وأنا واثق بأنكم لو اطلعتم على ما علمت لن تقيموا له وزناً ، ولكنى وقد أو تيت من الفضل والرأى ورجاحة العقل أكثر مما أو تيتم ،

آمركم أن تقبلوا نصحى وأن تتبعونى ، ولست أرى عجباً ، فإن الهجرة والجلاء من سنن الأنبياء الذين كثيراً ما هاجروا وجلوا عن بلادهم ، لأن العاقل إذا رأى الشر والضر يدنوان منه ومن شيعته ، فاستهان بما برى ، وآثر البقاء فى وطنه ، كان جديراً بأن يرمى بالجهل والكسل .

قالت القردة: لقد مهدالملك لقبول نصحه تمهيداً حسنا ،حنره على ذلك كال رأفته وفرط عاطفته نحو رعاياه ، ولكنا ندعوه ألا يبالغ فى القول ، إلا إذا و تعت الواقعة ومسنا الزمن بضر وخيم وإن قلو بنا لن بهدأ خفقانها حتى يحدثنا ملكنا عن سبب أمره بالرحيل ، وحينئذ لن يجد منا غير الانقياد لأوامره واجتناب نواهيه ، موفين له حق شفقته بنا ورحمته علينا .

قال ملك القردة:

إذاً فاعلموا أنى علوت بالأمس شجرة تشرف على المدينة المجاورة فرأيت فى قصر ملكها شاة ينطح خادماً من خادمات القصر. وقد نصح الحكاء بترك جوار المتعادين وأنا لاأريد أن أخالف رأيهم ولا أن أتخذ نصحهم لغوا .

فنظر القردة بعضهم إلى بعض ضاحكين ساخرين من قوله ؛ ثم قالوا: إنك ملك علينا منذسنين عددا نقتدى بك ونراك أكثرنا عقلا وأبعدنا تجربة فقل لنا ماذا علينا من شاة بنطح جارية فى قصر جارنا الملك؟

_ فقال ملك القردة:

فيه هلاككم وهو يسير . إذ يبدأ بكم ثم يهلك من بعدكم أهل هذه المدينة ويقتل ملكها وتصبح خرابا ،

فعجب القرود أشد العجب من قول ملكهم وراعهم ما يجول بخاطره فقالوا له:

- إنا لم نعهد فيك ما نرى ولسنا نشك فى أن عين سو. قد أصابتك فجعلت على عقلك غشاوة فمر يا مولانا بالأطباء لعلاجك ترجع إلى صوابك ولا تفقد عرشك.

فقال ملك القردة:

- صدق الحكاء، فإن من عدم العقل لم يزده السلطان عزاً، ومن عدم الإيمان لم تزده الرواية ومن عدم الإيمان لم تزده الرواية فقها، إنى أراكم فى شك مما أقول، ولقد تبينت رأيكم فى "، ونظركم إلى "، فالأولى بى أن أذهب إلى الطبيب بنفسى ، وأن أبعد عنكم مغبة المرض.

وترك ملكه وفارقهم فوراً.

لم يمض على هذا زمن طويل حتى كانت الجارية ، في مدينة الآدميين ، تخرج من قصر الملك ، راكضة وفي يدها قارورة ملؤها الزيت ، وفي اليد الآخرى عود مشتعل بالنار ، فجرى الشاة وراءها يريد أن ينطحها كعادته ، فأرادت الجارية أن تدافع عن نفسها فرمته بما في يدها ، وهكذا اجتمع الزيت والنار ووبر الشاة فاشتعل المسكين وأخذ يجرى من باب إلى باب ومن قصر إلى قصر ، إلى أن دخل قصراً لرجل من أركان الدولة ، كان مريضاً فارتمى عليه فحرقه .

وأبلغ جماعة من أهل المدينة الملك بما أصاب الرجل من حروق ، فأرسل فى طلب الأطباء ، فلما اجتمعوا ورأوا المصاب اتفقوا على أن لا دواء لجراحه التى خلفها الحرق غير مرارة القردة . فال الملك إن هذا يسير ، ثم أوفد صياداً ليصطاد قرداً من المدينة المجاورة ، لينتزع الأطباء مرارته ويعالجوا الرجل . وذهب الصياد واصطاد بالغدر والحيلة قرداً ، ولكن القردة تجمعوا من حوله وقتلوه ثم مزقوه إرباً إربا . وبلغ الأمر الملك فغضب وركب وذهب على رأس فرقة من حرسه لقتال القردة ، فأجرى فيهم مقتلة عظيمة ، ثم عفا عمن بق حياً منهم .

وتقدم قرد نحو رجل من حاشية الملك وسلم ثم قال: لقد عشنا في جواركم سنين طويلة لم يصبنا منكم شر ، ولا مسكم ضر منا ، وكان كل منا يعيش بما قدر له من رزق ، على طريقته التي استها لنفسه ، فبأى فكرة أقدمتم على هلاكنا ، كأن شوك اللوم قد أصاب عين المروءة فيكم ، فسخرتم من حقوق الجوار ، وغفلتم عما تلقون في الدنيا من اللوم وفي الآخرة من الغرم .

يا جائرين علينا فى حكومتهم ألجور أعظم ما يؤتى ويرتكب

فقص الرجل على القرد ماكان من أمر الجارية والشاة والنار ومن احترق بها ، ورأى الأطباء فى الدواء وقتل الصياد وانتقام الملك له. فاغرورقت بالدمع عينا القرد وقال: «حقاً إن معصية الناصح الشفيق العالم المجرب تورث الحسرة وتعقب الندامة.

أمرتكم أمرى بمنعرج اللوى فلم تستبينوا الرشد إلا ضحى الغد يا صاحبى: إن سيل القدر قد جرفنا فأغرقنا ، وغداً تطحنكم رحاه فإذا أتم هشيم تذروه الرياح .

قال الرجل: إنهاكبيرة دعواك، فهلا أقمت الحجة عليها؟

قال القرد: بلى ، فقد كان علينا ملك ذو عقل وكياسة ، وفضل ودراية ، وكان يحيط خبراً بعجائب الدنيا وغرائب السهاء ، وقد نجا من آلاف المكامن ، بثاقب رأيه ومبين عقله ، ولم يقع فى شباك الدنيا ولا غره غرورها .

ثم قص على الرجل ما رأى ملك القردة فى قصر ملك الآدميين، وما جرى بينه وبين القرود، ثم قال: إنه تركنا وولى، لأننا لم نسمع نصحه، وها نحن أولاء نرى صدق ما راى، أما أنتم فتوقع وا هلاكم غداً معشر الآدميين.

* * *

كان الرجل يصغى إلى القرد متعجباً ، فلها ذهب إلى المدينة قص ما سمع ، وحدث من هذا القول إرجاف فى أسماع وافواه الخاص والعام حتى بلغ الملك . فأمر هذا بإحضار أول من نقل حديث القرد إلى المدينة ، وكان من أعيانها وأهل الاعتبار فيها ، فأتى الرجل القصر مع أقر بائه وإخوانه ، ويشاء القدر أرب يكون الملك غاضباً سقيم المزاج حين مَشل الرجل بين يديه ، فأمر بقتله مع تعذيبه عذا با ألها . فلما سمع أهله أمر الملك عادوا إلى المدينة فتجمع الناس من حولهم وقصدوا القصر ، وأمسى الشر عريان ، ولم يكن من وسيلة لإخماد الفتنة والقضاء على الشر ، وانتهى الأمر بقتل الملك ، و تفرق الناس من بعده أشتاتا ، وخربت المدينة .

* * *

فلما قص رستين على تغولشاه قصة القرد الحكيم، سأله لأى شيء قصدت بهذه القصة ؟ فعرض رستين أمره وأمر بيرى وما قد تستنبعه الخصومة التي شنها هذا عليه من فساد في الأرض ، والتمس من ملكه أن يخليه من عمله ، فإن في هذا العزل مصلحة الوطن ، ولو أنه ثقيل على الملك ان يفعله .

قال تغولشاه: « لا تتحدث عن هذا الأمر فإنى سآكفيك شره ولم تمض أيام حتى لقى بيرى حتفه مسموماً ». أما تغو لشاه فقد وهن عظمه ، واشتعل بالشيب رأسه ، واقتربت منه المنية رويداً رويداً حتى اخترمته.

ذو التاج يجمع عدة وعديدا والموت يبطش بالألوف وحيدا (وأعقب تغولشاه ملوك) إلى أن كان حكم دارا الثالث، وتجمع الناس من كل حدب وصوب يهنئونه بالعرش الذي علاه.

دول الزمان مناحس وسعود عود ذوى فيه وأورق عود فان دارا لم يكن أهلا لهذا الملك العظيم الذى ورثه عن أجداده، ولم يكن يعرف قدر الرجال، وقد نصب أخاً لبيرى وزيراً له، ولم يفطن إلى القول المأثور:

إذا كنتمو للناس أهل سياسة فسوسوا كرام الناس بالرفق والبذل

وسوسوا لئام الناس بالذل يصلحوا على الذل ، إن الذل أصلح للنــذل

فلما وجد الوزير الجديد نفسه مسيطرا على الدولة ، مسموع الكلمة فيها ، أخذ ينتقم لآخيه من الأمراء والرؤساء الذين كانوا أصدقاء لرستين ، ولم يكن أميناً فى نقل الآخبار لدارا الثالث ، فأخذ هذا يبطش بمن غضب عليه وزيره ، فتقلبت عليه قلوب الناس ،

وأضروا له العداوة ، وقد أغفل سنن الأولين ، وعمل ببدعة وزيره الجديد.

فلما خرج الإسكندر يريد غزو إيران ، ركب دارا ، أبلق التدهور ، وأمسك بيده عنان الكبرياء ، فلما التقى بغازى بلاده ، انفض عنه فوج من أنصاره ، وانضم فوج آخر إلى عدوه ، ثم قتله رجاله ، وقد ندموا على ذلك ولكن بعد أن سبق السيف العذل .

* * *

قال تنسر لملك طبرستان جشنسف شاه:

هذا ياسيدى الأمير ماكان من أمر إيران حين ظهر الخلاف بين وزيرين فيها ، بيرى ورستين ، ومنذ مقتل دارا الثالث ونحن لا نجد ملكا يحكم بلادنا جميعاً . واليوم وقد أتيح لأردشير أن يوحد وطننا وديننا ، فما أجدرك بالإسراع إليه ، والمبايعة له ، وأخذ ولايتك منه ، وأن تحمد ربك على أن هيأ لنا أن نقضى على الفرقة والانقسام (1).

⁽۱) عن الترجمة الفارسية لـكتاب إن المقفم و تنسر ، نشر مينوى ، طهران ص ۲۹ ــ ۳۸ وقد لاحظ Darmesteter أن هذه القصة موجودة في كتاب بنج تنترا السنكريتي الذي نقــل ابن المقفع عنه كليلة ودمنة (Journal Asiatique سنة ۱۸۹٤ ص ۳۳ه) ، وقد احتفظنا بقدر الإمكان بالألفاظ العربية وبأبيات الشعر التي احتفظ بها النص الفارسي الـكتاب .

وقد هلنا كتاب تنسر إلى العربية ، والقصة بهذه النرجمة ص ١٥ --- ٦٣ (كتاب تنسر ، ترجمة بحبي الحثاب ، مطبعة مصر ، عام ١٩٥٤) .

كان رجل يكتب أسراره على ورقة ، وكان بجانبه رجل آخر يتابع النظر فى الورقة ، فتضايق الرجل وكتب :

إن رجيلا جاهلا بنظر في ورقتي ويضطرني إلى ألا أكتب اسراري.

فغضب جاره وقال:

_ إنى لم أنظر فى ورقتك.

فقال الرجل:

_ وأنالم أكتب عنك شيئاً.

(جامع الحكايات)



ذهب درويش فقيه ، رث التياب ، إلى مجلس القضاة ، ليسمع مناظرة لهم، وكان شغوفاً بالعلم، محباً للشريعة، فجلس في الصف الأول، حتى بحسن الإنصات ولا يفوته شيء. وأقبل كبير القضاة فرأى رجلا قبيح المنظر، قدر الملبس، قد تقدم الصفوف واتخذ في صدرها مكانا ، فنهره متأففاً . وجاء المعرف (الحاجب) فغضب أكثر بما غضب سيده ، فأمسك بالرجل ، وجذبه من كمه ، وأمره بالوقوف. وراح المعرف يؤنب الفقير الدرويش على ما اجترأ من تخطى مرتبته واغتصب من مراتب الفقهاء . أفيرقى أى رجل إلى الصدر؟ أليس الناس درجات، وأنهم بالفضل والقدر يتفاوتون كرامة ورتبة؟ وكيف يسوغ عاقل لنفسه أن بجعل منها أسداً ولم يعط مخالب الأسود؟ وظل المعرف يكيل اللوم للرجل ، ساخراً منه، هازئاً به، حتى تعب من كثرة ما تكلم، واكتنى بما لتى الدرويش من خجل ، و بما أنزل به من عقوبة التقريع .

أما الدرويش فقد نظر إلى القاضى ومعرّفه متأوهاً زفرات كالنار تحترق وقد ترك مجلسه فىالصدر وذهب إلى آخر صف وجلس. هيهات أن يهبط من عليائه من تأخر عن الصدر مجلسه ، ومن أوتى العزة لا يخفضه أن يكون مجلسه المقعد الآخير .

***** * *

وجاء الفقهاء فأخذوا يتحدثون ثم بدأ الجدل بينهم فيما يعرضون له من القضايا ، كل يلق بحجته ، ثم يستمع إلى رأى أصحابه . واشتد الجدل ، وحمى وطيس النقاش ، وكثرت لم ؟ ولا نسلم ! وامتدت الرقاب وصاحوا بلا وبنعم . تحسبهم ديوك القتال قد مدت رقابها وحددت مناقيرها ، ينقر بعضها بعضاً ، وأعملت مخالبها ليثخن كل خصمه يبالغ الجراح . تراهم وقد أفقدهم الغضب وعهم ، فكان بعضهم يتربح من الغيظ كأنه سكران ، وبعضهم يضرب الأرض بيديه كأن به مسا .

وأدى بهم الجدل إلى قضية لم يجد أحد منهم مخرجاً لها و لكنهم ظلو ايتجادلون لجاجاً ، حتى التجت الأصوات .

* * *

فلما أيةن الدرويش أن القضاة قد أسقط فى أيديهم ، وأنهم جميعاً قد عجزوا عن حل ما عرض لهم ، قام من الصف الأخير ، ومشى مخترقاً الصفوف كأنه أسد العرين. فلما بلغ المنصة التفت إليهم وقال: عجبت له ياصناديد الشريعة وياعلماء الفقه والأصول إنه كم

لا تدعمون بالحجة قولكم، ولكنكم تتصايحون وتنفخون عروق رقابكم، وما هكذا تساق البراهين، ولا هكذ تحل القضايا. ثم عرض الدرويش لموضوع الجدل، فصال فيه وجال، فاقتنع القضاة برأيه، كأنه قد أمسك القلم بيمينه و نقش به الحجج على قلوبهم.

وأقبل الفقهاء جميعاً يهنئون الدرويش بسعة علمه، وحدة ذكائه واستقامة منطقه، وجمال طبعه. وقد نظر إليه القاضى الذى نهره وطرده واستعان بالمعرف ليزيده تعزيراً، وقد خيل إليه أنه غارق فى الوحل لا يستطيع منه حراكا، بينها الدرويش يسوق حصان القول سباقاً إلى الميدان.

ونادى القاضى المعرف ، ثم خلع ثوبه وعمامته ، وبعث بهما معه ، مع الإنعام والإجلال ، إلى الدرويش .. معتذراً إليه بأنه لم يكن يعرف قدره فبدرت منه البادرة ، سائلا العفو عن التقصر لأنه لم يقم بخدمته بنفسه ، آسفاً لأن يراه رث الملابس رقيق الحال ، مع هذه المرتبة الرفيعة من العلم والحلق .

وأقبل المعرف فى لطف وخشوع وأدب جم فوضع العامة فوق رأس الدرويش ، ممكاً الترب بيده ليعينه على لبسه . ولكن الدرويش دفع المعرف عن نفسه ، ونزع العامة وأعطاه إياها قائلا :

- اذهب إلى حيث جئت ولا تضع فوق رأسى تميد الغرور ، إنى أخاف على هذا الرأس أن ينوء بعبء عمامة قاضيك وقد لفت

بخمسة أذرع من القاش، اذهب فإنى أخاف على نفسى أن تملاً غروراً إذا ما لبست العامة الكبيرة ولقبت المربى أو الصدر الكبير، فأرى الناس صغاراً وقد يكرنون أكبر منى فضلا ومكانة عند ربى . ماذا على من هذه العامة ؟

وأى فرق يطرأ على الماء الزلال فى كأس من الذهب وضع أو فى كأس من الفخار ؟

إن العقل والحكمة أحب إلى رأسى من هـذه العامة الجميلة . إن العالم لا يعتز بكبر رأسه وضخامة عمامته ، فإن للقرع رأساً كبيراً لاعقل فيه .

و نظر الدرويش إلى القاضي الذي نهره فقال:

- لا ترفعن رأسك عالياً لأنك لبست عمامة كبيرة ، وتحليت بلحية طويلة . العامة من قطن ، واللحية كالحشيش بنبت فى الأرض . وليكن قدرك بقدر مالك من فضل ، ولا تكونن كزحل اتخذ بين الكواكب مكاناً عالياً ، ولكنه نحس يؤذى الناس .

ألم تعرف قصب الحصير، تراه طويلا فإذا ذقته لم تجد سكراً فيه ؟ ياصاحبي ؛ إنى لا أراك من ذوى الفضل لأن مائة عبد يسيرون من ورائك ، إنما الفضل بالعلم والحلق السكريم .

(بستان)

الاخوف والحب

سألوا الملك هرمز لماذا سجنت وزراء أبيك ، أرأيت منهم خطأ ؟ فقال :

- ما رأیت منهم خطأ ، ولکنی وجدت هیبتی قد تمکنت من قلوبهم ، فهم یخافوننی و لا یعتمدون علی عهدی ، فخشیتهم و أمرت بسجنهم ، عملا بقول الحبکاء:

خف ممن يخافك ، ولو أنك قادر على قتل مائة مثله ، ألم تر أن القطة فى عجزها تقلع عين النمر بمخلبها ؟ ولهذا تعض الحية رجل الراعى ، فإنها تخشى أن يحطمها بهذه الرجل.

(كلىتان)



الماك

ضافت الدنيا في وجه درويش ، كان ببحث عن قوته فلايجده إلا بشق النفس ، ولكنه اليوم في مسغبة لا يجد منها مخرجاً ، فلجأ إلى رجل من أثرياء بلده ، وشكا إليه حاله ، والتمس منه العون ، ولكن الثرى الخبيث لم يرحمه ولم يعطه ديناراً أو دانقاً مما أفاء الله عليه ، وتركه يتلوى جوعا وألماً ، ولم يكتف الثرى بجرمان المدويش من بعض ماله ، بل إنه صرخ في وجهه ونهره وطرده .

وتعجب الدرويش من هذا الثرى الذى امتلاً بيته بالخيرات يضن على الفقير بكسرة من خبز قفار يسد بها رمقه ، كأنه لايخشى صروف الزمان ، أو كأنه ضمن بقاء المال . ولما وجد الثرى أن الدرويش يتمتم ويتباطأ فى الانصراف عنه ، نادى خادمه وأمره بطرده شرطردة ، فطرده فانصرف .

* * *

وسارت عجلة الزمان ترفع وتخفض ، وتدنى وتقصى ، فإذا بالثرى الخبيث يفقد ثروته ، ويصبح فقيراً لايملك شروى نقير ، ويمسى بمزق الثياب ، خاوى الوفاض ، يستجدى عطف النياس ليأكل ، وقد تهدم بيته فافترش الثرى والتحف الثريا ، وآخذ يلتفت إلى من حوله لعله يجد من يعطف عليه ويرق له فيسد رمقه ، ويكسو عريه ، ويأويه من وهج الشمس بالنهار ، ومن قارس البرد بالليل .

أما عبده الذى استعان به على زجر الدرويش وطرده فإنه قد اضطر إلى بيعه فيها باع من أموال، وقد اشتراه رجل ثرى كريم مبسوط اليد، يسعده أن يجد فقيراً ذا مسغبة فيطعمه ، كما يسعد الفقير عال يتمناه .

* * *

وذات يوم وقف بياب قصر الثرى فقير يلتمس لقمة ، وقد بدا على مظهره ذلة الفقر وعضة الجوع ، حتى إنه لم يكن قادراً على الوقوف مستجدياً فسمعه الوقوف مستنداً إلى رجليه ، ورفع الفقير صوته مستجدياً فسمعه الثرى فأرسل غلامه بطعام ليطعم هذا السائل المحروم ، وخرج الغلام يحمل أطباق الطعام ، فلم يكد يقع نظره عليه حتى صاح متعجباً من حكمة الله ، وعاد إلى سيده وقد اغرورقت عيناه ، فسأله سيده عن سبب بكائه فقال:

إن هذا الرجل الذي وقف على بابنــا بمد يده بالاستجداء ويطلب الإحسان، هو سيدي الذي كان بملك من الذهب والفضة ما لاعدد له ، والذي كان ينفق عن سعة ، ولكنه كان ينهر المسكين ولا يطعمه ، فها هو ذا قد أذله الله وأذاقه مرارة الفقر والمسكنة ، فأتى ينشد عندك ما يتبلغ به ، فيا لظلم الآيام وجور الزمان ! فضحك السيد وقال لغلامه :

ايس هذا ظلما يابني فإن الزمان لايظلم النماس، أليس هذا هو التاجر المتكبر الذى صعَّر خده، ورفع بالغرور رأسه، كأنه يريد أن يبلغ السماء. وأنا يابني الدرويش الذى طرده من بابه وقد استعان بك يومئذ على طردى وإذلالى، هاهو ذا يجلس ذليلا حيث كنت فقد رضى الله عنى فأزال عنى الفقر وأنعم على بنعمته التى ترى، والله يابني إذا أغلق بابا فتح برحمته بابا سواه، وهكذا يسعد فقراء بعد حرمان، ويشتى بالبؤس بعض السعداء، والمال يابني و دبعة، تنتقل من يد إلى يد، فيها للسائل والمحروم نصيب.

(بستان)



المستنو

ظهر فى عهد أحد السلاطين رجل ادعى النبوة فأمر السلطان بالقبض عليه وقتله.

وبعد زمان ظهر رجل آخر فادعى الألوهية ، فلما علم السلطان بأمره ، أمر بإحضاره إليه فسأله :

ـــ كيف تجرؤ على ادعاء الألوهية ، ألم تسمع أن رجلا ادعى النبرة فقتلناه؟

فقال الرجل:

- حسنا فعلت أيها السلطان ، فإنى لم أبعثه نبياً ا (عبيد الزاكاني)



سمعت أن رجلا ، أيام عيسى عليه السلام ، أمضى عره في الصلال والجهل ، فأتلف حياته سدى . وقد كان من سوء السيرة ، وخبث الطوية ، وقسوة القلب ، بحيث يخبل منه إبليس . لم يكن يجد قلباً يأوى إليه ، وقد امتلات رأسه بالمكر والجنون ، وتخمت بطنه بالاكل الحرام ، وتلوث ذيله بالفسق ، حتى إن أسرته تدنست بخطاياه . لم يكن لهذا الرجل الفاسق قدم تسوقه إلى سواء السبيل ، وإذا حضر بحلس نصح وتقوى بدا كأن في آذانه وقرا ، وقد خشيه الناس وأبغض ه كما يبغضون السُنه السيئة . وقد أسلم نفسه للهوى والشهوة والإباحة ، فلم يقف في طريقه شيء ، ولا أقام وزناً لوازع ، إنه كان يعبد نفسه وبقدس شهوته ، فكان يقضى الليل سكرانا ، والنهار مخمورا .

* * *

وأقبل عيسى عليه السلام من الوادى فدخل مقصورة العبادة ، ورآه الرجل المستهتر ، وقد أحاطت به هالة النبوة ، فبهره ما رأى ، وأحس شيئاً يدفعه إلى عيسى ليطلب العفو من ربه ، ويندم ويتوب عما فات . إن التقوى قد دخلت إلى قلب الرجل ، وهو شاعر بما

قدمت يداه من آثام . فهو نادم ، كسيف البال ، باك ، يريد أن يستغفر ربه ، عساه أن يغفر له .

ودخل الرجل المقصورة ، فارتمى تحت قدمى عيسى ، وأجهش بالبكاء ، وكلما حاول أن يتكلم خنقته العبرات ، حتى إذا هدأ تكلم مستغفراً ، طالباً الرحمة من رب العالمين .

وكان فى الركن الآخر من المقصورة رجل عابد صالح، لا يترك صلاته ، ولا يتوانى عن الصوم ، يقوم الليل ، إنه يعبد ربه آناء الليل وأطراف النهار ، وكان يعرف هذا الفاسق. فلما رآه قد اجترأ على دخول المقصورة ، وأخذ يتوسل ويذرف الدمع ، تأفف من السماح لمثله بدخول بيوت الله ، ومشاركة الصالحين فى مأواهم . فأخذ الرجل الصالح يشتم الفاسق ويدعو ربه ألا يجعله معه يوم الحساب ، فإنه لا يقوى على رؤياه أو صحبته .

وأبصر عيسى فإذا الوحى، وقد بعثه . جليل الصفات، مقبلا عليه يقول:

ياعيسى لا يغضبنك الرجل قد أمضى عمره فى الفسـق ، وأتى اليوم إلى عتباتك يطلب العفو والغفران. إنه قد بكى ندماً وحسرة على ما أذنب، وأنه سيمشى بعد اليوم على صراط مستقيم .

ياعيسي لا تسمعن العابد الصالح ، إنه يتقدم إلى ربه في كبرياء ، معتمداً على أنه أمضي عمره مطيعاً لربه . يا عيسى ، إن العجز والمسكنة والذلة على عتبة الله خير من الطاعة والعبادة والاعتداد بالنفس. إن الله لا يحب كل مختال فخور ، وإن دعاء الرجلين: الفاسق، والصالح مقبول عند ربك على السواء، ولو أن هذا عالم، وذاك جاهل.

ياعيسى إن الفاسق قد أتانى متضرعا باكيا لأنه أضاع أيامه سدى ، وأنا أقبل عثرة من أتانى ذليلاكسير الفؤاد ، ولقد غفرت له سيئاته ، وسأجعل له الفردوس نزلا .

ياعيسى، قل للعابد: لا يجزع من صحبة الفاسق يوم القيامة ؟ يومئذ لن يرى فيه عارا ؟ فإنى مدخل الفاسق الجنة ، وملق بالعابد في النار ؟ لأن الأول قد امتلا قلبه دماً من حزنه وأسفه على ما قدم من ذنوب ، ولأن الثانى قد عقد على تقواه الأمل في الجنة ، فجاء متكبراً ، و بخضاً للمتكبرين . ليس من الخير أن يعبد الله ، والرجل في متكبراً ، و بخضاً للمتكبرين ، ويعلو على من لا يعبد الله ، والرجل فيحسب نفسه من الصالحين ، ويعلو على من لا يعبد الله ، والرجل الحرلايفخر برجولته . فليس كل فارس ماهر قادراً على اللعب بالكرة . يا عيسى ، قل للعابد: إنه مغرور ، وقد ظن عقله من الفستى ، والحق إنه من البصل ، قشر على قشر ، قل له ليستغفر دبه ، فإن والحق إنه من البصل ، قشر على قشر ، قل له ليستغفر دبه ، فإن ما قدم من طاعة ، وما أدى من عبادة ، ليس بنافعه اليوم . إنه لن يجنى ثمرة من طول عبادته ، لأنه أطاع ربه وآذى الناس .

إن مذنباً بخاف ربه خير من عابد يباهي بعبادته .

اشتهر إبراهيم الخليل بالكرم وحسن الضيافة، وقد حدث أن مضى أسبوع لم يحضر مأدبته أحد من أبناء السبيل ، وكان إبراهيم لايستطيع أن يتناول طعام الصباح حتى يحضر أحد الفةراء فيشاركه طعامه . فخرج من بيته وأخذ ينظر إلى كل جهة من أطراف الوادى حتى رأى رجلا في الصحراء: طويلا كالصفصاف ، وقد اشتعل رأسه شيباً كأن الكبر قدكساه بثلجه.

ونادى إبراهيم عابر السبيل فلما أقبل عليه ، حياه ورحب به ، ونادي بإحضار الطعام ،وسأل ضيفه الإذن بتناول الطعام فيصحبته فقبل الرجل شاكراً، وكان يعوف كرم إبراهيم ويسمع أخبار مضيفته . وأقبل الخدم فأجلسوا الرجل فى مكانه من المائدة بالنجلة والتكريم. فلما اكتمل الجمع وأخذكل مكانه، بدأوا بذكر اسم الله الرحمن الرحيم. ولكن الضيف لم يذكر الإسم الأجل.

وتعجب إبراهيم من الشيخ الكبير لايذكر اسم ربه قبل أن يضع الخبز في فمه ، فسأله لماذا لم يفعل كما يفعل الشيوخ في إخلاص و إيمان. فقال الرجل: إنى لا أستطيع أن أعمل شيئاً لم أسمع عنه من سدنة ييت النار .

فأدرك إبراهيم أن ضيفه مجوسى من عبدة النار ، فاستولى عليه الغضب وأمسك بالرجل فرفعه من مكانه وطرده ، حرصاً منه على ألا يشارك الاتقياء أكلهم.

* * *

فبعث الله جبريل إلى إبراهيم يقول له:

يالٍبراهيم لقد تحملت هذا الشيخ ومنحته الحياة والقوت مائة سنة ولم تستطع أنت تتحمله لحظة واحدة؟

يا إبراهيم إذا كان الشيخ يسجد للنار فما بالك أنت تكف اليد التي بسطتها لك بالجود؟

(بىتان)



अं रही संस्थित

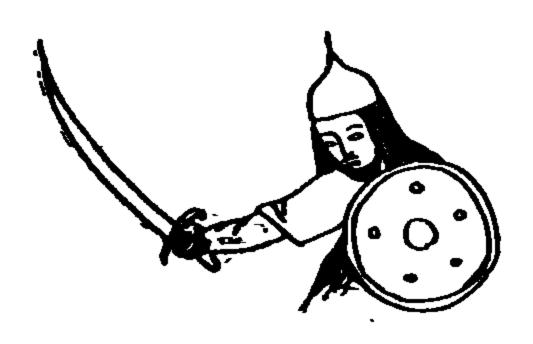
أمر ملك بقتل رجــــل برى. ، فلما حان وقت التنفيذ قال الرجل للملك:

العضب على عبدك. غسأله الملك ماذا يقصد. فقال:

مأتأثر بقتلك إياى لحظة من ساعة ، وسيبتي إثمك حتى قيام الساعة .

فأعجب الملك بنصحه وعفا عنه .

کلستان



مرض الأمير منصور بن نوح مرضاً أزمن حتى أقعده ، وعجز الأطباء عن مداواته ، فأرسل رسو لا يدعو محمد بن زكريا الرازى ليعالجه ، وجاء الرازى حتى نهر جيحون ، ولكنه عندما بلغ شاطئه ورأى ماءه ، قال: أنا لا أركب السفينة ، فقد قال الله تعالى: ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة ، فليس من الحكمة أن يركب الإسان الأخطار مختاراً . ثم صنف كتابه و المنصورى ، فى الفترة بين رجوع رسول الأمير إلى بخارى وعودته منها ، ثم سلمه إليه وقال: أنا هيذا الكتاب ، وسترى فيه مقصودك ، ولا حاجة لك بى .

فلما وصل الكتاب للأمير غضب ثم أرسل له ألف دينار وحصاناً خاصاً بعدته وقال لرسله: ترفقوا به فإن لم يجد الرفق معه قيدوا يدبه ورجليه وأجلسوه في السفينة واعبروا. فعمل الرسل برأى الأمير، ولكن الرفق لم يؤثر في الرازى، فأوثقوه وأركبوه السفينة وعبروا. ثم فكوا قيده، وقدموا له الجنيبة بعدتها فركبها، هادى الطبع، واتجه نحو بخارى. فقالوا له: إنا خفنا أن تخاصمنا بعد أن نعبر النهر و نفك قيدك، ولكنا لم نر منك ضجرا أو ضيق بعد أن نعبر النهر و نفك قيدك، ولكنا لم نر منك ضجرا أو ضيق

صدر. فقال: إنى أغرف أن عشرين ألف رجل يعبرون جيحون كل عام ولايغرقون، وأنا أبضاً لا أغرق إذا عبرت، ولكن من الجائز أن أغرق، فإذا غرقت فسيقال حتى يوم القيامة كان محمد بن زكريا أبله إذ ركب السفينة مختاراً فغرق، فأكون من الملومين لا من المعذورين.

ولما بلغ الرازى بخارى دخل عليه الأمير وتقابلا ، ثم بدأ الطبيب العلاج وبذل فيه جهده ولكن بلاجدوى ، فدخل يوماً عند الأمير وقال : « غداً سأجرب علاجا آخر ، وسيخرج من أجل هذا العلاج الحصان كذا والبغل كذا ، ، وهاتان الدابتان معروفتان بالسرعة ، فإنهما يقطعان أربعين فر سخاً في الليلة .

وفى اليوم التالى حمل الامير إلى حمام نهر موليان ، ووضع الحصان والبغل خارج الحمام معدين ومشدودين مع غلام الرازى، رلم يسمح لاحد من خدم الامير وحشمه بدخول الحمام ، ثم أجلس الرازى الامير وسط الحمام وصب عليه ماء فاتراً ، ثم أعدله شرابا وذاقه ثم سقاه إياه ، وأبقاه زمنا ليتيح للاخلاط أن تنضج فى مفاصله ثم ذهب فلبس ثوبه وعاد فرقف أمام الامير مرجها له أفيح الشتم مياكذا وكذا لقد أمرت بقيدى وإلقائى فى السفينة وتهديد حياتى ماكذا وكذا لقد أمرت بقيدى وإلقائى فى السفينة وتهديد حياتى فإذا لم أجزك على هذا بإزهاق روحك فإنى لا أكون ابن زكريا ، فغصب الامير غاية الغضب ، ونهض على ركبتيه وهو فى مكانه ، فغصب الامير واقفاً ،

غضباً أو خوفاً ، فلما رأى الرازى أن الأمير قد وقف تراجع وخرج من الحمام . ثم ركب الحصان وركب غلامه البغل واتجها نحو جيحون فعبراه عند صلاة العصر ، وأحثا السير إلى أن بلغا مرو ، ومنهاكتب الرازى خطابا للأمير قال فيه:

و بعد هذا لم يكن من الصواب أن أبق لأقابل الأمير محيح الجسم نافذ الرأى ، قد بدأت العلاج وبذلت كل ما فى الطاقة ، فرأيت حرارة غريزية مع ضعف تام وأن العلاج الطبيعى قد يطول ، فعدلت عنه ولجأت للعلاج النفسانى ، فحملت مولاى إلى الحمام وناولته الشربة وتركته حى تنضج الأخلاط نضجاً تاماً ، ثم أثرت غضبه حتى يساعد الغضب فى إذ كاء الحرارة الغريزية فتقوى وتحلل هذه الأخلاط المتزايدة ، وبعد هذا لم يكن من الصواب أن أبق لأقابل الأمير ،

وعندما نهض الأمير على رجليه وخرج الطبيب فامتطى جواده غشى عليه ، فلما أفاق قام وخرج و نادى الحدم وسأل أين ذهب الطبيب ؟ فقالو ا خرج من الحمام فركب الحصان وسار مع خادمه ، فعرف الأمير قصد الرازى من سلوكه .

وخرج الأمير ماشياً من الحمام ، وذاع الخبر فى المدينة ، ثم جلس فى الحضرة ، وأقام الناس الأفراح .

وفى اليوم السابع جاء غلام الرازى راكباً البغل ومعه الحصان وسلم الأمير الحظاب الذى كتبه سيده ، فقرأه الامير ، ثم أمر بالحلع والصلات للرازى .

(جهار مقاله)

الا الد

رأى أحد الصالحين فى المنام ملكاً فى الجنة وزاهداً فى النار. فسأل كيف كان ذلك؟ فقيل له:

دخل الملك الجنة لحبه الدراويش ، ودخل الزاهد النار لتقربه من الملوك .

(كلـتان)



لا دواء الماك للربين

مرض ملك مرضاً مستعصياً ، واجتمع أطباء اليونان لعلاجه فلم يروا دواء له غير كبدآدمى ذى صفات خاصة ، فلما عرف الملك هذا أمر بالبحث عن الإنسان المطلوب ، فاجتهد رجال الحكومة حتى عثروا على ابن دهقان توفرت فيه شروط الاطباء

وبعث الملك لوالدى الفتى وحدثهما عن الأمر وأجزل لهما العطاء، فقبلا قتل ولدهما ليأكل الملك كبده ليشنى.

ونادى الملك القاضى وسأله إذا كان حلالا قتل نفس بغير نفس و لكن المتداوى الملك بكبدها ، فأفتى القاضى بأن قتل أحد الرعية ليأكل الملك كبده ليشنى ، حلال .

وجىء بالغلام ليذبحوه ذبح الشاة ، وكان الملك مطلا عليه ، فرأى الغلام ينظر إلى جلاده ثم يرفع عينيه إلى السهاء ويبتسم .

فأسرع الملك نحو الفتى وسأله: ماذا أضحكك وقد أشرفت على الهلاك ؟

فقال الفتى:

إن على الوالدين أن يرحما فلذة كبدهما ، وإن على القاضي أن

بعدل إفى قضائه ، وإن على الملك أن يعفو ، وقد رأيت أبوى عرهما حطام الدنيا فسلماك روحى ، وسألت القاضى فخشيك ، ولم يخش ربه ، فأحل لك دمى ، وأنت ياسيدى رأيت شفاءك فى إزهاق روحى فأمرت بقتلى ، فلم أر ملجأ لى غير ربى ، فرفعت رأسى إليه راضياً بقضائه .

فتأثر الملك من قول الفتى و بكى ، وقال: لأن أموت مريضاً خير من قتل نفس زكية ، ثم أخذ الفتى فقبله و أجزل له العطاء . قالوا: ولم يمض على هذا أسبوع حتى برىء الملك من علته . (كلمتان)



ما تم الطائي والحطاب

سئل حاتم الطائى: أرأيت أو سمعت أن رجلا أعلى همة منك؟ فقال نعم، نحرت يوماً أربعين جملا، ثم خرجت مع جماعة من أمراء العرب إلى الصحراء، فرأيت حطاباً يجمع الحطب ثم يحمله فوق ظهره، فسألته: لماذا لم تذهب إلى بيت حاتم فقد اجتمع القوم حول سماطه؟ فقال الحطاب:

إن من بكسب خبزه من عمله لا يتحمل منة حاتم الطائى. فأدركت أن هذا الحطاب أعلى همة منى.

(كلستان)



الماحب

ذهب وزير إلى « ذو النون ، قدس سره وطلب منه العون قائلا : إنى أقوم بخدمة الملك ليل نهار ، آمل في خيره خائف من بطشه .

فبكي ذو النون وقال:

لو خشيت الله خشيتك الملك لكنت من الصديقين.

(كلستان)



اقترب أجل أحد الملوك ، ولم يكن له وارث ، فأوصى بأن أول رجل يدخل المدينة صباح مرته يرلى ويرقى العرش وتفوض إليه أمور المملكة .

فاتفق أن أول داخل فى المدينة صبيحة موت الملك درويش كان يقتات بما يجود عليه الناس به من لقم ، وكان يلبس رداء خاطه بما جمع من خرق ، فنفذ أركان الدولة وصية الملك ، فألبسوه التاج وسلم، ومقاليد الملك .

وبق الدرويش يسوس أمور الدولة زمناً حتى خرج عليه بعض الأمراء وثار عليه الملوك من كل الأطراف ، واتفقت كلمة الجند والرعية على خلعه .

وينها الملك الدرويش فى كدر بما أصاب فكره من التشتيت بسبب الملك جاءه صديق له قديم ، من أيام الفقر والتسول ، فرأى صاحبه قد علا العرش وعلى رأسه تاج ، فقال له:

الحمد لله رفع درجتك وجعل لك حظاً عظيماً ، فأخرج من

الشوك زهرتك ، ومن الحصى رجليك ، وربعك على العرش ، فإن مع العسر يسرأ .

فقال الدروبش الملك:

يا صاحبى، إن دعاك ظاهرى لتهنئتى فإنى بالعزاء جدير، فإنى حين عرفتنى، لم أكن أفكر فى غير كسرة من خبز أسد بها رمتى، أما اليوم فإنى أفكر فى هذه الدنيا التى ثارت على ، تريد أن تعصف بى .



اللك والزاهد

رأى ملك زاهداً فسأله: ألاتذكرني أبداً ؟

قال الزاهد:

أجل، أذكرك كلما نسيت ربى. .

(کلستان)



درفش كاويانى

حدثتك يا مركاى عن إيران أيام جمشيد وكيف ازدهرت الحياة فيها بفضل ما لقى الناس من عدل هذا الملك وحبه لبلده وعمله على النهوض بها وإسعاد أهلها ، واليوم أحدثك عما كان من أمره بعد أن بلغ الغاية فى السمو والسلطان ، فإنه لما رأى الناس مقبلة عليه ، تحبه و تؤثره و تلتف من حوله ، طغى و بغى و تكبر ، ورأى نفسه بشراً فوق البشر ، فادعى الألوهية وأمر الناس بأن يصنعوا التماثيل من رسمه وأن يعبدوها . وكان فى إيران و قتذاك ثلاثة أديان دين الملوك ودين الشعب ودين قبيلة المغان (المجوس) ، فلم بلق رأى الماك جمشيد قبو لا من إحدى هذه الطوائف ، و ثاروا جميعاً عليه ، وعملوا على خلعه .

وكان بجوارهم، في بلاد حمير، ملك عربى عظيم، كانت أخباره تسير في إيران، فيعجب أهلها بعدله، واستقامته، وحسن سيره في رعيته، وكان التجار يفدون من حمير على إيران فيقصون على أهلها من عظمة مرداس، وحب الاعراب له، ماكان يقربه من

قلوب الإيرانيين و يمكن له فى قلوبهم ، وكانوا ينتقلون من إيران إلى بلاد حمير فيتحدثون فيها عن جور جمشيد ، وبغيه ، وغروره ، ومحاولته قهر الفرس على عبادة تماثيله ، وكيف أن الشعب ثائر عليه خالع له ، فيجيش صدر مرداس بالرغبة فى غزو هذه البلاد لينشر فيها الامن ، والعدل ، وليتيح للناس فيها أن يكونوا أحراراً فى اعتناق الدين الذى يحبون .

واستعان الإيرانيون بمرداس ملك حمير ، وسعى عظاؤهم إليه يغزن منه العون ، ويفوضون إليه الأمر ، ولم يكن مرداس غريباً عن إيران ، فهر زوج أخت جمشيد ، وولده الذى يليه فى الحمكم يعتبر من أبناء بنات الإيرانيين ، ولذا فإن جيوشه قو بلت بالترحيب فى إيران ، وذهبت جهود جمشيد فى الدفاع عن نفسه عبثا ، وتركه جنده فريسة لجيش الغزاة العرب ، فاضطر أن يهرب إلى الهند ، ومنها إلى الصين ، وتعقبه رجال الغزاة فقبضوا عليه وسيق إلى إيران فأمر الملك ، بقطعه نصفين بعظم سمكة .

* * *

وإذن فقد أصبح ملك حمير ملكا على إيران، وخرجت الجيوش العربية من الصحراء إلى بلاد ذات مدنية وعمران، وانتقلت حياة العرب من البداوة الساذجة السهلة إلى الحضارة المترفة المعقدة،

وأصبح ولى عهد الدولة ، بيورسب ، ينعم فى العاصمتين ، العربية والفارسية ، نعيما لم يتح لابناء كثير من الملوك .

واتسع مجال اللعب واللهو أمام بيورسب، فرأى فيه الشيطان ضالته، لإفساد أمور الناس والبطش بهم ، فيل إليه أن يستعجل هذا الملك العظيم الذى لن يتاح إليه إلا إذا مات أبوه، وصورله أباه أنانياً ، لا يحب له الحير ، وماذا لو نزل له هذا الوالد عن جزء من هذه الدولة الواسعة ، التى لا يحكم ملك فى العالم دولة فى عظمتها واتساعها ، وماذا لو أتاح له بعض مزايا الملك كما يفعل سائر الملوك مع أبنائهم ، ثم إن الامور تسير على غير ما ينبغى أن تكرن عليه ، فهدذا ملك عربى لا تجرى فى عروقه دماء ملوك الفرس ، فهو فهذا ملك عربى لا تجرى فى عروقه دماء ملوك الفرس ، فهو ورعايتهم ، وأما بيورسب فهو نصف فارسى ، هو ابن ملك حمير من أخت ملك إيران ، فهو إذن أولى من أبيه بحكم إيران .

وأخذ الشيطان يوسوس لصاحبه حتى صور إليه أنه قادر على التخلص من أبيه ، ليلي هذا العرش العظيم ، وما أيسر بلوغ هذه الأمنية ، إنها لا تزيد على ضربة سيف من فتى في ريعان الشباب إلى شيخ بلغ من عمره عتيا .

وفي ساعة من ساعات الشر والشهوة ، أمسك بيورسب سيفه ،

ودخل على أبيه الشيخ ، ولم تكن إلا ضربة واحدة ، أسقطت ملكا وأقامت بدله ملكا آخر .

وصار بيورسب ملك حمير وإيران .

数 数 数

ومضت السنون الأولى من حكم بيررسب فى هدوء ودعة ، فإن أحدا من الناس لم يكن يعرف أنه قتل أباه ليخلفه ، ولكنهم يعرفون أن العرش قد آل إليه ، وأنه ابن إحدى بنات ملوكهم ، فهو إبرانى مثلهم ، وكانوا به فرحين .

ولكن الشيطان لم يترك صديقه لحظة واحدة ، وماكان يقوده لخير إلا ليهيئه لشر أعظم ، فهو يملى عليه من الحكمة ما يرفعه فى أعين الناس ، وهو يهيء له من الخير ما يزيده تقرباً إليه وإعجاباً به فتمثل له فى صورة طباخ ماهر ، وكان بيورسب نهماً ، يحب الأكل ويعنى بأصناف الطعام ، فكان الشيطان يقدم له كل يوم ما لذ منه وطاب ، مما أطلق لسان بيورسب بالثناء عليه .. وكان إذا سأل هذا الطباخ الماهر عن أمر أجابه بحكمة تلهج لسان الملك بالشكر والإعجاب ، وكلما حاول بيورسب أن يكافى هذا الشاب بالمال أبى وامتنع وقال إن رضاء الملك ثروته و ذخيرته فى الحياة . .

قال بيورسب:

ولكنى أريد أن أكافئك على ما أرى من حسن صناعتك ورائع تفكيرك وجميل نصحك ، فاطلب ما شنت ما دمت لا تريد المال .

إن وجودى بجانب مولاى هو خير ما أتمنى، وإذ أتاح لى الملك أن أطلب ما أشاء فإنى ألتمس منه أن يتيح لعبده أن يقبل ما بين منكبيه.

وقبل الملك وأقدم الشيطان فقبله بين منكبيه واختنى فلم يره أحد .

ونظر بيورسب حوله ليرى هذا الطباخ الماهر فلم بقف له على أثر ، وبنيا هو في حيرة من اختفائه إذا به يحس حركة بين منكبيه ، وإذا بحيتين خبيتين قد نبتتا حيث كانت قبلة الطباخ .. وجيء بالاطباء من كل مكان فأشاروا بقطع الحيتين فقطعتا ثم نبتتا من جديد أشد هو لا وأكثر فتكا عاكانتا ، وكلما قطعتا ظهر تا من جديد أكبر حجا وأقبح شرا . . وحار الاطباء ثم تشاوروا ورأوا أن يؤتى بحكيم من بلاد اليو نان اختص بعلاج مااستعصى من الأمراض . وجاء الحكيم ، ورأى الملك والنعبانين فقال : هذا شر عظيم ، وإذا شاء الملك أن بعيش فعليه أن يكفل لهذين الثعبانين الغذاء ، وهما لا يأكلان غير أدمغة البشر ..

وأقض الفزع مضجع الملك بيورسب ، وأدرك عاقبته إذا هو سار فى تمتل الناس ليغذى الثعبانين بأدمغتهم ، ونادى المنجمين بسألهم عن المصير ، فحذروه جميعاً من طفل صغير من فسل الكيانيين يشب فينتزع منه الملك ، فأخذ بيورسب فى تقتيل أفراد الكيانيين ليفرغ منهم ومن فسلهم ، وكان من هؤلاء شاب ذكى الفؤاد ، واجح الفكر ، اجتمعت فيه الصفات التى يحبها الناس فى ملوكهم ، وكان العظاء يجتمعون عنده ، ويتشاورون فيما ينبغى أن يعمل ليخلصوا بلادهم من حكم العرب ، وليولوا عليهم ملكا من أنفسهم بدل هدا الملك الذى أطلقوا عليه لقب التنين ، أزدهاك—الضحاك ، بدل هدا الملك الذى أطلقوا عليه لقب التنين ، أزدهاك—الضحاك ، والذى يقتل أبناءهم فى غير رحمة أو شفقة ليطعم ثعبانيه بأدمغتهم .

ووقع هذا الشاب في يدرجال بيورسب فأخذوه و تتلوه و قدموا رأسه غذاء للثعبانين ، وكان له طفل صغير اسمه أفريدون ، فخشيت أمه أن يصيبه ما أصاب أباه ، فأو دعته سر آ عندأ حد الموابذة ليرعاه ، فلم يكد المربذيرى الطفل حتى أخبر أمه بأن سيكون له شأن كبير وسيئول إليه عرش إيران . وجد بيورسب في طلب هذا الطفل وهو يبحث عن نسل الكيانيين ، ولكن أمه استطاعت أن تنقله إلى بلاد الهند ، فظل بها إلى أن أصبح شابا قرياً ، وعبثا ذهبت جهود بيورسب للعثور عليه .

ولما اكتملت فتوة هذا الشاب أخذ يسأل صاحبه الذى نشأ عنده، ويلح عليه فى السؤال، إلى أن عرف أنه من نسل الكيانيين وأن بيورسب قتل أباه، وأن أمه هر بته من إيران إلى الهند حتى لا تمتد إليه يد الملك الظالم فيطعم دماغه الثعبانين اللذين افنيا شباب إيران وزهرة أهلها . ولم يستطع الفتى صبراً بعد الذى سمع، وأعد عدته ليسافر إلى إيران، فيدفع الشر عنها، ويقتل هذا الملك الظالم، ويعيد الاستقلال إلى بلاده، ويجلس على عرشها ليصلح أمرها، ويعيد إليها ما كانت عليه من عظمة وجلال.

فلما بلغ إيران قابلته أمه فحدثها بما علم واستزادها فزادته علماً بأسرته، وبأحوال بلاده، وخبأته فى مكان أمين انتظاراً لسنوح الفرصة، فتوارى أفريدون عن الأنظار إلى حين.

* * *

وكان فى المدائن حداد اسمه وكان نه ولدان يساعدانه فى حانوته الصغير ، فجاء اعوان الملك وأخذوا الإبن الأكبر فقتلوه ، فجلس الرجل حزيناً صابراً على ما أصابه وداعياً ربه ألا يأتى دور ولده الثانى حتى يكون الضحاك قد هلك فيخلص الولد من الموت. وفى صباح اليوم التالى جاء الجند فساقوا ابنه الآخر ليقتلوه ، فنفد صبر الرجل ، وسار جزوعا إلى بلاط بيورسب ، فاقتحمه غير مستأذن فلما دخل وجد الملك

وعلى كتفيه التعبانان ومن حوله جاعة من العلماء يحررون محضراً يشهدون فيه بأن الملك يراعى الرعية بالرفق والحسن ، وأنه بقيم العدل بين الناس ، ولا يظلم منهم أحداً ، فرفع و كاوه و الحداد صوته ، شاكيا حاله ، فقد أخذوا ابنه الأكبر وقتلوه بالامس واليوم عادوا فأخذوا الولد الثانى ، فرق قلب الملك له ، وأمر والمولاق سراح الولد و فظر العلماء إلى كاوه و شرالناس عالم بلاخلق و طلبوا إليه أن يشهد بعطف الملك على رعاياه ، واستماعه لشكواهم ، وتحقيق العدل بينهم ، ورفع الظلم عنهم ! ولم يكد وكاوه يسمع هذا الكلام حتى استشاط غضبا ، ولم يستطع أن يكظم غيظه فأخذ المحضر من يدكير العلماء ومزقه ورمى به فى وجهه وهتف بسقوط بيورسب .

وخرج من القصر مسرعا وهو ينادى بسقوط الظلم، فالتف الناس من حوله وساروا وراءه حتى بلغ دكانه وهناك وجد الجمع قد كثر ، فأخذ الحرقة التى يلفها على وسطه ليتتى بها شواظ النار ورفعها وأخذ ينادى باستقلال إيران وبسقوط بيورسب وبالدعرة إلى أفريدون ، وسارت الجماهير من ورائه تؤيده وتهتف وراءه .

* * *

وبلغ الخبر أفريدون ، فخرج من مكمنه ، وسار إلى حيث

الجماهير متجمعة حول وكاوه، افنادوا به ملكا عليهم وساروا معه إلى قصر بيورسب فقبضوا عليه اوقيدوه ورموه فوق جبل دماوند، يشتى إلى أن يقضى عليه الثعبانان.

ومنذ هذا اليوم اتخذملوك إيران هذه الحرقة علما لهم ، وسموها العلم الحكاويانى ، نسبة إلى كاوه الحداد ، وزينوها باللآلىء والجراهر وكانت أنفس ما يعتز به ملوكها .



سئمت صحبة أصدقائى فى دمشق ، فوليت وجهى شطر صحراء القدس ، أضرب فيها خبط عشواء ، فوقعت أسيراً فى يد الفرنج ، وأودعونى خندقا مع الهود ، وأخذت أعمل معهم فى الطين ، فمر بى صديق قديم من رؤساء حلب فعر فى وسألى عما حل بى .

فقلت: خرجت أبتغى وجه ربى فرمانى الزمان مع هؤلاء الناس، وإنه لخير لى أن أعيش بين أصدقائى فى السجن من أن أعيش حراً مع هؤلاء القوم فى البستان.

فرق قلبه لى وافتدانى بعشرة دنانير وأخذنى معه إلى حلب . وكان لهذا الصديق بنت فعقد لى عليها بصداق مائة دينار ، وكانت هذه البنت سيئة الحلق ، قاسية الطبع ، وطالما تحملت من عنفها وغلظتها ، فذات يوم نطاولت على قائلة :

ألست أنت الذى اشتراك أنى بعشرة دنانير من أسر الفرنج . فقلت: بلي يا سيدتى اشترانى أبوك من الفرنج بعشرة دنانير وسلمنى إليك أسيراً بمائة دينار مثلى كمثل الشاة أنجاها الرجل من الذئب في الصباح ، وأجرى على رقبتها السكين في المساء.

(كلستان)

ركب ملك سفينة ، وكان فى هذه السفينة غلام لم ير البحر من قبل ، ولم يعرف محنة ركرب السفن ، فلم تكد السفينة تسير حتى بدأ الغلام يبكى ويصيح وارتعدت فرائصه ، وحاول رجال الحاشية أن يهدئوا من روعه فلم يفلحوا ، بل ازداد عويله . فغضب الملك من صراخه ، وحار الرجال في إسكانه .

وكان فى السفينة حكيم فسأل الملك أن يسمح له بتهدئة الغلام فرجاه الملك أن يفعل ، فأمر الحكيم بإلقاء الغلام فى الماء ثم امساكه من شعر رأسه ورفعه للسفينة ، عدة مرات ، فكان الغلام يمسك الدفة كلما ألتى فى الميم ، ويحمد الله إذ أمسكره من شعر رأسه فرفعوه فأنجوه من الغرق .

وآخر مرة رفعوا الفتى وتركوه فجرى إلى زاوية فى السفينة وجلس صامتا هادئا فسر الملك من تدبير الحكم وسأله الحكمة فى سكوته ؟ وقال:

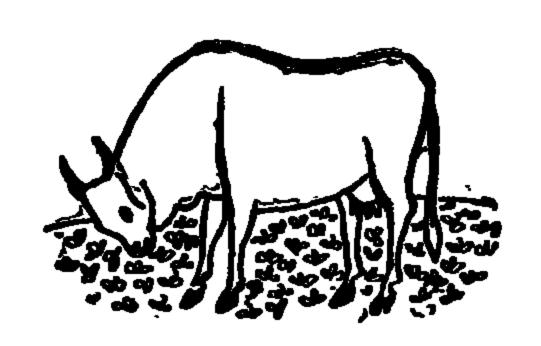
إنه لم يكن قد ذاق محنة الغرق حتى يعرف قدر سلامة السفينة ، والصحة يا مر لاى تاج على رءوس الاصحاء لا يعرف إلا المرضى . كلمتان ،

مرض أحد أمراء البويهيين بالملاخ وليا ، فخيل إليه أنه بقرة ، وكان يصيح على كل من يرى من أصحابه وحاشيته : « اذبحونى فإن لحكم من لحمى هريسة طيبة ، ، وبلغ به المرض إلى حد أنه امتنع عن الطعام ، وعجز الاطباء عن معالجته .

وكان ابن سينا فى ذلك الوقت وزيراً ، فالتمسوا منه أن يذهب لمعالجة الأمير المريض ، وقصوا عليه قصته ، فقال : بشروا الأمير بأن القصاب آت لذبحه . فلما سمع الأمير بهذا سر سررواً عظيما . ودخل ابن سينا ومعه رجلان ، وسأل : أين البقرة التي جئت لذبحها ؟ فلما سمعه الأمير ، قلد خوار البقر ، فأمر بحمله فى وسط ساحة القصر مع قيده وإلقائه على الأرض ، ولم يكد المريض يسمع هذا حتى جرى إلى وسط الساحه و نام على جنبه الأيمن فأو ثقو ا رجليه بشدة ، وجاء الطبيب فسن السكين سنا ، ثم جلس و وضع يده على جنب المريض كما يفعل القصابون ، ثم قال : « يا لها من بقرة هزيلة ، إنه لا يحل ذبحها ، اعلفوها حتى تسمن فئاتى و نذبحها ، بثم أمر بفض و ثاقه ذبحها ، اعلفوها حتى تسمن فئاتى و نذبحها ، بثم أمر بفض و ثاقه و انصرف من أمامه .

و نصح أقاربه بأن بكثروا أبهن تغذيته ، وأن يفهموه أن عليه أن يأكل كثيراً ليسمن حتى يحل ذبحه ، فأقبل الأمير البقرة على الطعام كالنهم ، ودسوا له معه ما وصف ابن سينا من الدواء ، فشنى .

(جهار مقاله)



تن الرق الحكلال

كان تاجر ظالم يشترى من الفقراء بالثمن البخس ويبيع للناس بفاحش الأثمان، فمر به رجل صالح وزجره قائلا:

أثعبان أنت تلدغ كل من ترى، أم بومة أنت تؤذن بالخراب. خف من قضاء ربك إن رأيتنا نحمل بغيك ولا تعلون على الناس حتى لا يعلو دعاؤهم إلى السماء.

فغضب التاجر الظالم من هذا القول ، وأخذته العزة بالإثم ، ولم يجب .

وذات ليلة طارت شرارة من مطبخه فسقطت فى مخزن الحطب فاشتعل وأحرق بيته وأمواله فخرج وجلس فوق كومة من الرماد حزيناً.

ومر الرجل الصالح فسمعه يبكى ويتساءل من أين جاءت الشرارة التي أشعلت النار ولم تبق شيئاً في الديار ، فأجابه الرجل الصالح : إنها جاءت من قلوب الفقراء المحترقة يا أخى .

(كلىتان)

ع الله

أودع رجل صديقا له مائة مَن من الحديد ثم سافر ، فلما عاد من السفر طلب أمانته ، وكان صاحبه قد بددها ، فاعتذر له بأنه وضع الحديد في ركن بالمنزل فأحاطت به الفيران فأكاته ولم تبق منه شيئاً . فتعجب الرجل و نظر لصاحبه ولم ينبس بينت شفة .

وفى اليوم التالى جاء إلى صديقه وقال: إنى عازم على السفر وسأودعك مالى مرة أخرى ، أمانة ، على شرط أن تحافظ عليه . فسر الصديق الحائن بهذه الفرصة ، وأخذ يتودد لصاحبه بعذب الكلام ، مؤكداً أنه سيحرس ماله بروحه ، ثم التمس منه أن يشرفه بتناول العشاء غداً في بيته .

* * *

فى مساء اليوم التالى ذهب الرجل إلى بيت صاحبه ، فأكرم هذا وفادته و أجلسه فى صدر المكان ، ثم أجلس من حوله أبناءه ، إظهاراً للود ، وتوكيداً للصداقة . وبعد تناول العشاء استأذن الرجل وانصرف ، ولكنه أخذ معه ابن صاحبه الصغير خفية . وظل الرجل يبحث الليل كله عن ولده ، مشتت الفؤاد ، شارد

اللب ، ولم يكد الصبح يتنفس حتى خرج يبحث فى كل مكان ، ولكن جهوده ذهبت عبثاً . وأخيراً توجه إلى بيت صاحبه وشكا إليه فقد ولده .

قال الرجل: إنى سمعت، وأنا خارج من دارك بالامس: صوتاً من السهاء بقول إن البغاث يحمل طفلا فى مخلبه و يطير به .

فقال الصديق الخائن: لعلك جننت، كيف يحمل بغاث الطير آدمياً في مخلبه؟

قال الرجل: صه يا صاحبي ، فالبلد الذي تأكل فيه الفيران مائة مَن من الحديد يستطيع بغاثه أن يحمل طفلا من بني آدم .

ففطن الصديق الخائن إلى حقيقة الأمر ، وقال لصاحبه : لا تحزن فإن الفيران لم تأكل الحديد.

فقال الرجل: وأنت أيضاً لا تحزن فإن البغاث لم يحمل ولدك.

‡ ‡ ‡

وهكذا استطاع للرجل بالحيلة أن يحمل صاحبه على رد وديعته إليه.

إن الحيلة والمكر لازمان لدفع مضرة الماكر المحتال ، فكن وردة مع الوردوشوكة وسط الأشواك .

(جامع الحسكايات)

٥٥ الزاهدوالدنك

اتخذ عابد من تُعبَّاد الشام مقامه فى غابة ، وكان يعيش على أوراق الأشجار . وكان ملك هذه الناحية فى رحلة فمر بهذا الزاهد ، وسأله أن يحضر إلى المدينة ، ووعده بأن يهي له مكاناً للعبادة ، وذلك حتى يستفيد الناس من فيض بركاته . فرفض الزاهد .

وتوسط أركان الدولة وأقنعوه بالانتقال . فإن أعجبه الحال أقام ، وإذا تضايق عاد إلى مكانه في الغابة ، فجاء الزاهد للمدينة.

وأعد الماك مكاناً في حديقة قصره الغناء، وأرسل إليه جارية ذات حسن ودلال، وأعقبها بغلام بديع الجال، لطيف الاعتدال.

وأكل الزاهد من الأكل الطيب ، ولبس أثواب الحرير ، وأخذ يمتع نظره بدلال الجارية وجمال الغلام .

وانصرف الزاهد عن العبادة ، ومال إلى الدنيا وغرورها .
ورغب الملك فى رؤيته . فرآه قد تبدلت حاله . فقد احمرت
وجنتاه ، وابيض وجهه وغلظ ، وقد انكاً على وسادة وعلى رأسه
غلام بيده مروحة من ريش الطاووس . فسر الملك من حسن حاله ،
ثم قال :

إنى أحب طائفتين من الدنيا: الزهاد والعلماء؟

وكان فيلسوف مجرب يسمع كلام الملك فقال: شرط حب هاتين الطائفتين أن تقدم لهما الحير يامولاى.

فقال الملك: وكيف يكون ذلك؟

قال الفيلسوف:

أعط العلماء الذهب ليرسعوا مداركهم بالقراءة ، ولا تعط الزهاد شيئاً ليبقوا زاهدين.

(کلستان)



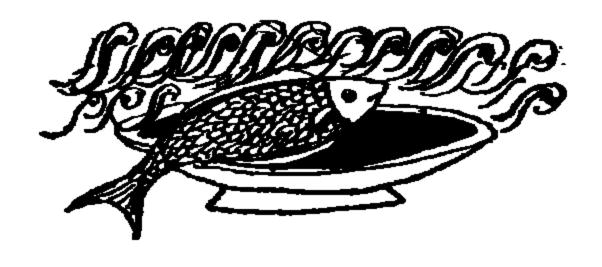
و الصتياروالسمكة

وقعت سمكة كبيرة في شباك صياد ضعيف ، فلم يستطع إمساكها و أفلت منه مع الشبكة ، فلامه الصيادون فقال لهم :

يا إخرانى ، لم يكن لى نصيب فيها ، وكان لها بقية من أجل ؛ ألم قسمعوا القول المأثور:

الصياد الضيق الرزق لا يصيد فى دجلة ، والسمكة التى لم ينته أجلها لا تموت فى الصحراء .

(كليتان)



ن ابطال إسران

زال

جاء دور الملك منوچهر ، فازدان عهده ، وقويت دولته بفضل سام والد الأبطال ، فقد كان سام هذا من القوة والجرأة والرأى بحيث كانت شئون المملكة كلها بين يديه . رقد جلس ذات يوم حزيناً كئيباً ، بطيل الفكر في أنه قد أصبح شيخاً كبيراً ، ولا ولد له ، وجاءته البشرى بأن الله قد سمع دعاءه ، وبأن زوجه حامل ، فأخذ يعد العدة لاستقبال هذا المولود الذي كان بتمناه . وولدت الزوجة غلاماً ذا شعر أبيض كأنه رجل مسن قد اشتعلت رأسه شيباً ، وتعجب الوالد من بياض شعر ولده ، وحدثته ألسنة السوء بأن من يولد بهذا الوصف يكون ابناً للشياطين ، وأنه لا يجوز أن يؤيه في داره .

و تطير سام مما سمع ، وكانت أعصابه خائرة من كثرة ما انتظر ومن ضيعة الآمال بعد أن رأى المولود وسمع عنه ما سمع . وفي سورة من الغضب ، وفررة من التفكير المظلم أخذ الطفل وألقاه فوق الجبل .

وأبصرت العنقاء وهى تحلق فوق الجبل طفلا رضيعاً. فرأت فى وجهه دلائل السعادة والحظ العظيم ، ووجدته وحيداً لا بهتم بأمره أحد، فأشفقت عليه أن يموت فى شعاف الجبل جوعاً وبرداً ، فنزلت إليه فأخذته بين مخالبها ، وطارت به إلى عشها ، وربته مع أفراخها .

وشب زال وبدت عليه مظاهر الفتوة ، ورجاحة العقل، وصدق التفكير ، وكان ينزل من عش العنقاء فيسير فى الجبال ، على قدميه حيناً ، وعلى ظهرر الحيول البرية أحياناً ، وكان يصطاد السباع وغيرها من الوحرش ، وكانت الحيوانات الضاربة إذا رأته تولى منه فراراً وتملأ منه رعباً .

وكانت القوافل ، وهى تسير ، يَرى رجالها الفتى ذا الشعر الأبيض ، ينتقل فى خفة ليس لهم بها عهد فى بنى الإنسان ، والعنقاء من فوقه تحلق كأنها تصاحبه وتحميه ، فأخذ الناس بتحدثون عنه ، و بضعون القصص حوله .

أما سام فإنه أحس أنه أخطأ إذ ألق ابنه فى شعاف الجبل، وشعر أنه أنكر النعمة التى أنعم الله بها عليه، وأنه بدلا من أن يعنى بولده وينشئه ليلى مكانه بعد موته، وليكون بطلا لدى الكيانيين، ألقاه فى فورة من اليأس وسوء الظن على قة الجبل، وهو يعلم أن ليس هناك من يُعنى بغذائه وإيوائه. وأفضت الأفكار

مضجع الشيخ ، فبدا هزيلا علاه الهم والوصّب . وذات ليلة رأى فى منامه رجلا يركب حصاناً عربياً ، فيقف ببابه ويدخل عليه فينهره نهراً شديداً لأنه ألق ولده على قمة الجبل ، فأخذته العنقاء وربته مع أفراخها ، وجعلته ولدها ، ثم يأمره أن يذهب إلى حيث تسكن، فيطالبها بابنه الذي هو أجمل أبناء إبران. وينهض الشيخ من نومه ، كأن المنام الذي رأى حقيقة . فنادى المرابذة من أهل الحكمة ، وحدثهم بما كان من أمر زال وسلوكه معه ، فعاب عليه المرابذة ما فعل، و نصحره بأن يذهب إلى الجبل الذي ألتي ابنه فوقه فيصلى ويتضرع إلى ربه، ويسأله أن يرد ولده إليه. فسار سام إلى حيث أمر ، وأخذ يتعبد ويدعو ويستغفر ؛ وأحست العنقاء بما يفعل الشيخ، ورأت أن خير الولد في أن ترده لأبيه، ليأخذ مكانته في بلاده و ليصبح عظيم أبطالها . فحدثت . زال ، بما فعل أبوه، ونصحته أن ينزل إليه، وأن يسير معه، وأن يبدأ حيانه مع الإيرانيين، وأنبأته بأنه سيكرن بطلهم الذي يزود عنهم الترك، و الذى يفاخر به ملوك الكيانيين .

وبكى زال وأخذ يتوسل إلى العنقاء أن تبقيه معها، فإنه سعيد بحياته فى عشها، وأنه ينظر إليها كأنها أمه، وشكا إليها أباه الذى ألقاه صغيراً بلا شفقة ولا رحمة.. ولكن العنقاء خففت من حزنه، وهد أت من روعه، وقالت: إنك ستعود لبلادك،

وسأعطيك ثلاث ريشات من صدرى فإن حزبك أمر فاحرق واحدة منها ، آتك قبل أن يرتد إليك طرفك ، فأفرج لك كربتك. وانتزعت الريش من صدرها وأعطته إياه.

ثم هبط الفتي إلى حيث أبوه بركع ويصلي . .

* * *

لم يكد سام يرى ولده حتى عرفه، فهرع إليه وأخذه بين ذراعيه وقبله، وسارا إلى الملك منوچهر، فأخذ الملك يتحدث إلى وزال، فأعجب بحسن جوابه إعجاباً بما هو عليه من مظاهر الفتوة والبطولة، وأما سام فإنه منذ رأى وزال، قرت عينه، واطمأن قلبه، وأيقن أن سيكون له فى بطولة إيران خليفة قد يفوقه قوة ومحتدا.

وجىء بالموابذة يعلم ن و زال ، الحكمة ، فكان كل يوم يزداد ثقافة وعلماً ، وكلما خرج أبوه إلى القتال ولاه سيستان فكان يحكمها وكأنه مرن على فن الحكم منذ صباه ..

وخرج « زال » ذات يوم للصيد ، وتوغل فى رحلته ، فإذا به على أبواب كابل التى يملكها « مهراب » من أبناء بيورسب ، ولم يكد هذا الملك يسمع بأن « زال » قد اقترب من عاصمة ملكه حتى قام مع حاشيته وخاصته فاستقبله أحسن استة بال ، وسأله أن يعطف عليه فيزوره فى بيته . ولكن « زال » خشى أن بجيب الملك إلى

رغبته قبل أن يستشير أباه ، فإن الخصومة بين الإبرانيين والملوك من نسل بيورسب قائمة على أشدها بين القومين ، فأمهل وزال ، الملك حتى يأتيه جواب أبيه على رسالة وجها إليه يلتمس فيها الإذن بزيارة مهراب .

وخرج مهراب من عند وزال، فأخذ هذا يحدث أفراد حاشيته عاعليه ومهراب، من جمال ومهابة وجلال ، فحدثه أحد خاصته بأن و لمهراب، بنتا تفرقه حسناً وجمالا ، وأنها أجمل من في بيوت الملوك من مخدرات ، وأخذ و زال، يسال محدثه في أمر هذه البنت وكلما طال الحديث عنها زاد بها شغفاً وحباً ، ولما يراها .

* * *

وعاد «مهراب» إلى بيته فأخذ بتحدث إلى زوجه وبنته «روذبه» عن اعتدال قامة « زال » وحلو حديثه وما يبدو عليه من مخايل البطولة والنجابة والذكاء ، فشغفت « روذبه » به حبا ، ولما تراه . وأخذت الفتاة تفكر في « زال » ، وفي حبها له ، فهى بالنهار شاردة البال ، حائرة النظرات ، وهي بالليل مسهدة لا تعرف جفونها النوم . وذات يوم باحت بسرها لجواريها ، فهدأن من روعها و داعبنها ، وأكدن لها أن الحب إذا تمكن من قلبين صادقين فليس إلى قتله من وأكدن لها أن الحب إذا تمكن من قلبين صادقين فليس إلى قتله من الجواري إلى نهر يفصل معسكر « زال » عن المدينة ، ومن حوله الجواري إلى نهر يفصل معسكر « زال » عن المدينة ، ومن حوله

الحدائق الغناء، وأخذن فى جمع الورود فى أطباق الذهب، ورآهم دزال، من مخيمه فسال عنهن فقيل له هن جوارى دروذبه، يجمعن لها الازهار، فامسك قوسه وضرب ظائراً فى الهراء فرقع عند الجوارى، فامر غلاماً من خدمه بان يعبر النهر ويحضر الطير.

والتق الغلام بالجوارى فسألنه عن الراى ، فقال إنه , زال ، بطل إبران وابن بطلها ، وأخذ يحدثهن عن جماله وصفاته ، فقلن له : ترفق ولا تحدثنا عن الجمال ، فإن فى القصر بنتا هى ملكة الجمال التي لا تبارى ، والتي تفوق صاحبك حسناً ودلالا . ورجع الغلام إلى سيده بالطير ، وقص عليه حديث الجوارى ، فأعاده إليهن بالهدايا والجواهر ، وطلب إلى كبيرتهن أن تقابله .

فلما رأى و زال ، كبيرة جوارى و روذبه ، أفضى إليها بحبه المكنون ، وحدثها بأنه راغب فى زواجها ، ولكنه يود لو رآها قبل أن يخطو هذه الحطوة ، ومهد مع الجارية السبيل لمقابلة «روذبه وجامت «روذبه » إلى سطح القصر ، خارج المدينة ، وكان على وزال ، أن يصعد إليها ، فدلت ضفائر شعرها ليمسك بها وبصعد ، فشكر لها معونتها واستعان بحبل على بلوغ مرقاها . وفى هذه المقابلة الأولى اتفق الحبيان على أن يتزوجا مهما تكن الصعاب ، ثم كتب بذلك إلى سام .

وشاعت أخبار ما بين د زال ، و دروذبه ، من العشق ، وتحدث

الناس عنها فى بلاط و مهراب ، و بلاط و منوچهر ، . أما و مهراب فقد غضب غضبة جاهلية و أراد أن يقضى على هذه الصلة فهدأته زوجه و نصحته بالتريث و الانتظار ، فكم يكون خيراً لبلاده أن تتم أو اصر النسب بينه و بين بطل إيران ، و أما و منوچهر ، فقد أنذر بأن صلة كهذه ستهدم بيت مهراب ، و تضم بلاده إلى إيران .

* * *

وأما سام فقد بلغته رسالة ذلده ، وكانت أخبار عشقه داروذبه، قد شاعت قبل قدوم رسوله ، فأخذ يفكر فى العواقب الوخيمة التى تترتب على الزواج ، ولمكنه لم يكن ميالا لإنحناب ولده ، فجمع الموابذة وسالهم الرأى فيما يقدم عليه « زال ، ، فاستشاروا نجومهم ورجعوا إلى كتبهم وعادوا إليه يرجونه الموافقة على تزويج ابنه من بنت « مهراب » ، فإن هذا الزواج سينتج ولدا يكون فخر إبران كلها وأعظم أبطالها جميعاً ، فأرسل إلى ولده يوافقه على زيارة «مهراب » ، ويؤيده فى خطبة » روذبه » . وبينها «سام » يحلس فرحاً بولده إذا برسول الملك « منوچهر » يحضر حاملا إليه الأمر بالقيام فوراً لغزو بلاد « مهراب » ، فلم ير بداً من تنفيذ أمر الملك ، وأسرع ليلحق بالرسول الذى بعثه لولده .

وعلم دزال ، برغبة منوچهر فى القضاء على دمهراب ، ، وعلم أن هذا الملك قد هلع من الأخبار التي سمعها عن غزو قريب لبلاده فأراد أن يظهر إخلاصه ووفاءه لملك إيران منرچهر فعزم على أن يقتل زوجه و بنته « روذبه » ، وبذلك تنقطع صلات النسب التي يريد « زال » أن بعقدها معه ، والتي جر التفكير فيها جيشاً جراراً يغزو بلاده .

وطارت نفس و زال ، شعاءً عا سمع ، فإنه هو السبب فى أن يغير الملك القوى على الملك الضعيف فينتزع منه ملكه ، ويذل بلاده فأرسل إلى و مهراب ، يسأله النزيث والصبر ، وأسرع لملاقاة أبيه وهو حاضر على رأس جيش إيران . فلما قابل و زال ، أباه أكد له أنه سيدافع عن و مهراب ، لأنه يحب ابنته وسيتزوجها مهما يكن رأى ملك إيران ، ولانه هو السبب فى هذه الغارة التى لن تنجج إلا إذا قطعت رأسه . فرأى و سام ، أن يوفد ولده و زال ، إلى الملك و منوچهر ، لعله يقنعه بالموافقة على زواجه فتقف الحرب ويكفى الله المؤمنين القتال ، وينام الشر الذى صرح أو كاد .

ويذهب و زال ، عند و منوجهر ، ويشرح ا قصته وكانت فتوى المرابذة قد بلغت مسامعه ، وأصبح راضياً عن زواج و زال ، بينت و مهراب ، ، والكنه أراد أن بستوثق من ذكائه فأمر بإحضار الموابذة وأمرهم أن يسألوه أسئلة لينبين مدى فطنته وقدرته على حسن الإجابة ، فكان و زال ، يجيب إجابات بارعة حقاً . وفي آخر الجلسة أمر و منوجهر ، بالخلع والهدايا و لزال ،

ئم أمر بعودة الجيش من الغزو ، وبأن يذهب و سام ، مع ولده لخطبة و روذبه ، بنت و مهراب ، .

وسار و زال ، مع أبيه وأعد ، مهراب ، لاستقبالها حفلا رائعاً ، و م الزواج فى أبيج مظهر عرفته كابل والمدائن . وعاد ، سام ، وأسرته إلى سيستان ، وحملت «روذبه ، فلما جاءها المخاض تعذرت عليها الولادة ، وأصبحت حياتها وحياة ولدها فى خطر داهم . وجىء بالاطباء فلم يفلحوا فى إنقاذ الام ، وكاد ، زال ، ييأس من رحمة ربه ، فبكى وقعد حزيناً يكاد يشق ثوبه . وأخيراً تذكر أن العنقاء أعطته ريشات ثلاث من صدرها ، ليحرق واحدة منها إذا أمر حزبه ، فحرق ريشة منها ، فإذا العنقاء تهبط من السهاء منها إذا أمر حزبه ، فرق ريشة منها ، فإذا العنقاء تهبط من السهاء بسبب تعذر ولادة ، روذبه ، ، فنهته عن البكاء ، لأن الأبطال لا تزعزعهم الخطوب ، وأمرته بإعداد نصل ماض ليشق به جنب ، دوذبه ، ، ثم يخرج الطفل من جنبها ،

وهكذا فعلوا ، فلما نزل الولد وأفاقت ، روذبه ، وكانت قد أوشكت على الهلاك ، قالت ، برستم ، أى قد نجوت ، فسمى الولد «رستم» ، وقد رباه «زال ، وتعهده جده «سام ، فنشأ أعظم أبطال إبران .

رستم حامى الملوك

وشب رستم فتى مديد القامة ، عريض المنكبين ، مفتول الذراعين ثابت الجنان ، جميل القسمات ، ولم يكن أبرع منه فى ركوب الحيل ، ولا أقدر منه فى القتال والمصارعة ، وقد اختار لنفسه حصانا ، له من طاقة الاحتمال ، وسرعة الجرى ، والقوة ما لم يكن لحصان آخر ، وكان رستم يجب حصانه ويؤثره على سائر الحيرانات ، واسمه « الرخش » .

وذات يوم ركب رستم الرخش ، وسار فى الصحراء يتربض ويصطاد، فأخذته سنة من النوم ، فربط الرخش بحجر ، وأسلم عيونه للكرى ، فلما أصبح لم يجد حصانه . ذلك أن جماعة من الترك قد حضروا فرأوا الحصان ، وكانوا كأنهم يبحثون عنه ، فحاولوا سرقته ، فبطش الرخش ببعضهم قبل أن يتمكن الباقون من إلجامه وسوقه إلى المدينة . صحا رستم من نومه فلم يجد حصانه فعز عليه أن يفارقه ، وعزم على السعى لإنقاذه ، وأبصر حوله فرأى آثاد أقدام اللصوص وحوافر الرخش ، فسار على الآثر ، حتى إذا أرخى الليل سدوله انتهى إلى مدينة فدخلها ، فعرفه أهلها وخشوا بأسه ، وأسرعوا إلى ملكهم فأخبروه أن « رستم ، البطل قد أتى يبحث عن رخشه وأنه يظن أن سارقيه فى المدينة يقيمون . فسارع الملك

لملاقاته ، ودعاه إلى قصره ، وأكد له أنه سيبحث عن الفرس وسيرده إليه . ثم أمر بإعداد مائدة للعشاء فأكل رستم وشرب كثيراً ، ثم أدخلوه مخدعاً ملكياً ليقضى الليل فيه ، فدخل وخلع ملابسه وأسلم نفسه للنوم .

وانتصف الليل، وأحس رستم وقع أقدام فى غرفته، ففتح عينيه فرأى فتاة لم تقع عيناه على أجمل منها ، وفى يدها شمعة من الكافرر تضيء بها المكان ؛ فنهض رستم من فراشه وسألها من هي وكيف دخلت؟ فأجابته بابتسامة ساحرة راضية: ﴿ أَنَا ثَمَينَهُ ، بنت الملك، أنا التي تنبعت أخبارك منذ صباك فاشتقت إلى رؤياك، ففكرت ثم دبرت ثم آمرت خدمى بسرقة رخشك حين عرفت أنك فى صحراء قريبة تصطاد ، ولم يكن يارستم من وسيلة لحملك على دخرل مدينتنا وبلوغ المنى من مقابلتك بغير هذه الحيلة ، فإنك حريص على حصانك لأنه عزيز عليك . . فإن أنت تقدمت غداً إلى الملك فطلبت يدى وصيرتنى زوجة لك فإنى رادة فرسك الذى تحب، وأعجب رستم بالفتاة ، ورأى فيها من الجمال ، وطهر البداوة ، وحسن المنطق ماقربها إلى قلبه وحببها إليه ، فوعدها بالزواج وأمهلها إلى الغد.

وتعلق قلب رستم بالفتاة ، وبات يفكر فيها بقية الليل ، وفى الصباح قابل الملك وطلب يدها منه ، فسر هذا بالنسب سروراً عظيماً ، وأقيمت الأفراح في المدينة ، وشارك الناس ملكهم في احتفاله بزواج ابنته تمينة من بطل إيران رستم .

ولبث رستم أياماً مع زوجه ، وبينها هو معها في حديقة القصر إذا به يسمع الرخش بصهل صهيله إذا وقعت بالبلاد واقعة ، فأدرك أن الرحيل قد آن أوانه ، وأن ليس بد من وداع زوجه . ولم يكن يستطيع أن بصحبها معه لأن الناس في سيستان ينتظرون أن بتزوج بنتا من بيوت إيران العظيمة ، وكانت ثمينة حاملا ، فأعطاها رستم خرزة زرقاء وقال إذا ولدت أثى فضعي الخرزة في شعرها ، وإذا ولدت ذكراً فاجعليها في ذراعه يذكر بها أباه ، ثم قبلها ، وودع ولدت ذكراً فاجعليها في ذراعه يذكر بها أباه ، ثم قبلها ، وودع الملك وركب رخشه ، وسار إلى سيستان .

لم يكدرستم يصل إلى أبيه وزال، حتى طلب هذا منه أن يسرع لإنقاذ الملك كيكاوس من الجن في مازندران، وعجب دستم كيف جرؤ كيكاوس على السير إلى مازندران، ولقد نهاه أكثر من مرة عن هذه المخاطرة، فإن الجن حربهم لايستهان بها، وقد يكون فيها فناء الدولة إذا فني في الحرب أبطالها، قال وزال، إنك بابني تعرف ما عليه كيكاوس من ضعف الإرادة و خور الرأى، وإنك لتعرف ضعفه و تراخيه في مجالس الفناء، وقد قيل له: إن مغنياً بالباب يريد

أن يُسمع الملك صوته ، فناداه فغناه أغنية عنمازندران وما فيها من حدائق كالجنان ، فلم يطق صبراً ، وقام يغزو بلاد الجان ، من غير أن يرجع إلى أو إلى أحد من مستشاريه . فلما ذهب إلى مازندران استعان ملكها بملك الجن وسيدديو ، فسارع هذا إلى نصرة الملك ، فأظلم الدنيا في رجه كيكاوس ثم أوقع الهزيمة بجيشه وأسره وأفقده البصر ، وهو اليوم حبيس قلعة الظلمات ، وإن عليك يا بني أن تنقذ ملكك مما ألم به من سوء ، وأن تعيده إلى عرشه ، وأن تعاقب أعداءه الذين اعتدوا عليه .

فركب رستم الرخش ، وسار يقطع الفيافي والقفار ، ولتى فى الطريق من الأهرال ما تقشعر له الأبدان ، ولكنه هو ورخشه تغلبا على كل صعوبة حتى بلغا قلعة فى وسط الصحراء ، فانبرى ملكها ، أو لاذ ، لقتال رستم فحاربه هذا وأسره ، وطلب إليه أن يدله على مازندران وما فيها على أن يعطيه ملكها بعد أن يخلص كيكاوس فقبل أو لاذ ، ودله على الطريق .

وسار رستم ومعه أو لاذ حتى بلغا حدائق عظيمة فقال له: هذا هر باب مازندران. فتقدم رستم غير هياب وقتل الحراس ثم دخل المدينة فإذا به يرى قلعة فوق الجبل، فقال له أو لاذ: إنها القلعة التي أسر فيها كيكاوس، فصهل الرخش صهلة عالية سمعها ملك إيران فأدرك أن « رستم، قد جاء لإنقاذه. واقتحم رستم القلعة، وقتل

من قابله من حراسها، ثم دخل فوجدكيكاوس مقيداً وقد فقد بصره، فعانقه وشكره على النهوض لإنقاذه، ثم قال: إن نصر جيشنا لا يتم إلا بقتل ملك الجن وسپيدديو، ولكى تبلغه عليك أن تجتاز الجبال السبعة ثم تجده وراءها فى مغارة عيقة من الصخر، وقد أخبرنى الحكاء أن بصرى يرد إلى إن أنا غسلت عينى بدماء كبده، فإذا بلغت المغارة وقتلته فلا تنس أن تشق بطنه وتحمل كبده معك.

وخرج رستم من القلعة ومعه أو لاذ ليدله على الطريق، فاجتاز الجبال السبعة ، و بلغ باب المغارة فربط أو لاذ فى حجر ، و دخل وفى يده سيفه ، فهوى على من قابله من الحراس ، ثم سار حتى بلغ ملك الجن نفسه ، فو جده راقداً كالتنين العظيم والنار تقدح من عينيه فهوى عليه بسيفه فشقه نصفين ، بعد صراع عنيف ، ثم انتزع كبده و خرج .

وعاد إلى القلعة فأعطى كيكاوس كبد ملك الجن فمسح به عينيه فعاد مبصراً.

* * *

وجلس كيكاوس بفكر مع رستم فى إخضاع مازندران بعد أن قتل رستم من فيها من الجن الذين لن تقوم لهم قائمة بعد موت ملكهم، فأرسل إلى ملكها رسولا يدعوه إلى الخضوع و تقديم الطاعة ، فاستغشى ثيابه واستكبراستكباراً ، ورد الرسول متوعداً ملك إيران، مهدداً بحربه فى عقر داره ، إذا لم يعدل عن رأيه فى إخضاع مازندران.

وعاد الرسول فقص على كيكاوس ما صرح به الملك، وسمع رستم الحديث فغضب وقال: هذا أمر لاتجدى فيه السفارة وحدها، فإنى وعدت أو لاذ بعرش مازندران، وإنى ذاهب لأفتل ملكها وأضع أو لاذ فوق عرشه، واستأذن الملك وساد.

ولما اقترب رستم من قصر ملك مازندران استقبله رسله على الباب ، وكان بينهم فارس لا يشق له غبار ، عرف فى مازندران بأنه أقوى رجالها وأمهر فرسانها ، فشد على يد رستم ، وهو يحييه يريد أن يظهر له قوته ، فعصر هـذا يده حتى قذفت الأظافر من أصابعه ، ثم أدرك رستم أن النية تتجه إلى توهين عزمه ، وتنبيط همته . فانتزع شجرة عظيمة من جذورها ، وأمسكها بيده ، كأنها عصا ، ودخل القصر . وعلم الملك أن فارسه الذى يعتمد عليه قد مصرت يده هصراً وهو يسلم على سفير كيكاوس ، فأدرك أن السفير الجديد هو بطل إيران و فحر نبلائها رستم ، فقام وأحسن استقباله ، ولكنه لم يذعن لمطالبه ، فبارزه رستم فضربه ضربة قاضية ، فانقلب الملك حجراً كأنه قطعة من جبل ، فحمله رستم قاصار به إلى كيكاوس .

فلما اقترب رستم من مكان ملكه ، أبصره الناس ، وبين يديه ملك مازندران ، وقد سحر نفسه حجراً ، فأخذوا يكبرون ويهللون وبنثرون عليه الزهور والجواهر . فلما دخل على كيكاوس ألتى الملك المسحور على الأرض وهدده وأوعد ليحطمنه إذا لم يرفع عن نفسه السحر ، فظهر الملك على حقيقته ، فجلله رستم بالسيف فشقه نصفين .

ثم كافأ وأولاذ، ملك الصحراء بأن ضم إليه ملك مازندران، وجعله من أتباعه المخلصين.

* * *

عاد كيكاوس إلى المدائن فاستقبل فيها أحسن استقبال ، بفضل ما أتيح له من النصر على الشياطين وقتله ملك الجن واستيلائه على مازندران .

وكان كيكاوس ضيق الفكر ، سقيم الرأى ، فلم يكد رستم يستريح من غزوه وعراكه مع الجن ، حتى اضطره إلى خوض معركة أشد هولا من هذا كله ، مع العرب والترك .

* * *

ذلك أن كيكاوس، بقصر نظره، حسب الفعنل في قتل ملك الجن راجعاً إليه. فلم يكد يبلغ المدائن حتى أمر بإعداد الجيش لغزو

هاماوران ، فسار على رأس جماعة وعبر البحر وأوقع الهزيمة علىكها . وكان لهذا الملك ابنة وحيدة ، رائعة الجمال ، فطمع كيكاوس في زواجها ، فطلبها من أبيها ، فاعتذر بادئ ذي بدء . ذلك أنه أبصر نفسه ، وقد فقد سلطانه ، وأصبح ملكا تابعاً — وما أشقى الملوك التابعين — ثم أبصر نفسه سيحرم من أعز الناس عليه ، وهي ابنته ، فاعتذر ، لكنه لتى من ابنته ميلا لكيكاوس ، فاضطر إلى قبوله زوجاً لها وهو راغم .

¢ ¢ ¢

وعاد كيكاوس ظافراً ومعه زوجه الجديدة ، فأخذ أبوها يفكر في حيلة ينتقم بها لنفسه ، وتعيد إليه ابنته . فبعث إلى كيكاوس يدعره لزيارة بلاده صديقاً ونسيباً ، فقبل كيكاوس الدعوة ، رغم ما نصحت به زوجه ابنة ملك هاماوران ، فاستعد للرحلة وأخذ زوجه وسار ملبياً .

* * *

أمارستم فإنه بلغ سيستان رافع الرأس، مشرق الجبين، فقابله أبوه زال واحتفلت البلاد بعودته، وهناك أتاه رسول من عند زوجه ثمينة تنبئه أن الله قد رزقه بنتاً، فحزن رستم لهذا، فقد كان يريد ولذا يخلفه في بطولته، ولكنه أرسل الهدايا من الجواهر

وآنية الذهب لزوجه وابنته ؛ والحق أن ثمينة لم تكن صادقة فها انبأت.

وجلس رستم يحدث والده زال بأن ثمينة قدرزقت منه بنتاً ، فسر الجد بهذا النبأ ، وأخذ يتحدث مع ولده في هدوء ودعة .

وفجأة دخل رسول مقبل من المدائن ، وأخبر ، زال ، أن كيكاوس قد ذهب لزيارة ملك هاماوران الذي تزوج ابنته . فاتهز هذا الملك فرصة بجيئه زائراً بغير جيش يحميه ، وأسره في قلعة عنده ، وأن أفر اسياب ملك النرك لم يكد يسمع أن ملك إيران أسير في بلاد العرب ، حتى أسرع فهاجم إيران واكتسح أراضيها ، وجلس على عرشها ، وأن البلاد اليوم في أيدى النرك يسومون أهلها العذاب ، وأن الأمل في تخليص الملك من يد العرب ، وتحرير إيران من جند النرك ، معقود على زال وولده رستم . فقام البطلان من سيستان ، وسارا لملاقاة أفر اسياب فلقياه وهز ماه وطرداه من إيران ، ثم اتجه رستم إلى هاماوران فركب البحر وخلص الملك من الأسر ، وأعاده وزوجه إلى المدائن .

وأدرك كيكاوس أن درستم، أنقذ حياته المرة تلو المرة، وأنه في سبيل هذا قد اقتحم من المصاعب، وركب من المخاطر مالا قبل لبشر به ، وأنه آخر مرة أنقذ إيران كلها من بد الترك وأوقع في قلب ملكهم أفر أساب من الرعب والذعر ما أضطره إلى أن

يولى منه فرارأ ، فأعـــد كيكاوس حفلاً عظيماً ونادى النبلاء والموابذة ، وخلع الخلع والهدايا على رستم ثم قلده بهلوانية العالم.

سهراب ورستم

لم تكن بنتاً تلك التي أنجبتها ثمينة زوج رستم ، إنما ولدت طفلا باسم النغر فسمته و سهراب، وكبر « سهراب، فوجد نفسه أشجع أقرانه وأقواهم ، وبدأ بين النزك متميزاً عنهم ، فى ذكائه ، وإقدامه ، وقدرته فى الصيد ، وجلده فى الصراع ، فأخذ يلح على أمه أن تحدثه عن أبيه ، فإنه يرى نفسه من سلالة غير سلالات زملائه ، وكانت أمه مترددة أشد النردد في إجابته ، فهى تريد أن تبوح له بسر أبيه لأن فى هذا فخراً أى فخر لفتاها ، وهي في الوقت نفسه تخاف أن يسافر إلى حيث أبوه إذا عرف الحقيقة ؛ وحينئذ تبقى وحيدة ، وهي لا تريد ذلك . وأخيراً أخبرته أنه ابن رستم بطل إبران ، وحدثته عنِ الخرزة الزرقاء التي يضعها فوق ذراعه ، إنها رمز من أبيه إليه . وأصر الشاب على أن يذهب إلى أبيه ، فإنه أصبح لا يطبق صبراً على فراقه ، وهو يريد أن يكون بجانبه فى غزواته وحروبه ، واشتدحب الفتى لابيه إلى حد أنه أزمع السير إلى إيران ليعزل ملكها وبولى أباه مكانه ، فإنه هو الذي بحمى عرش إبران ، وهو أولى بأن بجلس

على عرشها . . وعبثا حاولت الأم أن تثنيه عن عزمه ، فبكت وتوسلت ؛ إنه هو الذى بقى لها ، وإنها وقد حرمت من زوجها فقد وجدت فى ولدها العزاء ، ثم هى وجفة أن يقتله أفراسياب إذا عرف أن ابناً لرستم يعيش فى بلاده ؛ ولكن الشاب لم تضعفه دموع أمه ، ولم يثبطه توسلها ، وكاشفها بأنه ذاهب إلى ملاقاة ملك إيران ليخفضه عن عرشه ويرفع أباه رستم عليه .

وجاء الرسل لأفراسياب فحدثوه بالأمر ، وكان يعلم ما عليه سهراب من قوة وذكاء ، ويرى أنه بطل الترك الذى لا يبارى ، فلما علم أنه ابن رستم وأنه ذاهب لقتال ملك إيران ، قال إذا فلنحط فى هواه ، ولنمده بجنود من عندنا ، فإن رستم ذاهب لقتاله ما فى ذلك شك ، والوالد لم ير ابنه من قبل ، وكذلك الولد لا يعرف أباه ، وجاء «هومان » مستشار ملك الترك ، فصاحب «سهراب » فى رحلته ، لأنه يعلم المسالك والمفاوز إلى إيران ، ولأنه بمثل « أفراسياب » فى حاشية «سهراب» . وكان «هومان » محكيا من حكائهم المشهورين ، وكان « سهراب » يسمع عنه ، وعرب بسيرته ، وغزارة علمه ، وغالى نصحه ، فأولاه ثقته ، وانخذه مشيراً له يسأله كلما احتاج إلى دأى .

وهكذا سار الجيش يتقدمه «سهراب » و «هومان»، لملاقاة جيش ملك إيران .

* * *

وفى الطريق وجد وسهراب ، قلعة فاجتاحها وقتل ملكها ، وطلعت ابنة الملك فى زى الرجال ، فبارزته وكاد يقتلها فكشفت القناع عن رأسها فندلى شعرها ، فأنزل و سهراب ، يده ، فإن الأبطال لا يقتلون النساء . وبلغ الخبر كيكاوس فأضج مضجعه ، وخشى مغبة هذا الهجرم ، فإن الناس يتحدثون عن بطل جديد فى بلاد الترك ، لو صاحب و أفر اسياب ، لكتب له النصر ، فبعث إلى رستم يطلب منه الحماية ويستعجله القيام فإن الخطب جلل . وجاء الرسول إلى رستم فدعاه هذا إلى الشراب ، وتناقل فى النهر ض إلى الحرب ، فإنه لم يكن يعبأ بالترك ، وهو يعلم أنه يغلبهم حيثما يدركهم، وأن وجاء وأن وكيكاوس ، جبان رعديد ، يخيل إليه ضعفه وخوره أن الترك على أبواب داره وليس إلى دفعهم من سبيل .

و بعد أيام قام درستم ، ومعه الجند ، وحث المسير لملاقاة دسهراب ، وفي وسط الصحراء تلاقي البطلان: أما دسهراب ، فقد تقدم وفي نفسه أن يعرف حقيقة خصمه ، فإنه شعر بقلبه يخفق حين رآه ، وما خفق قلبه من قبل وهو يلاقي الآه وال ويواجه الجبابرة ، وأحس السيف يرتعد فى يده ، إنه يريد أن يلقى السلاح وأن يجلس جانباً مع هذا الخصم ليتحدث معه ، هو يحب هذا الخصم ولا يريد أن يلقاه كما يلقى العدو عدوه ، إنما يريد أن يلقاه كما يلقى الحب حبيبه ، أيكون هذا الخصم «رستم» ، أهو أبوه الذى بحمل خرزته فوق ذراعه ؟ .

أما درستم ، فيتقدم حانقاً ، حانقاً على هؤلاء النرك ، يغرهم أن يجدوا فتى شجاعاً فى بلادهم فيخيل إليهم أنهم قادرون علىغزو إيران، حانقا لأنه لم يكد يستريح من حملتهم الفاشلة التى طردهم فيها وألحق الهزيمة بملكهم أفراسياب ، وإذاً فليقدم على هذا البطل الجديد، وليعلمهم أن فى إيران ملكاً له بطل يحميه .

وأقبل البطلان، وفي أيديهما سيفان:

ورفع ورستم و سيفه يريد أن يقضى به على عدوه ، فقال و سهر اب و القوى الجبار فى رفق واحترام : تمهل ياصاحبى أتكون أنت رستم ؟

ـــ كلا يا فتى، لست أنا رستم والكنى عبدله.

ولم يرد رستم أن يبوح باسمه لسهراب لأنه يظن أن هؤلاء الفتيان الترك لهم من الصلف والغرور والحبث والاستكانة وقت الحرج ما يحملهم على تملق الأبطال لينصرفوا عنهم بغير قتىال، ليكسبوا شرف الوقوف معهم للمبارزة وليغنموا السلامة بالعدول

عن القتال ، ومن يدرى فغداً يذهب هذا الغلام لأفر اسياب فيحدثه بأنه لقى رستم بطل إيران ، بعد أن قتل من بارز من القواد ، فلم يقدر أحدهما على خضمه ، فتصالحا وشربا معاً وانصر فا صديقين ! وإذاً فلينكر أنه رستم ، وليخيل لسهر اب أنه عبد له ، وليبدأ القتال ليقضى على هذا الشاب الذي يراه وقد غلب حياؤه على جرأته ، ورفقه على إقدامه .

وتنبه سهراب فإذا خصمه عنيد جبار ، إنه ليس برستم ، فليقدم إذا على صراع لاهوادة فيه ولا رفق ، فإنه لايقاتل أباه ، وهو قد عرق بنفسه بما يكنى لإزالة كل لبس ، ولو كان خصمه رستم لادرك الحقيقة ، ولجاش فى نفسه من العوامل ما يضطرب له صدر سهراب .

وبدأ السيفان عملهما بلاجدوى ، حتى تكسر أننصلان .

وعاد الوسواس إلى نفس سهراب ، إنه خصم جباد ، إنه لا يتصور هذه القوة ، والجرأة ، والمهارة فى إمساك السيف ، عند غير بطل إبران رستم ، فهر إذا يعيد السؤال؟ ألست أنت رستم ؟ فإذا بخصمه العنيد بجيبه :

إلى عمودك يا فتى النرك ، وما ضرك أن تجهل من أنا؟ إلى عمودك فإن الوقت أضيق من أن نتحدث ، وأسرع رستم فأمسك عموده ، كما أسرع سهر اب إلى عموده ، والتحم الرجلان ، كل يهرى

على صاحبه، كأمدين امتلآ قسوة وعناداً وشراً، وتحطم العمودان وتمزقت الدروع، وأفل الحديد، ولما تدرك الرحمة قلوباً قدت من الصخور.

وجلس الخصان ، ينظركل منهما إلى صاحبه ، وسهراب يريد أن يتكلم ، والكن ما جدوى الكلام بعد الذى قال ا ورستم يعجب لهذا الفتى من أين له هذه القوة ؟ ثم ما هذه العظمة التى تبدو عليه فى القتال ؟ ولقد حارب أقوى الإنس وأخبث الجن ، ولكنه لم يصارع مثل سهراب ، كأنه من نسل سام ، كأنه واحد من أسرتنا .

ولا يكاد هذا الخاطر بمر بذهنه حتى يتبدد، من أبن يكون وليس لى ولد؟! حدثتنى ثمينة أنها وضعت أنثى، فبعثت إليها بالجواهر وآنية الذهب، ولو ولدت ذكراً لكان بطلا يجرى على أثر أبيه جريان رستم على أثر زال ، وزال على أثر سام؟

ومضت ساعة استراح فيها البطلان؛ فقاما وتلاحما، وأمسك كل منهما بتلابيب صاحبه، ها هو رستم يمسك معقد منطقة سهراب ويجذبه منها، وسهراب كالطود لايتحرك. وها هوسهراب يحاول أن يوقع رستم أرضاً، ونفسه لاتطاوعه. وتعب الخصمان وتراجع سهراب إلى الوراء قليلا بكاد يتميز من الغيظ: ألا ترحم شيخو ختك أيها الشيخ؟ ألا تخاف فتوتى وشبابى؟

ويقدم «رستم » كالأسد المنهك: تقدم أيها الشاب ، تقدم فإنى صارعك صرعة يتحدث بها الناس فى إيران و توران ، ويتقدم «سهراب ، غاضباً كالليث الهصور فيرفع «رستم » بذراعيه ثم يلقيه على الأرض . و لا يقتله ، إنه يغلبه ولكنه لا يقضى عليه . إن يده لا تطاوعه على إخراج مديته يحز بها رقبة خصمه ، كلا ، كنى يده لا تطاوعه على إخراج مديته يحز بها رقبة خصمه ، كلا ، كنى إنه غلبه . ويفيق «رستم » فيطلب الهدنة من القتى الثائر الغالب ، فينظر «سهراب » إلى خصمه الجاثم على الأرض ويقول:

ابق مكانك ، فإن حسابى ليس معك ، إنما حسابى عند كيكاوس إلى ذاهب إليه ، أقتلع خيامه وأقتل جنده .. وانصرف وسهراب الى معسكر وكيكاوس ، وأفاق ورستم ، فأراد أن يذهب إلى معسكر وأفر اسياب ، ولكنه خشى على وكيكاوس ، أن يقتله وسهراب ، أو يأسره ، إنه بطل إيران وحامى ملكها فليسرع إذا لإنقاذ الملك . وجرى فلحق وسهراب ، وكان الليل قد أقبل بظلامه ، وهدوئه فطلب المهلة من وسهراب ، .

أى مهلة يطلب الشيخ البطل ، ألم ير إلى وقد اقتلعته من على الأرض اقتلاعاً وألقيته مجندلا على الأرض . ألم ير أنه كاد يلقى حقه من شدة ما ارتطم بالصخرة جسده ، ولكن أايس من الخير أن أهادنه وأمهله إلى الغد ، إنى أريد أن ألقى «هومان» فأسأله إذا كان هذا الخصم هو « رستم » والدى؟ إن يدى لا تطاوعانى على قتله مهما بدا من قسوته وجفائه .

و نظر « سهراب ، إلى « رستم ، وقال : إذن إلى صبـاح الغد كما تريد ، وانصرفا .

* * *

ألاترى يا «هومان» أن هذا البطل أقرب مايكون إلى «رستم»، ولقد والله ألححت في سؤاله فألح في النني ، إنه يقول إنه عبد من عبيد «رستم». ولكني لا أرى هذه القوة لغير «رستم» وأعرفه «رستم» يا «هومان» ؟ نعم يا «سهراب» ، رأيت «رستم» وأعرفه جيداً ، والحق إن هذا الرجل يشبه «رستم» كثيراً ولكنه ليس هو. ولمعت عينا «هومان» الخبيث الأثيم بالشر ، إنه يهيء القتل «لرستم» ، فإنه مقتول لا محالة ، إن قتله «سهراب» فقسد قضى الأمر، وإن قتل هو «سهراب» فقد قتل ولده وقضى الأمر أيضاً. فهو إذن يؤكد أن «رستم» رجل آخر ، وهكذا اطمأن «سهراب»

وإذن فليذهب وسهراب، إلى فراشه، ولينم هـادئاً، فإنه لا يقاتل ورستم، إنما هو يقاتل عبداً له. ومع ذلك فقد ذهب وسهراب، إلى فراشه ولكنه لم يستطع أن ينام، إنه شارد اللب، إن شيئاً خفياً يقلقه ويذهب عنه النوم، وعبثاً يحاول أن يقنع نفسه بأن ينام ليصبح مستعداً لما هومقبل عليه، إنه يفكر في محادثة خصمه، وهو غير مرتاح لقول هومان.

أمارستم فقدذهب و نام مستريحاً استعداداً للغد، إنه شيخ بحرب، وهو يدرك أن الراحة لازمة لنصب العراك ، وجلد الصراع ، يحدث نفسه : • و لكن ما بال هذا الفتى التركى يتقرب منى كلما تمكن من ذلك ؟ إنه لم يقتلنى وكان يقدر على ذلك ، إنه يتلطف معى فى قتاله ، إن شيئاً يمنع هذا الفتى من الفتك بى ، و لكن ماذا عسى أن يكون هذا الشيء ؟ إنه نقص فى تجربة الفتى ، إنه شاب فى مقتبل العمر أوتى من القوة ما لم أر لشاب مثله ، و لكنه لم يجرب الحياة بعد أو لعله يرهبنى ، . و ذهب فنام و قام مستريحاً مستعداً .

* * *

وجاء الصباح والتقى رستم وسهراب. إن سهراب لا يرفع يده بالضرب، ولا يقبل على صاحبه للصراع، إنما هو مقبل عليه باسم التغر راضى النفس، محيياً تحية الصباح، سائلا عماكان عليه نوم المساء! ورستم يعجب لهذا الذى جاء للقتال فنسى نفسه، فهو ينهر صاحبه و يقابل رقته مخشونة، و إقباله بصدود، و تحيته بجفاء! إلى القتال!

واشتبك الرجلان ، وعاد سهر اب إلى غيظه ، وخيل إليه أنه يتملق الشيخ ، « ومن يدرى ، لعل الشيخ يحسبنى أخاف منه أو أنى عن غلبه عاجز ، ألا فلارينه بأسى وإقدامى ، ولاضربنه ضربة يدرك منها أنى ابن رستم ، . وهجم سهر اب فألقى خصمه على الارض

واستل سيفه يريد أن يقطع رأسه . ولمكن رسم حدثه بأنه ليس من عادة الأبطال أن يقتلوا المغلوب أول مرة ، إنما يحق له ذلك إذا أوقعه مرة ثانية ، وطلب إليه أن يمله للغد ، وسهراب موافق على هذا الرأى ، مسارع إلى إجابته ، إنه واثق بقوته ، موقن أنه قادر على غلبه ، ولكنه لايريد أن يقتله أبداً . . فليمهله يوماً آخر.

计 计 计

و يا هو مان إن قلبي لا يطاوعنى على قتل هذا الشيخ ، إنى أقوى منه لانى شاب وهو شيخ كبير ، إنى أخاف أن يمسه من الضر ، فأنا أرفق به ، وأحسن معاملته ، يا هو مان إن قلبي يحدثنى أنى أقاتل أبى، ولو والله تأكدت أنه ليس أبى لصرعته بضربة واحدة . إنه يا هو مان وقع أمامى اليوم ولكنه حدثنى أن ليس من شيم الأبطال أن يقتلوا من وقع منهم لأول مرة ، وطلب أن أمهله إلى غد فأمهلته، وأبرقت عينا هر مان ، الشيخ الشرير القاسى ، وأتركته اليوم ياسهر اب؟ إنك كن أوقع الأسد في كمين فلم يقض عليه ، يعود ياسهر اب؟ إنك كن أوقع الأسد في كمين فلم يقض عليه ، يعود ياسهر اب ، وإنى أخاف أن يغدر بك غدا ، فاحترس منه ، ولا تتوان في القضاء عليه ، ودع عن نفسك الوساوس ، فإنه ليس برستم ، ألم أحدثك أني أعرف رستم خير المعرفة ، إنه ليس برستم ، ألم أحدثك أني أعرف رستم خير المعرفة ، إنه ليس برستم ،

وفى اليوم الثالث التي البطلان، وأقبل سهراب يلاطف رستم فلم يأبه هذا له، بل هجم عليه كالاسد الجائع فألقاه على الارض، أم استل سيفه فهوى به عليه، وصاح صيحته ساعات النصر. رستم! ورستم! من رستم؟ أبى، إنه قاتلك، إنه سيقطعك إربا انتقاما لقتل ولده سهراب! ورفع رستم السلاح ونظر إلى سهراب، يكاد ينفطر قلبه، «لم يكن لرستم ولد يافتى»، «كلا بل إن له ولداً هو سهراب الذى قتلته»

وعاد رستم بذاكرته إلى تلك الآيام الحلوة التى قضاها مع ثمينة وتخيل ابنه منها وقد شب وبلغ عمر سهراب، ولكن ثمينة أخبرته أنها رزقت أنثى .

وكادت نفسه تطيرشعاعا ، وقال أفصح ياسهر اب إنى أنا رستم الخرزة التي أعطاها فكشف سهر اب عن ذراعه ، فر أى رستم الخرزة التي أعطاها للمينة . . فأدرك الحقيقة التي حاول أن يفهمها له سهر اب ، فلم يلق إليه بالا . ولم يستطع رستم أن يضبط نفسه ، فهوى بجانب ولده واحتضنه وعلت بالانين زفراته ، كالاسد الجريح . . وصهل الرخش صهيله فى الملات ، وأسرع فجنا بجوار سيده والدمع يتساقط من عينيه الحزينتين .

وجاء العظاء من معسكر كيكاوس ، فرأوا بطلهم وقد شق

قميصه وارتمى بجانب ولده يبكيه ، وشاهدوا سهراب والدمع يترقرق فى عينيه ، والدماء من جرحه تسيل ، وذهبو ليحضروا دواء عسى أن ينفع الدواء! وأفاق رستم فرأى ابنه مضرجا فى دمائه ، ورأى السيف الذى قتل به ولده ، فأمسكه وأراد أن يقتل نفسه ، فد سهراب يده فى عطف ورفق ومنعه .

وفيم الجزع يا أبتاه ، لقد أجريت البطولة في دى ، فشبيت أشجع شبان بلدى وأقواهم ، وطالما بذلت حياتي رخيصة في سبيل بلادى ، ومنذ ثلاثة أيام وأنت تنعم بى ، وتمتع ناظرك برؤياى ، ولقد لمست ما وهبتني من قوة وجلد ، فلتعش يا أبت قرير العين ، راضى النفس ، ولتنعم بأنك كان لك ولد ، لقيت فيه نفحة مرب بطولتك ، وصورة من قوتك ، حتى إذا مات ، مات على يديك ميتة الأبطال ، يا أبت ارع أى ولا تدعها وحيدة يقتلها الحزن ، وادع إلى الصلح بين قومك وقومها ، فلا هؤلاء بملاقين مثل سهر اب من بعدى ، ولا أولئك مثل رستم من بعدك ، فليرض كل منهما بأرضه ، وليعش فيها سعيداً .

أما هومان فليجزه الله بسوء صنعه . »

ثم نظر سهراب إلى رستم نظرة الوداع ، وفاضت روحه إلى بارتها .



أودع شاب شيخاً كبيراً مائة تومان (عملة فارسية) ولما طلب أمانته من الشيخ أنكرها وقال إنك لم تودعني شيئاً ، فذهب الشاب ورفع قضيته للملك ، فطلب الملك الشيخ وسأله لماذا لم يرد لهذا الشاب أمانته ، فقال الشيخ إنى لم آخذ منه شيئاً .

قال الملك للشاب: ألم يرك أحدو أنت تسلمه النقود ليشهدبذلك؟ فقال الشاب: كلا يامر لاى ليس لدى شاهد على ما أقول.

فسأل الملك الشيخ أن يحلف بأنه لم يأخذ مال الشاب ، ولكن الشاب لفت نظر الملك إلى أن مثل هذا الشيخ الخائن يحلف حانثاً ولا يبالى .

فسأل الملك الشاب: عندما أسلمته مالك أين كنت تجلس؟ قال الشاب: كنت أجلس تحت شجرة فى الصحراء، فقال الملك: إذن كيف تقول أن ليس لديك شاهد، إذهب إلى الشجرة ومرها أن تحضر فوراً عندى. فقال الشاب متعجباً: إنى أخاف ألا تطيع الشجرة أمر مولاى، فقال له الملك: إذاً فخذ هذا الحاتم وأرها إياه، لتأتى معك.

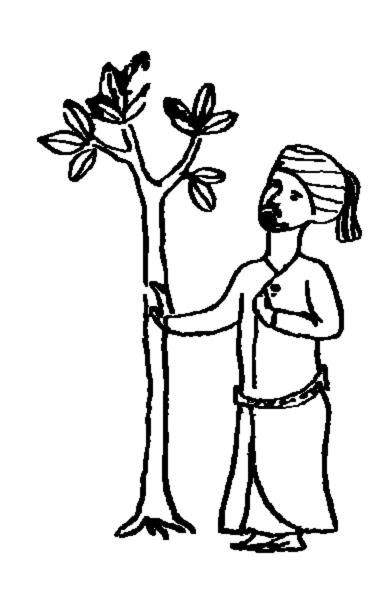
فتبسم الشيخ الماكر وظل صامتاً ، وأما الشاب فقد ذهب ينادى الشجرة ؟

و بعد مدة سأل الملك الشيخ قائلا: ترى هل بلغ هذا الأحمق الشجرة ؟

فقال الشيخ: كلا يا مولاى إنه لم يصل إليها بعد.

وبعد ذلك حضر الشاب فأخبر الملك أنه أرى الشجرة خاتمه فلم تحرك ساكناً ، فضحك الملك وقال له . ولكنها شهدت با بنى . ثم أمر الشيخ برد المبلغ وعاقبه .

(جامع الحكايات)



١٢ الدروبيش المثلاق

جلس أحد الملوك في بجلس سمره ، يشرب مع حاشيته ويلهو ، فصاح قائلا : ما أطيب وقتنـــا هذا ، فإنا لانفكر فى خير أو شر أو إنسان.

وكان تحت النافذة درويش ينام فى البرد عارياً فسمع قول الملك فقال: يا مليكنا إذا صفا لك الجو فإنه يصفو لنا .

فسر الملك بهذا الكلام وأطل على الدرويش وقال له: أعد ذيل قيصك فإنى ملق إليك صرة بها ألف دينار .

فقال الدرويش: ليس على قبيص يا مولاى .

فبعث إليه الملك بخلعة ومعها الألف دينار .

فأتلف الدرويش المال فى بضعة أيام. فإن المال لا يبتى فى يد الاحرار، هو كالصبر فى قلب العاشق، أو كالماء فى الغربال.

* * *

وأبلغ بعض رجال الحاشية الملك بما كان من أمر الدرويش المتلاف، ولم يكن الملك منشرح الصدر في هذا الوقت، فغضب غضباً شديداً

وأمر بطرد الدرويش، قائلا: إن هـذا الدرويش لايعرف أن خزانة بيت المال لقمة المساكين وليست طعمة إخوان الشياطين.

إن الأبله الذي يشعل الشمع الكافوري والنهار مضيء، لابجد زيتاً يضيء مصباحه في الليل البهيم.

فقال الوزير الطيب:

إن الخير أن نقسط لهؤلاء الفقراء في المنح ، فنجعلها قليلة ودائمة ، حتى لايسرفوا في إنفاقها ، أما أن نفتح لهم صدورنا فنرسع عليهم الرزق ، ثم نضيق بهم ذرعاً فنملاً قلوبهم بالياس ، فليس من الخير في شيء .

إن عطشي الحجاز لا يلتفون حول عين ماء مالح ، وحيثها وجد الماء العذب يجتمع حوله الناس والطير والنمل .

(ڪليتان)



١٢٠ سعرى في بيت الناك

رأبت في سومنات (في بلاد الهند) صنها من العاج ، مرصعاً بالجواهر ، كمنات في الجاهلية . وقد أحسن المثال صورته ، مخرجاً أحسن ما يستطيع إخراجه . ورأيت القوافل أقبلت من كل حدب وصوب ليرى رجالها هذا التمثال الذي لا روح فيه . لقد طمع في رضاء هذه الصورة ملوك الصين وچكل ، كما طمع سعدى في رضا حبيبه الذي قد من الصخر قلبه . واتجه القوم من كل مكان يتضرعون إلى التمثال الأصم الأبكم ، ووقفت حائراً في كشف ما أرى . كيف يعبد الإنسان الجاد؟ .

وكان لى صديق مجوسى ، نسكن سوباً فى غرفة واحدة ، وتربطنا صداقة وثيقة ، فقلت له :

يا برهمي إنى من أمر هـذا البيت لني عجب عجاب. إنى أرى الناس قد فتنهم هذا الصنم، فتيدهم فى بئر الضلالة. إنه لا قوة فى يديه، إنه لا تقوى على الحركة رجلاه، وإنك لو ألقيته أرضاً لما استطاع من العثرة نهوضاً.

ولم أكد أفرغ من حديثي مع المجوسي حتى ضاق صدره،

واستشاط من غيظاً ، ثم ذهب إلى المجوس وشيوخ بيت النار فحدثهم بما كان منى ، فأدركت أن موقنى منهم أصبح عسيراً ، وتيقنت أنى لن ألتى منهم خيراً .

وتهافت على المجوس قراء البازند (تفسير الاثوستاكتابهم المقدس) كما يتهافت الكلاب على العظم. إن الطريق المضل عندهم هو الطريق السوى، والطريق السوى هو المضل. والرجل مهما يكن علمه وفضله جاهل عند أهل الجهل.

ونظرت فإذا القوم يحدجونى بأنظارهم وقدضاقوا بى ذرعاً ، فكنت كالغريق لا يجد له فى لجة البحر الثائر خلاصاً . وإذا رأيت جاهلا قد غضب ، فإن السلامة فى اللين والتسليم . فرفعت صوتى مثنياً على كبير البراهمة قائلا : ياشيخ التفسير وأستاذ الزند ، إنى أضاً يطيب لى حسن هذا الصم إنه جميل الشكل ، تجذب قامته القلوب . لقد أعجبى منظره ولكنى لا أعرف معناه . لقد جئت هذا المعبد زائراً منذ أيام ، وإنه لمن العسير على الغريب أن يفرق بين الحسن والقبيح . ولذا فإنى ألمس منك أن تدلى على الحق فيا أرى ، فإنك كبير هذا المعبد ، وأنت تعلم أن العبادة لاتتأتى بالتقليد، وإنه سعيد من يطلع على الحقيقة ويعمل بها . ألا حدثى عن حقيقته وإنه سعيد من يطلع على الحقيقة ويعمل بها . ألا حدثى عن حقيقته حتى أعبده عن معرفة وإيمان ، فأضاء وجه البرهمي من السرود وقال لسعدى :

يا صديق إن سؤالك صواب وصنعك جميل ، وإن من جد وجد ، ومن سار على الدرب وصل . وقد رأيت مثلك أصناماً في أسفاري ولمكني لم أحط بسرها خبراً . إنك ستجد هذا الصنم برفع يديه إلى الله في الصباح ، فإذا شئت فابق هنا الليلة ، حتى تراه يتجه بيديه إلى الله .

* * *

وبات سعدى فى بيت النار تلك الليلة ، مؤتمراً بأمر الشيخ ، مثله كمثل بيزن حفيد رستم بطل إيران ، الذى أحبته بنت أفراسياب فملته قهراً إلى بيتها فلما رآه أبوها سجنه فى بئر بعيدة الغور: كذلك كان سعدى فى بيت النار .

وطال ليل سعدى كأنه يوم من أيام القيامة ، ورأى المجوس من حوله يصلون بلا وضوء . إنهم لا يستخدمون الماء ، وتفوح رائحتهم النتنة ، كما تفوح رائحة الجيف فى الشمس . لعله ارتكب أمراً إمرا ، لقد لتى جزاءه عذا با أنيما تلك الليلة . وقضى ليله فى هذا الشقاء ، واضعاً يدا على قلبه ، رافعاً الآخرى يدعو ربه ؛ حتى انقشع الليل بظلمائه ، وتنفس الصبح بضيائه ، كأن خطيب الليل ذا الرداء الأسود قد امتشق حسام النهار بلا حرب ، وصاح الدبك مناديا البراهمة فى الفضاء .

وأضاء النهار، وأقبل البراهمة الفاسدون الذين لم يغسلوا

وجوهم ، أقبلوا من كل باب وواد وشارع ، حتى لتظن أن التتار قد أقبلوا من زنجبار . لم يبق رجل فى المدينة لم يحضر إلى بيت النار ، وازدحم بهم الفناء حتى لم يكن مكان لإبرة بينهم .

وكان سعدى منهوكا ، مثقل الجفون ، فإذا به يرى التمثال ، فجأة وقد رفع للسماء يديه . وهنا ارتفعت أصوات البراهمة ، دفعة واحدة ، حتى لتظن أنك تسمع بحراً صاخباً متلاطم الأمواج . ثم أخذ الوافدون فى الانصراف رويداً رويداً ، حتى إذا خلا المعبد منهم نظر إلى شيخه مبتسما وقال : ما أشك أن الحقيقة تكشفت إليك ، وأن الباطل قد زهق . فلما رأى سعدى أن الرجل قد استولى عليه الجمل ، لم يستطع أن يعارض أو يقول الحق ، بل لجأ إلى التقية ، فأخنى الحق عن أهل الباطل .

وإذا رأيت نفسك ضعيفاً غاية الضعف أمام القوى الجبار فليس من الخير أن تظهر الرجولة فتكسر أصابعك .

رأى سعدى أن الخير فى أن ينافق ، فبكى معتذراً عما قال ، نادما تائبا . فرق له قلب الشيخ ومال إليه ، ولا عجب فإن السيل يحرك الصخر . ولما رأى الناس أن شيخهم قد رضى على سعدى ، أفبلوا عليه وسعرا إلى خدمته ، وأمسكوا بذراعيه إجلالا وتبحيلا . وتقدم سعدى من التمثال العاج الذى ركب فوق كرسى من الذهب على تخت من الساج ، تقدم إلى هذا التمثال وطلب

الشفاعة وقدم الاعتذار ، ثم قبل بدالصنم ، لعنة الله عليه وعلى عبدة الأصنام . وصار سعدى كافراً عدة أيام ، تقليداً للبراهمة ، كا أصبح من البراهمة يتلو الزند ومقالاته مثلهم ، حتى اصبح نادما على ما صار إليه من حظوة في بيت النار .

***** * *

وأبصر سعدى فإذا تحت مقعد شيخ البراهمة ستار مكال بالذهب، وخلفه حبل متصل بيد الصنم، فأدرك على الفور سر تحريك بدى التمثال، فإن الشيخ بحركه، في يسر، كأنه داود يصير الحديد شمعا في يديه . وهكذا كان الصنم يرفع يديه للماء حين يجذب البرهمي الحبل.

وعرف الشيخ أن سعدى قد كشف السر ، فحجل ، ومن الخطيئة أن يذاع هذا السر ، فجرى من أمام سعدى فلحق هذا به ، وأمسك بتلابيبه وألقاه فى بئر فى الطريق :

فإنى أعرف أنه إذا عاش بهدر دمى حتى لا أبوح بالسر الذى رأيت، ومن الحير ألا تتو انى عن القضاء على خصمك إذا سنحت لك الفرصة، فإنه لن يرجو غير هلاكك ما عاش.

قال سعدى:

وأخذت أرجم الكافر بالحجارة حتى هشمته تهشيا، ثم هربت

من هذا البلد . فإن عليك تهرب من أن رائحة قصب السكر إذا أشعلت في مزرعته النار . وإذا قتلت ابن الأفعى التي تعض الناس فلا تبق في البيت الذي قتلته فيه ، وإذا حطمت عش النحل فلا تنتظر أمامه فإن الخطر لا بلبث أن يحدق بك . ليس في أوراق سعدى غير هذه النصيحة : لا تقف بحو ار جدار هدمت أساسه .

وانتقلت بعد ذلك من الهند إلى البين ثم إلى الحجاز ، ومن شدة ما لقيت من الهول في بيت النار لم يحل مذاقى حتى اليوم .

(بيتان)



الم وزسيس

ذهب جماعة إلى وزير السلطان محمود ، حسن الميمندى ، وسألوه ماذا قال السلطان فى قضية تعنيهم .

فقال الميمندي: إن السلطان لا يخني عذكم شيئاً.

قالوا: ولكنك وزير المملكة ، والسلطان يسر إليك برأيه حين لايريد أن يبوح به لنــا .

قال الوزير: وما دام الأمركذلك، فعم تسألون وأنتم تدركون أنى لا أفشى له سراً.

(كلستان)



وساق حب الاستطلاع الملك إلى الدخول في المسجد، حيث يبيت الدراويش، فوجد به درويشين راقدين، كلاهما حزين القلب كسيف البال، كانا راقدين و لكن النوم لم يزر جفونهما، وأنى لها الكرى وهما عريانان والجو برد زمهرير، كانا راقدين برقبان طلوع الشمس، كأنهما الحرباء تنتظر الدفء والنور.

فدنا الملك منهما فسمع أحدهما يقول لصاحبه:

سيكون علينا ملك يوم القيامة ، ولو أتيح لملوك الدنيا هؤلاء الذين يعيشون منغمسين في اللهو ، دائبين على اللذات ، أن يدخلوا الجنة مع أمثالنا من العاجزين ، فإنى لن أرفع رأسي على حجر قبرى . إن الجنة مأوانا ، نحن الذين نعيش وأغلال الهموم في أرجلنا . ماذا أفدنا من هؤلاء الملوك حتى يضايقونا بوجودهم معنا فى الأخرة ، ولووجدت ملكنا وصالح، يدنو من جدار الجنة فإنى سأحطم رأسه.

* * *

فلما سمع الملك صالح كلام الدرويش أدرك أن الحير في ألايبق بجوارهما وتركهما وخرج من المسجد. ومضت برهة وتجلى الصبح، وبدأ الناس يومهم. فأرسل الملك رجلين من قصره ليحضرا المدرويشين من بيت الله. ودخل المدرويشان القصر، فأمر الملك بإكرام وفادتهما، وتهيئة الوسائل لها، حتى يمثلا في مجلسه. وأدخلا على الملك وقد استوى على العرش، فحياهما وأجلسهما قريبين منه.

و تغير حال الفقيرين الحانقين ، وأصبحا يرفلان في قشيب الحلل، وزالت عنهما آثار الفقر ، وبدت عليهما مظاهر النعمة ، وقد انخذا مجلسهما مع رجال الملك ، في القصر المنيف ، بعد أن كانا في خشية من البرد والمطر والسيل ، وبعد أن كانا عاريين ، يرتعدان من البرد ، لبسا أثو ابا معطرة برائحة العود .

فقال أحدهما هامساً فى أذن الملك: أيها الملك الذى وضع حلق حكمته فى أذن الزمان، إنك ترفع من تعجب بهم من رعاياك إلى أسمى المراتب، فأى شىء رأيت فينا فأعجبت به فرفعتنا إلى هذا المقام؟

فتفتحت أسارير الملك ، كما تتفتق عن أكامها الأزهار ، وضحك فى وجه الدرويش وقال :

لست أنا الملك الذي يشيح بوجه عن المساكين عتواً وغروراً فانزع عن نفسك ما تملكها من غل على فلاتؤذني يوم القيامة عندما تقف أمام ربك ذي الجلال ، إنى قد فتحت باب الصلح لك اليوم ، فلا تغلقن بابك في وجهى غداً .

* * *

هذا هر الطريق السوى لمن يبغى السعادة من الملوك ، أن يأخذ بيد الدراويش. إن الملك لا يمكن أن يجنى ثمرة من شجرة وطوبى (١) ما لم يكن قد زرع بيديه ما يريد أن يحصل عليه من ثمار .

إذا لم تكن لك على الخير إرادة فلاتبحثن عن السعادة ، فإنك • بصولجان العبادة تستطيع أن تحمل كرة السعادة ،

متى تضىء كالمصباح؟ فإنك من الأنانية أصبحت كالقنديل مع الماء إن الرجل الذى يشع بنوره على الجماعة يظل نوره مضيئاً فى صدره كالشمعة.

(بستان)

 ⁽۱) إشارة إلى الآبة الـكريمة: الذين آمنوا وعملوا الصالحات طوبى لهم وحسن
 مآب. (۱۳ ـ ۳۰)

الم رقيق في السنون

كاد قلى بتفطر يوم مررت بالسوق فسمعت عبداً يقول لسيده وهو يبيعه:

واحسرتاه ، إنك واجد عبداً خيراً منى ، ولكنى لن أجد مثلك سيداً .

(بستان)



١١ المادكم المائس

كان ملاكم قوى البنية ، شديد الضربات ، ولكنه مع قرته كان عاثر الحظ ، ضيق الرزق ، لايكاد يجد قرت يومه ، فهو فى الصباح يبحث عن كسرة تسد رمقه ، وفى المساء يبيت على الطوى .

وكان نهماً ، ولم يكن يستطيع أن يقهر معدته على القناعة بالقليل، فأخذ يحمل الاثقال فوق ظهره ، ليحصل على قوته ، بعد أن يئس من الحصول عليه بقوة ذراعيه . وعلاه الهم ، وضاقت فى وجهه الدنيا ، فقلبه حزين وجسمه مضى ، كان يقضى وقته يفكر فى سوء حاله ، فحيناً يستسلم إلى الهم والغم من الدنيا وقد أناخت بكلكلها عليه ، وأحيانا يضيق صدره حين يرى الناس فى خفض من العيش عليه ، وأحيانا يضيق صدره حين يرى الناس فى خفض من العيش من المشقة والجهد فى حياته متسائلا : أفى الدنيا من يشتى شقائى الى أرى أناساً يشربون شراباً سلسبيلا ، وبطعمون من الطعام أشهاه ، بينها لا يرى دغيني أرخص أنواع الخضروات .

وإذاكنت منصفاً ، فليس من الإنصاف أن أكون عارياً ، وعلى القطة كساء من الجلد. وا أسفا ، ليت السماء تلتى إلى بكنز من عندها ، إذن لنفضت الغبار من على جسدى وروحى و لانغمست فى النعيم .

* * *

سمعت أن هذا الملاكم الشاكى كان يحفر فى الأرض ذات يوم فرأى فم رجل ميت ، وقد تكسرت منه عظام الفك ، وتناثرت منه الأسنان اللؤلؤية . فلما رآه سمع صوتاً من هذا الفم الأخرس يقول :

لاتضق بالفقر صدراً ياسيدى. فهكذا ترى حال الفم تحت التراب ، شهدا أكل أوكان غذاؤه حسرة فى الفؤاد. فلا يحزنك دور الفلك فإن دهوراً تنقضى على غير مرادنا .

فلما سمع الرجل هذا القرل ثاب إلى رشده واطرح الغم:
أيتها النفس التي لا رأى لها ولا حكمة فيها ولا تدبير، تخلصي
من همومك ولا تقتلي نفسك، يستوى من حمل أثقال الهموم فوق
رأسه، ومن رفع رأسه مزهواً نحو السماء. هماسواء عندما تحين
الساعة التي لا مفر منها، فتتغير الاحوال، ولا تربن تفاوتاً بين
من أثقلته الهموم ومن كان غارةاً في اللهو واللذات.

إن الغم والسرور لا يدومان ، إنما الدوام لجزاء العمل الصالح وللذكر الطيب . إن الكرم يبتى ، فأنفق مما رزقت حلالا ، ولا تشكل على الملك والجاه والعظمة ، فهذه كلها أحوال كانت من قبلك ، وستكون من بعدك ، فانثر الذهب فإن الدنيا فانية لا تدوم ، إن سعدى ينثر درر القول لأنه لا يملك ذهباً .

(بستان)



الم خصوصة

تشاحن رجلان ، وامتلاً قلباهما حقداً وبغضاً ، وأضمر كل منهما لصاحبه السوء ، وكانا ، إذا تقابلا ، رفع كل منهما رأسه على أخيه ، كأنهما نمران . وكانا بتحاشيان المقابلة ، حتى أقفل في وجهيهما باب السهاء . وراح كل منهما لا يألو جهداً في قذف صاحبه والتشنيع عليه بالحق وبالباطل ، وأخذ الناس يتناقلون حديث خصومتهما في ملال منهما وسخط عليهما جميعاً .

وأدرك الموت أحدهما فقضى نحبه ، وانقضت أيامه . وعرف خصمه ذلك فسره ما عرف ، وأخذ يفكر فى صاحبه الذى جندله الموت ، وفكر فى أن يراه ميتاً شهاتة . وراح إلى القبر فوجده مغلقاً على الرجل الذى عاش فى قصر طلاؤه من الذهب . راح إلى القبر ولم يبك ، سره أن عاش بعد عدوه .

فتح الرجل باب القبر ، فرأى تاج رأس الميت فى حفرة من طين ، ورأى عينيه وقد ملتنا بالتراب ، ورأى الحشرات والنمل تسرح على جسمه الذى قر فى القبر سجيناً . ورأى وجهه الذى كان كالبدر صيتره دوران الفلك كالهلال ، وأما قده السروى فقد

أصبح كالخـلال . وتفككت راحـة يده وتناثرت أصابعه . لا لا لا

لم بكد الرجل برى خصمه ، وقد أجرى الموت حكمه فيه ، فأصاره هشيا وتركه فريسة لهوام الأرض ، حتى رق قلبه ، وامتلأ أسفاً على ماكان بينهما ، ففاض دمعه حتى ابتل تراب القبر وأصبح طينا . ندم الرجل على الضغينة التي كان يحملها لخصمه بين جنبيه ، وأمر بأن يكتب فوق صخرة القبر :

لا يسرنك موت أحد، فإن الدهر لن يمهلك بعده طويلا .

وسمع رجل من عباد الله الصالحين هذه القصة فبكى وقال: اللهم ياقادر ، عجيب إذاكنت لم ترحمه ، فقد أنى عدوه اللدود حزيناً ماكاً عليه .

إن جسدى سيوسد يوما الثرى وسيبكى عليه أعدائى، ولاشك أن قلب صديق سيرق لى ، حين يرى عدوى يبكينى وقد عفا عنى . إن عاجلا أو آجلا يأتى يوم تكون رءوسنا ولا عيون فيها .

ضربت مرة بالفأس فى تل من النراب فعلا صوت مؤثر إلى سمعى يقول :

ترفق إذا كنت رجلا ، فهنا عيون وآذان ووجوه ورءوس . ترى هل يسمعون؟ رأى رجل ثعلباً مقعداً ، لا رجل له ولا يد ، فتعجب من لطف صنع الله ، إذكيف يعيش هذا الحيوان ومن أين له الأكل وهو عاجز لا يقوى على السعى لرزقه . وبينها كان الدرويش حائراً في هذا ، إذا بأسد يدخل حيث الثعلب قاعد ، وفي مخلبه ابن آوى ، فأكل الاسد من فريسته التعسة و بقى منه ما يكنى الثعلب حتى يشبع .

وراقب الرجل التعلب فوجد الاسد برعاه فى اليوم التالى ، وهكذا الرزاق بعث بقوته إليه. فتيقن الرجل ان الله يرزق عباده. فانصرف و تواكل على ربه. قال: سأذهب إلى ركن آوى إليه ، فإن الفيلة لا يأتيها رزقها بالقوة. وجلس محنياً رأسه محفياً إياها فى جيبه ، منتظراً الرزاق يبعث إليه قوته من الغيب : وظل الدرويش حتى برح به الجوع ، لم يسع إلى إطعامه غريب أوصديق ، فخارت قواه و نحل جسمه ، وأصبح كالربابة عصب وعظم وجلد .

فلما نفد صبره وعقله من شدة الضعف سمع صوتاً يقول له من خلف الجدار:

أخرج أيها الوغد وكن أسداً مفترساً ، ولا تحسبن نفسك

كالثعلب الأشل، واسع حتى تأكل وتشبع ويفيض منك كما يفيض من الأسد، لماذا تكون كالثعلب المقعد تشبعك الفضلات ؟

إن من له رقبة غليظة كالأسد ، الكلب خير منه إذا تواكل وارتمى كالتعلب المقعد . إسع إلى رزقك بيديك ، وعش سعيداً مع الآخرين ، ولا تجلس منتظراً ما يجود عليك به الناس ، وكل ما استطعت من جهد ذراعيك ، فإن جهدك لك . كن كالرجال ، يتعبون أنفسهم ويريحون غيرهم ، فإن المخنث هو الذي يأكل من كد الآخرين .

خذ أيها الشاب بيد الشيوخ من الفقراء ، ولا تلق بنفسك هكذا مستعينا بالناس : إن الله يرضى عن عبده الذى يسعد الناس من وجوده بينهم ، وإن الخير العاقل هر الذى يجود بماله ، أما أدنياء الهمة فلا عقول لهم .

إن الخير الذي يحسن إلى الناس هو الذي يسعد في الدنيا ويهنأ بالآخرة .

(بىتان)



الم الم

شكى أحد المريدين إلى شيخه مضايقة الناس له وكثرة ترددهم عليه ، مما يضيع عليه وقته الغالى ، فقال له الشيخ :

أقرض فقيرهم واستعن غنيهم ، ينفضوا جميعاً من حولك ، ولا ترى فى بيتك منهم أحداً ، ويطيب لك الزمان .

(كلىتان)



الوقيمة

اختار الملك أفريدون وزيراً من أعوانه ، واختصه بحبه ، وآثره بعطفه ، وأولاه ثقته ، فكان يركن إليه فى كثير من شئون الدولة ، كما ترك إليه تصريف كثير منها . وكان هذا الوزير رقيق الحاشية ، بصير القلب ، بعيد النظر ، وقد جهد حياته كاما فى إرضاء ربه وخدمة ملكه ، فكان يقوم بواجباته الدينية خير قيام ، ثم يقضى بقية وقته مكباً على عمله بالنهار ، ساهراً على أدائه بالليل ، عاملا دائماً على أن يكون أهلا لثقة ملكه فيه .

ولنكن الوزير الطيب لم يسلم من لسان السوء الخبيث يسعى ضده عند الملك ، فقد ذهب رجل إلى الملك ذات صباح وقال له : مولاى : لا تحسبن نصحى لك عن غرض فى نفسى ، فإنى ما أردت غير النصح خالصا لوجه الله ، إن وزيرك الذى تتق به و تنزله من نفسك مكانا عليا ، هو عدو لك مبين ، فإنه دائن لجميع أهل المدينة ، جنداً ومدنيين ، وقد اشترط على مدينيه أن يوفوا ديونهم حينا يموت الملك العظيم ، فهو لا يريد لك طول الحياة ،

*** * ***

فلما سمع الملك حديث الرجل آلمه أن يخدع فى الوزير بعد طول ثقته به ، واعتماده عليه ، وحبه له ، فناداه يوماً ونظر إليه نظرة المغيظ المتوعد، فأدرك الوزير أن قلب الملك قد تغير ، وأن ساعياً بالشر قد سعى بينهما فألق إليه الملك أذناً صاغية ، ثم لم يلبث الملك أن قال له :

إنك تظهر لى المودة ، وتضمر السوء .

وهنا أيقن الوزير أن أمر إقراضه الناس ماله هو الذى بلغ الملك فرأى أن التصريح بالحق أجدى من الكتمان، فقبل الأرض والتخت. ثم قال:

والمتداد الأجل ، في المولاى وسأفول الحق ، شأنى معك فى عملى ، حتى تنجلى الغمة ويذهب عن نفسك ما ظننت بى من سوء الى أردت أن يصفى الك حب رعاياك جميعاً ، وأن يتمنى الله السعادة والمتداد الأجل ، فإنى حين جعلت من موتك موعداً لوفاء ديونهم ، كنت أدرك أنهم سوف يدعون لك بطول البقاء ودوام الهناء . أفلا تريد يا مولاى أن يدعو لك الناس صادقين مخلصين بأن تحيا أفلا تريد يا مولاى أن يدعو لك الناس عادقين مخلصين بأن تحيا حياة طويلة هنيئة ، إن الناس يعتقدون إن دعاء أهل الحير درع

يتقون به سهام البلاء ، فلتكن أصواتهم الصاعدة إلى السهاء بطول أجلك ، ودوام سعدك ، مستجابة عند ربك ، .

فلما سمع الملك كلام وزيره ، سره حسن قصده ورضى بعد الغضب وعادت إليه ابتسامته ، وتفتحت أسارير وجهه كالوردة النضرة إشراقاً ونوراً .

* * *

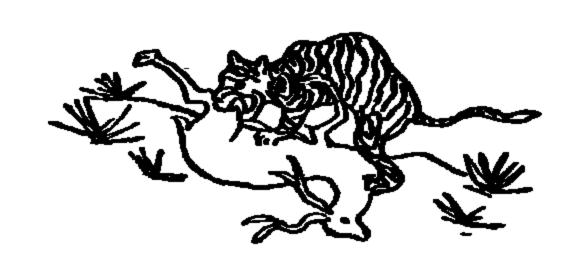
إنى لم أرشراً من غماز نكد الطالع ، عاثر الحظ ، إنه إليلقى العداوة والبغضاء بين صديقين ، بجهله وضلاله ، ولا يدرك بعقله الضيق أنه إذ يلقى النار بين رجلين سيحترق في وسطهما .

* * *

إذا كنت ، كسعدى ، قد تذوقت لذة الخلوة ، وكففت لسانك عن التحدث فى أمور الدنيا ، فقل ما تعلم من النصح الخالص ولو لم يعجب أحداً .

إن الذي لم يستمع إلى نصحك سيصيح غداً وهو نادم: ليتني استمعت إلى لسان الصدق.

(بستا*ن*)



مطابع وارالقلم بالقاحرة



الطباعة والنصر والتوزيع ١٨ شارع سوق التونيقية عليفون: ١٣٠٥٥

مدر عنها لمشروع الالف كثاب

جله

- لمن تدق الأجراس ٢٢٥
- والحرية المحرمة..... ١١٥
- مسكانيكا السارات ٢٢٠
- قصص عالمة ١٤٥
- إيزيس وإيزوريس ١٢٥
- و حکات فارسمة ٥٥٧
 - الجيولوجيا في خدمة الإنسان.

Bibliotheca Alexandrin.

O685559